الجامعة الإسلامية- غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والثلاثين من القرآن الكريم
سورة الأنبياء من الآية (١-١١٢)

The analytical study of the purposes and objectives of the party's thirty-third of the Quran Al-Anbiya verse (1-112)

إعداد الطَّالب:

ياسر يوسف جاد الحق

إشراف فضيلة الدُّكتور:

عبد الكريم حمدي الدهشان

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلَّبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٦هـ-٢٠١٥م

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ (التوبة: ١٠٥)

صدق الله العظيم

إهداء

◈ إلى حبيبي وقدوتي محمد ﷺ سيد الخلق أجمعين .

◈ إلى والدتي خيمة الحنان، وغيمة المكان، ونور دربي في هذا الزمان، إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة، صنعتها من أوراق الصبر، وطرزتها في ظلام الدهر، على سراج الأمل، بلا فتور أو كلل . . رسالة علمتني فيها كيف يكون العطاء، وكيف يكون الوفاء، فشتان بين رسالة ورسالة . .

جزاكِ الله خيرًا يا أمي ورزقك الصحة والعافية وحسن الخاتمة .

◈ إلى والدي الغالي أطال الله عمره وأحسن عمله، وإلى إخواني وأخواتي وأقاربي جميعًا، حفظكم ربي ورزقكم التقوى والسداد والإخلاص في القول والعمل .

◈ إلى الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إلى روح من رحل جسدًا وبقيت ذكراه الطيبة معلقة في روحي وخاطري، إلى روح صديقي الشهيد : محمد بسام عيد .

◈ وإلى روح خالي الحبيب الشهيد : محمد محمد الفرجاني، وإلى أرواح شهداء المسلمين تقبلهم الله جميعًا وأسكنهم الجنان .

◈ إلى طلبة العلم الشرعي في كل مكان، وإلى زملائي وأصدقائي وأحبابي .

◈ إلى الأسود القابعة خلف قضبان الظلم والبطش الصهيوني .

◈ وإلى كل المجاهدين والأحرار في أرض فلسطين والقدس وهذا العالم .

◈ إلى منارة العلم والعلماء جامعتي الغراء "الجامعة الإسلامية – بغزة" إلى هذا الصرح الشامخ العظيم .

إليهم جميعًا أهدي رسالتي

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي لا ننفك نستهدي به ونستعين، حمدًا يبلغ غاية رضاه، ويعجز الكل عن إدراك كنهه ومداه.

والصلاة والسلام على هادي الأدباء ومعلم الفصحاء والبلغاء، محمد ﷺ رسول الله وخاتم الأنبياء، وعلى آله المطهرين النجباء، أما بعد:

بادئ ذي بدء أتوجه إلى المولى سبحانه وتعالى بالحمد الخالص والشكر الجزيل، على ما أنعم علَيَّ وأجزل، وامتن به وتفضل، فله الحمدُ في الأولى والآخرة، على ما أعان وسهل، وأسبل من الخير ويسر، وما كتبه لي وقدر، فلله الحمد والمنة على أن أعانني على إتمام هذا البحث الذي أسأله سبحانه أن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله قبسًا ونورًا ينير دربًا من دروب الباحثين والمطَّلعين.

وانطلاقًا من قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿**وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ [النمل: ٤٠]، وقولِ نبينا محمد ﷺ: **(لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)**[(١)]، فإنني أتقدم في بداية صفحات هذا البحث بأسمى آيات الشكر والعرفان **لأستاذي ومشرفي فضيلة الدكتور**:

عبد الكريم حمدي الدهشان

الذي ما بخل عليَّ بعلمه وملاحظاته وإشاراته المباركة، ولم يألُ جهدًا في مساعدتي وإرشادي وتوجيهي ومواصلة متابعتي لإخراج هذا البحث على أفضل صورة.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير والامتنان إلى عضوي لجنة المناقشة، وهما:

الدكتور/ إبراهيم عيسى صيدم، مناقشاً داخلياً.

والدكتور/ عبد الله علي الملاحي، مناقشاً خارجياً.

لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة، وعلى ما سيبذلانه من جهدٍ في تحسين جوهرها وتصويبها وتنقيحها لتخرج بإذن الله سبحانه وتعالى على أفضل ما يرتجى.

والشكر موصول إلى أساتذتي في كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية وإلى الدراسات العليا التي أتاحت لي فرصة إكمال الدراسة العليا.

---

(١) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (٣٣٩/٤)، ح رقم ١٩٥٤. قال الترمذي هذا حديث صحيح، وقال الألباني: صحيح.

كما وأشكر كل من ساعدني وأعانني ونصحني ولو بكلمة واحدة أو إشارة أو ملاحظة ساهمت في إثراء البحث وتحسينه، وأشكر كل أصدقائي وأحبابي الذين كانوا يستفسرون ويسألون عن دراستي وظروفها حرصًا وحبًا منهم.

وأخص بالذكر صديقي بل أخي الذي لم تلده أمي: "إبراهيم عطية خليل"، وصديقي الغالي أيضًا: "محمد عمر علوان" فلهم مني كل الحب والشكر والتقدير والاحترام.

ولا أنسى أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى فضيلة الشيخ والمربي الفاضل: "وائل عمر بشير" حفظه الله، الذي حببني بالعلم الشرعي وأهله، وتفضل عليَّ ببعض النصائح الغالية.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر لي زلاتي، وأن يتجاوز عن سقطاتي وهفواتي، فهذا جهد المقل، ولا شك ولا ريب أن كلَّ عمل بشري لابد وأن يعتريه النقص والخلل والتقصير، فما كان في هذا البحث من صواب فمن توفيق الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان أعاذني الله وإياكم منه، وأسأل الله لي ولكم القبول والرضى.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإن الله بحكمته ورحمته أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء، وجعله هدىً وبرهانًا لهذه الأمة، ويسره للذكر والتلاوة فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وأنزله بلسانٍ عربيٍ مبين، وتكفل بحفظه وإبلاغه لجميع البشر، وقيض له من العلماء من يفسرونه، ولقد أكثر العلماء من التأليف في التفسير، كيف لا وهو من أَجَلِّ وأشرفِ العلوم، فهو علم يتعلق بكلام الله عز وجل، وقد نقل الإمام السيوطي[١]عن الإمام الأصبهاني[٢] رحمهما الله قوله: "أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن بيان ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها وإما بشرف غرضها وإما بشدة الحاجة إليها، وأما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يَخْلَقُ على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى.

وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجل أو آجل مفتقر إلى العلوم الشرعية و المعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله ﷻ" [٣].

ولابد للمفسر والمشتغل في هذا العلم أن يدرك بأن كل آية في القرآن الكريم تحمل في ثناياها معنى أو حكمة أو هدف ومقصد أو تشريع.

وعلم المقاصد والأهداف علم جليل يساعد على فهم وتدبر الآيات القرآنية، وبذلك التدبر والفهم تكون الرحمة والهداية والصلاح واتباع الحق والبعد عن الباطل.

كما أن وقوف المفسر على مقاصد الآيات يسدد ذهنه ويمعن نظره، فيصل إلى مراد الله من غير تكلف ولا مشقة.

---

(١) السيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة، نشأ في القاهرة يتيمًا، ولد سنة ٨٤٩هـ ومات سنة ٩١١ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، (٣٠١/٣).

(٢) الأصبهاني: هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الحافظ، العلامة، أبو نعيم الأصبهاني، أحد الأعلام، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، و توفي في العشرين من المحرم سنة ثلاثين وأربعمائة وله أربع وتسعون سنة. انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، محمد المغراوي، (١٣٠/٦).

(٣) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، (١٩٩/٤)، بتصرف.

"ولا بد لمن أراد الوصول لمقصد السورة أن يبدأ بحثه في السورة ومقصدها بمعرفة ما يتعلق بالسورة من الظروف والأحوال التي نزلت فيها السورة من كونها مكية أو مدنية، وسبب نزولها، وفضائلها وخصائصها، فإن ذلك مفتاح رئيس للوصول لغرضها" (١).

والباحث في هذا العلم يخدم أمته ومجتمعه من خلال ربط هذا العلم بالواقع الذي نحيا، وتسخيره للخروج من الأزمات وحل المشكلات التي تواجه الناس في حياتهم الخاصة والعامة، وهذا ما دعاني لأبحث في المقاصد والأهداف من خلال الحزب الثالث والثلاثين وهو يتضمن سورة الأنبياء و التي محورها الرئيس معالم التوحيد وإثبات الميعاد في دعوة الأنبياء، وموقف الناس من ذلك.

فهذا جهد المقل، فما كان من صواب فلله مرجعه، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان أعاذني الله وإياكم منه، والله الموفق والمستعان.

وهذا البحث ضمن سلسلة يشرف عليها قسم التفسير وعلوم القرآن ووفقني الله لأن أكون أحد الباحثين في هذه السلسلة وكتب لي أن يكون نصيبي منها بحثًا **بعنوان**:

(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والثلاثين من القرآن الكريم)

(سورة الأنبياء من الآية ١-١١٢)

أولًا: **أهمية الموضوع**:

١) كون الموضوع له أهمية عصرية، فهو يخدم البشرية جمعاء، لأنه يبرز الحلول من خلال الفهم والتدبر للأهداف والمقاصد.

٢) أنه علم جليل عظيم، لتعلقه بأشرف الكتب وأعظمها وهو القرآن الكريم.

٣) علم المقاصد والأهداف يقدم الحلول المناسبة للمشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم.

٤) علم المقاصد والأهداف يرسخ الإيمان في النفوس، ويجعل الناس يعتنون بالقرآن ويقبلون عليه، ويتحاكمون إليه.

٥) صقل شخصية الباحث في الدراسة التحليلية، وتبني قدراته في فهم آيات الله تعالى فهمًا دقيقًا.

٦) أن سورة الأنبياء تناولت موضوعات متعددة في العقيدة الإسلامية، مثل: الوحدانية والبعث والجزاء والرسالة، وتتحدث عن القيامة وأهوالها وعن قصص الأنبياء والمرسلين.

٧) كون سورة الأنبياء استعرضت لمحات من قصص مجموعة من الأنبياء عليهم السلام، وذكرت جهادهم وصبرهم وتضحياتهم في سبيل الله وتفانيهم في تبليغ الدعوة لإسعاد البشرية.

---

(١) علم مقاصد السور، د. محمد بن عبد الله الربيعة، الرياض، ط: ١، ١٤٢٣هـ/٢٠١١م، (ص ٥٠).

ثانياً: **أسباب اختيار الموضوع**:

١) كونه أحد حلقات الموسوعة التي أقرها قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين.

٢) إبراز مقاصد وأهداف آيات سورة الأنبياء من خلال كون القرآن الكريم كتاب هداية ورحمة للبشرية بأسرها.

٣) ابتغاء الأجر والثواب وخدمة لكتاب الله من خلال إبراز الأهداف والمقاصد لسورة من سوره.

٤) رغبة مني في التدبر والتفكر في القرآن الكريم امتثالًا وطاعةً وعبادةً لله ﷻ.

٥) زيادة الخبرة والتعمق في التعامل بهذا المنهج من خلال الدراسة التحليلية لآيات القرآن الكريم.

٦) إبراز ما تناولته سورة الأنبياء من موضوعات متنوعة وربط هذه الموضوعات بالواقع.

٧) تشجيع أساتذتي في قسم التفسير وعلوم القرآن على الكتابة في هذه الموسوعة المباركة.

٨) بيان وإبراز المقاصد والأهداف التي ترمي إليها الآيات يظهر جمال القرآن الكريم وبلاغته وكمال نظمه، كما أنه يبين نظام السورة ووحدة بنائها وترابطها.

ثالثاً: **أهداف البحث**:

١) نيل الأجر والثواب من الله ﷻ على هذا الجهد المتواضع، فأسأله في عليائه أن يتقبل عملي هذا وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

٢) مشاركة زملائي طلاب القسم في إتمام هذه الموسوعة المباركة.

٣) إظهار الموضوعات الأساسية لسورة الأنبياء ومحورها الرئيس، بما يظهر المقاصد العامة والأهداف الحقيقية التي تخدم البشرية في واقعها المعاصر.

٤) دراسة أهداف ومقاصد الآيات دراسة تحليلية لبيان الجانب الإعجازي في القرآن الكريم.

٥) إطلاع طلبة العلم الشرعي على هذه الدراسة التي تخدمهم في مجالهم، وتصقل شخصياتهم الذاتية من خلال الدراسة التحليلية الشاملة للمقاصد والأهداف.

٦) إثراء المكتبة الإسلامية، وخاصة أن هذا البحث عصري وجديد، وفي نفس الوقت شيق وممتع عند الخوض فيه ويسهل على طلبة العلم الشرعي التعامل معه وفهمه بسهولة.

٧) الوقوف عند كل ما يتعلق بسورة الأنبياء من أسماء لها إن وجدت، ومكان وزمان نزول السورة، والجو الذي نزلت فيه، وفضائلها ومحورها وموضوعاتها.

رابعاً: **منهجية الباحث**:

١) اعتمد الباحث المنهج التحليلي والموضوعي في التفسير، وذلك بوضع مقدمة لسورة الأنبياء، والتعريج على اسم السورة، وذكر فضائلها، ومكان وزمان نزولها، ومحورها الرئيسي، والمناسبة بين اسمها ومحورها، والمقاصد العامة للسورة وأغراضها، وقسَّمَ آيات الحزب الثالث والثلاثون (سورة الأنبياء) إلى مباحث مختلفة في أربعة فصول، وجعل لكل مبحث آياته المناسبة له وذلك حسب الموضوع، وقام بتحديد ما تحتويه آيات كل مبحث من مقاصد وأهداف وتحليلها، وقام بالاستشهاد لهذه الأهداف والمقاصد بالدراسة التحليلية بما فيها من أدوات متعددة تخدم هذا المنهج من: علوم القرآن وإعجازه، وعلوم اللغة، والسنة المطهرة وغيرها.

٢) عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وذلك من خلال ذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

٣) قام الباحث بإيراد بعض القراءات القرآنية وتخريجها غالبًا من كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري رحمه الله وبعض التفاسير التي تهتم بإيراد القراءات القرآنية، وأيضًا توجيه تلك القراءات غالبًا، وذلك زيادة في إبراز المعاني التي قد تساهم في فهم النص القرآني بشكل أكبر وأعمق.

٤) تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها الأصلية، وحكم العلماء عليها، عدا أحاديث الصحيحين، وأحيانًا ينقل الباحث شرح المحقق أو الشارح على بعض الكلمات الواردة في الحديث، ويوردها في الحاشية.

٥) بيان معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث وذلك في حواشي الصفحات.

٦) عزو الأقوال المنسوبة لأصحابها من باب الأمانة العلمية، وتوثيقها حسب الأصول، وعند استخلاص المعنى العام من النصوص أكتفي بالقول: (انظر)، ثم أذكر المراجع التي أفدت منها، وعند قيامي بالتصرف في النص المنقول أكتفي بالقول: (بتصرف)، وذلك بعد ذكر المراجع التي نقلت عنها، وَجُل ما تصرفت به من النصوص المنقولة كان تصرفًا يسيرًا.

٧) عند ذكر اسم الكتاب أو المرجع لأول مرة في الحاشية، أذكر اسم مؤلفه ورقم الجزء والصفحة، وأذكر مواصفاته كاملةً، وذلك إذا أتيح المجال لإدراج ما سبق، وإن تكرر بعد ذلك نفس الكتاب أو المرجع في صفحات البحث أكتفي بذكر اسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة فقط.

٨) ترجمة الأعلام المغمورة وبعض الشخصيات وعدد من القراء الواردة أسماؤهم في البحث.

٩) عند وجود تكرار لنفس المصدر في الحاشية نفسها على التوالي أكتفي بالقول: المرجع السابق، وأذكر رقم الجزء والصفحة إن اختلفا.

١٠) عمل الفهارس اللازمة للوصول إلى المعلومة بأقرب وأسهل الطرق.

خامساً: **الدراسات السابقة**:

افتتح قسم التفسير وعلوم القرآن موسوعة أو سلسلة حول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم كله، وقد أكرمني الله عز وجل بأن جعل نصيبي منها الحزب الثالث والثلاثين من القرآن الكريم، وقد اطلعت على عدة رسائل نوقشت في هذه السلسلة لطلاب وطالبات من الجامعة قاموا بالبحث في هذا الموضوع.

سادساً: **خطة البحث**:

تتكون من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ومجموعة فهارس تخدم البحث، وبيان ذلك فيما يأتي:

المقدمة: **وتشتمل على العناصر الآتية**:

أولًا: أهمية الموضوع.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع.

ثالثًا: أهداف البحث.

رابعًا: منهجية الباحث.

خامسًا: الدراسات السابقة.

سادسًا: خطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها وتعريف المقاصد والأهداف وأهميتها:

ويشتمل على ستة مطالب:

- **المطلب الأول:** تعريف الدراسة التحليلية.
- **المطلب الثاني:** متطلبات الدراسة التحليلية.
- **المطلب الثالث:** تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.
- **المطلب الرابع:** أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.
- **المطلب الخامس:** طرق معرفة مقاصد السور والآيات.
- **المطلب السادس:** المؤلفات في علم المقاصد والأهداف.

المبحث الثاني: **تعريف عام بسورة الأنبياء**:

ويشتمل على خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها.
- **المطلب الثاني:** مكان وزمان نزول السورة.
- **المطلب الثالث:** فضائل السورة.
- **المطلب الرابع:** محور السورة، والمناسبة بين اسمها ومحورها.
- **المطلب الخامس:** المقاصد العامة للسورة وأغراضها.

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الثالث والثلاثين

الآيات (١-٢٤)

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١-٥)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** أعظم أسباب الإعراض عن الإيمان الغفلة واللهو.
- **المطلب الثاني:** إحاطة علم الله بكل شيء، والافتراء ديدن المشركين.

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٦-١٠)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** عصمة الأمة المحمدية من الإبادة والاستئصال، وبشرية الرسل.
- **المطلب الثاني:** حفظ الرسل وأتباعهم وإهلاك المكذبين، والتذكير بنعمة القرآن.

المبحث الثالث:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١١-١٥)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** الظلم جرم كبير، عاقبته وخيمة.
- **المطلب الثاني:** لا نجاة بالهروب وبلوم النفس عند وقوع العذاب.

المبحث الرابع:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١٦-٢٤)

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** أفعال الله تعالى منزهة عن العبث واللهو واللعب.
- **المطلب الثاني:** للحق صولة، وللباطل جولة، والعاقبة للحق.
- **المطلب الثالث:** المخلوقات خلقت لغاية العبادة والتسبيح.
- **المطلب الرابع:** فساد القول بتعدد الآلهة.
- **المطلب الخامس:** كل دعوى لا برهان عليها فهي باطل.

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب الثالث والثلاثين

الآيات (٢٥-٤٧)

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٢٥-٣٥)

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** التوحيد أساس دعوة الرسل جميعًا.
- **المطلب الثاني:** نفي الولد وإثبات الشفاعة ومجازاة الظالمين.
- **المطلب الثالث:** أدلة توحيد الله ﷻ والتأمل طريق المعرفة والإيمان.
- **المطلب الرابع:** الموت نهاية كل حي.

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٣٦-٤٠)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** الاستهزاء مظهرٌ ملازم لأعداء الأنبياء.
- **المطلب الثاني:** عدم استعجال الانتقام والتعامل بالحكمة.
- **المطلب الثالث:** عقاب الجاحدين ومباغتتهم بالعذاب.

المبحث الثالث:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤١-٤٤)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** تسلية محمد ﷺ بذكر أحوال من قبله من الأنبياء.
- **المطلب الثاني:** طلب النصر والمدد ممن يستطيع تحقيقه.
- **المطلب الثالث:** الابتلاء بالنعمة يستدعي مراقبة النفس ومحاسبتها.

المبحث الرابع:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤٥-٤٧)

وفيه مطلبان :

- **المطلب الأول:** الإنذار بالوحي وعقاب الظالمين.
- **المطلب الثاني:** وزن الأعمال يوم القيامة بالقسط ولا بخسٌ ولا ظلم.

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الثالث والثلاثين

الآيات (٤٨-٩١)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤٨-٦٣)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** إبراز العلاقة المشتركة بين التوراة والقرآن.
- **المطلب الثاني:** أسلوب الحوار من الأساليب المهمة في إيصال كلمة الحق.
- **المطلب الثالث:** الثورة والغضب على الطغيان والكفر من أجل الله.

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٦٤-٧٧)

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** إهانة أهل الباطل وإفحامهم بالبراهين الدامغة.
- **المطلب الثاني:** الكفار يستخدمون القوة والبطش لإسقاط الحق وأهله، وتأييد الله لأنبيائه.
- **المطلب الثالث:** الفوز والنجاة لأهل الحق ولمن لجأ إلى الله بصدق.
- **المطلب الرابع:** العلم شرف عظيم وسبب للنجاة والصلاح.
- **المطلب الخامس:** اللجوء إلى الله ﷻ بالدعاء والصبر عند البلاء.

المبحث الثالث:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٧٨-٩١)

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** بيان فضل الله ونعمه التي لا تحصى على أنبيائه وأوليائه.
- **المطلب الثاني:** الشكوى إلى الله مع الرضا لا تقدح في الصبر.
- **المطلب الثالث:** الصبر والصلاح والصدق في الدعاء صفات العابدين.

- **المطلب الرابع:** التأدب مع الله ﷻ في الدعاء والمسارعة في الخيرات.
- **المطلب الخامس:** تنزيه مريم عليها السلام من افتراءات اليهود.

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب الثالث والثلاثين

الآيات (٩٢-١١٢)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٩٢-٩٤)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** وحدة الأمة قائمة على التوحيد.
- **المطلب الثاني:** اقتران الإيمان بالعمل الصالح، والجزاء من جنس العمل.

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٩٥-١٠٦)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** وصف حال الكفار يوم القيامة وما أُعِدَّ لهم.
- **المطلب الثاني:** وصف حال المؤمنين يوم القيامة وما أُعِدَّ لهم.
- **المطلب الثالث:** طي السماء وإرث الأرض.

المبحث الثالث:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (١٠٧-١١٢)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** ختام سلسلة الأنبياء رحمة مهداة.
- **المطلب الثاني:** موقف النبي ﷺ من الناس، وتفويض الحكم لله.

الخاتمة: وفيها أهم التوصيات والنتائج التي توصل إليها الباحث.

الفهارس:

١) فهرس الآيات القرآنية.
٢) فهرس الأحاديث النبوية.
٣) فهرس الأعلام المترجم لهم.
٤) فهرس المصادر والمراجع.
٥) فهرس الموضوعات.

التمهيد

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها وتعريف المقاصد والأهداف وأهميتها.

المبحث الثاني: تعريف عام بسورة الأنبياء.

المبحث الأول:

تعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها وتعريف المقاصد والأهداف وأهميتها.

ويشتمل على ستة مطالب:

- **المطلب الأول:** تعريف الدراسة التحليلية.
- **المطلب الثاني:** متطلبات الدراسة التحليلية.
- **المطلب الثالث:** تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.
- **المطلب الرابع:** أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.
- **المطلب الخامس:** طرق معرفة مقاصد السور والآيات.
- **المطلب السادس:** المؤلفات في علم المقاصد والأهداف.

المطلب الأول: **تعريف الدراسة التحليلية**:

مصطلح الدراسة التحليلية يتألف من جزأين ركبا تركيبًا وصفيًا فنعرف الجزأين ابتداءً ثم نعرف المصطلح المركب.

١) **الدراسة:** "وهي مصدر مشتقة من الفعل الثلاثي (درس)، دارسَ يُدارس، مُدارسَةً، فهو مُدارِس، والمفعول مُدَارَس، دارسه العلمَ: تبادله، دَرَسَه معه" [١].

"ودَرَسَ المنزلُ وغيرُه يدرِس، وَقَالُوا بِالْفَتْح وهو قَلِيل، وبالضمّ قد قيل وَهُوَ كثير، دروسًا، فَهُوَ دارس، ودَرَسْتُ القرآنَ وما أشبهه أدرُسه درسًا.

والمِدْراس: الْموضع الَّذِي يُدرس فيه الْقُرْآن وغيرُه، قَال أبو بكر[٢]: لَا أعرف الْمصدر فيه" [٣].

٢) **التحليلية:** "اسم مؤنَّث منسوب إلى تَحْليل، والتحليل: عملية تقسيم الكل إلى أجزائه، وردُّ الشيء إلى عناصره، ودراسة تحليليّة: تتَّخذ التحليلَ أساسًا لها" [٤].

ويرى الباحث أنه يمكن تعريف الدراسة التحليلية بأنها: هي الطريقة التي يقوم من خلالها الباحث بجمع كل ما هو متعلق بالموضوع محل الدراسة من علوم ودلالات وأسرار واستنباطات، بغية الوصول إلى تحليل بشكل دقيق وعميق للموضوع الذي يبحث فيه.

ويمكن تعريف الدراسة التحليلية للنص القرآني: بأنها قيام الباحث ببذل أقصى جهد لإيضاح مقصود النص القرآني والكشف عن أسراره، واستنباط أهدافه ومقاصده ودلائله، وذلك كله من خلال استخدام أدوات تحليل النص القرآني، كعلوم اللغة والفقه والأصول والأحاديث النبوية والآثار وعلوم القرآن بشتى أنواعها.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط: ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (٧٣٨/١).

(٢) محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية، أبو بكر الأزدي، بصري المولد، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ونشأ بعمان، وتنقل في جزائر البحر، والبصرة، وفارس، وطلب الأدب وعلم النحو واللغة، فأقام بها إلى آخر عمره، توفي في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة. انظر: تاريخ بغداد وذيوله، الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:١، ١٤١٧ هـ، (٢/ ١٩١، ١٩٢).

(٣) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م، (٦٢٧/٢).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، (٥٥٠/١).

المطلب الثاني: **متطلبات الدراسة التحليلية**:

الدراسة التحليلية للنص القرآني تتطلب من الباحث أن يكون ملمًا بخصائص متعددة نذكر بعضها:

١. أن يكون الباحث مطلعًا على كثير من العلوم الشرعية، كعلوم القرآن وعلوم اللغة والفقه والحديث والسيرة وغيرها من العلوم.
٢. أن يلتزم الباحث في دراسته التحليلية للنص القرآني منهج السلف الصالح في العقيدة، وفهم النصوص في ظل القرآن والسنة، فلا يتعصب لرأيه ولا يمتدحه دون من هو أصح من رأيه وأقوم.
٣. أن يربط الباحث النصوص القرآنية بعد تحليلها بواقع الأمة وحاضرها، ليكون له دور كبير في إنقاذ الناس من الضلال والضياع، وإرشادهم إلى طريق الهدى والصلاح.
٤. أن يتوفر لديه الفطنة والذكاء والقدرة على الفهم والاستنتاج، وأن تكون لديه الفراسة الكافية لتجعله يصيب عند الترجيح بين الأقوال، فيختار منها الأمثل والأصوب.
٥. التقوى فيما بينه وبين الله وإخلاص النية لله عزَ وجل، فالتقوى والإخلاص خير زاد لمن أراد أن ينهل من العلم، وأن يرزق السداد والهدى ليفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام.
٦. الاعتماد بشكل أساسي وكبير على علوم القرآن، فإن الباحث في مقاصد وأهداف السور والآيات القرآنية، يعتمد في دراسته التحليلية للنص القرآني بشكل كبير على علوم القرآن، كعلم القراءات وعلم المناسبات وأسباب النزول والمكي والمدني وغيرها من العلوم.

المطلب الثالث: **تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات**:

١) **المقاصد في اللغة:** "جمع مقصد وأصلها يرجع إلى الفعل الثلاثي (قصد)، قَصَدْتُ الشَّيْء ولهُ وإِلَيْه قَصدًا منْ بابِ ضَرَبَ طَلَبْتُهُ بعيْنه" [(١)].

"والقصد: الاعتماد والأمّ وطلب الشيء وإتيانه، وقصدك أي اتجاهك، والقصد إتيان الشيء: تقول قصدته وقصدت له وقصدت إليه" [(٢)].

"وتستعمل لفظة القصد بمعنى: الغرض والهدف، يقال فهم غرضه أي قصده، والغرض هو الهدف الذي يرمى إليه" [(٣)].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، (٥٠٤/٢).

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: ٣ – ١٤١٤ هـ، (٣٥٣/٣).

(٣) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، ط: ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، (ص ٢٢٦).

٢) **الأهداف في اللغة:** جمع مفردها هدف "وهو كل شيء مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل ومنه سمي الغرض هدفًا وبه شبه الرجل العظيم" [١].

وقد عرف الإمام البقاعي[٢] علم مقاصد وأهداف السور فقال: "هو علم يعرف منه مقاصد السور، وموضوعه: آيات السور، كل سورة على حيالها" [٣].

ويرى الباحث أنه من الممكن أن نعرف المقاصد والأهداف للسور والآيات القرآنية: بأنها علم يعرف من خلاله مغزى وغاية السورة الجامع لمعانيها ومضمونها. ويستطيع الباحث أن يصل إلى هذا المغزى من خلال فهم الآيات وإبراز معاني المفردات وربطها بالواقع.

المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات:

تتبين أهمية معرفة مقاصد وأهداف الآيات والسور من خلال:

١) أن علم مقاصد السور راجع إلى تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن كله وهو التدبر والهداية، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، فالله ﷻ أمرنا بالتدبر، لمعرفة مراده تعالى من كلامه والعمل به، وليس المقصود بالتدبر هو النظر في عباراته وألفاظه دون النظر لمقاصده ومراد الله تعالى فيه، وما تهدي إليه سوره وآياته من الهدايات والدلالات التي بها يتحقق الفهم والعمل، ومن هنا تتبين أهمية علم المقاصد، إذ أنه يركز على تحقيق مراد الله تعالى في كلامه، بالنظر إلى مجمل السورة وبيان مجمع معانيها.

قال الشاطبي[٤]: "فإن كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التفقه في العبارة، وإنما التفقه في المعبّر عنه والمراد به، كما يعلم من أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات، فلا محيص للمتفهم عن التعلق بأول الكلام وآخره ليحصل له المقصود منه، فإن فرّق النظر لم يتوصل إلى المراد"[٥].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (٣٤٦/٩).

(٢) البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي الشافعي، برهان الدين، أبو الحسن، العلامة المحدث الحافظ، ولد سنة ٨٠٩ هـ تقريبًا. انظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي، دار النشر: المكتبة العلمية – بيروت، (ص ٢٤).

(٣) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض، ط: ١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م، (١٥٥/١).

(٤) الشاطبي: هو إبراهيم بن موسى بن محمد أبو إسحاق اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، وكنيته التي عرف بها أبو إسحاق، قيل ولد سنة عشرين وسبعمائة، وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة تسعين وسبعمائة. انظر: موسوعة مواقف السلف، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب، ط: ١، (٤٠٤،٤٠٥/٨).

(٥) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط: ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، (٤٠٩/٣).

٢) أن مقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليه، فهو أصل في فهم معاني كلام الله ﷻ، ولهذا فإن معاني السورة لا تتحقق إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر واستخراج مقصدها.

وقد قرر ذلك الشاطبي فقال: "اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها، كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها" [١].

٣) "أن معرفة مقصد السورة الذي تنتظم به معانيها وآياتها سبيل للسلامة من الخطأ وتفسير كلام الله على غير مراده" [٢].

٤) أن تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله ﷻ مؤتلفًا منتظمًا على نحو كمال نظمه ومعناه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص وكالعقد المتناسق.

قال الإمام البقاعي في بيان أثره في السورة: "تكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة[٣] البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغرّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها" [٤].

وقال الدكتور محمد دراز[٥] في كتابه النبأ العظيم مؤكدًا ذلك ومجليه: "لماذا نقول إن المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا، بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية"[٦].

---

(١) الموافقات، الشاطبي، (٤١٥/٣).

(٢) علم مقاصد السور، د. محمد بن عبد الله الربيعة، (ص ١٢).

(٣) الدَّوحة: قال الخزاعي: هي الشجرة الواسعة التي قد سقطت غصونها من كل ناحية؛ يقال: مظلة دوحة، إذا كانت عظيمة واسعة. انظر: كتاب الجيم، أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء، (٢٧٥/١).

(٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (١٤٩/١).

(٥) الأستاذ الدكتور: محمد عبد الله دراز، أحد أعلام الأزهر بوجه خاص، وعلماء الإسلام بوجه عام، في القرن الماضي، ولد عام ١٨٩٤م، وهو عالم فذ، وداع ملهم، جمع بين العلم والعمل، وتوفي رحمه الله عام ١٩٥٨م. انظر: مقدمة كتاب النبأ العظيم، محمد دراز، تقديم أ.د عبد العظيم إبراهيم المطعني، (ص٥).

(٦) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد دراز، تقديم: الدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، (ص ١٥٥).

٥) دعوة الناس إلى التدبر في كتاب الله ﷻ من خلال علم المقاصد والأهداف للسور والآيات فالناظر لهذا العلم يجد ما يعينه على طاعة الله وإخلاص العمل لله ﷻ ويستخلص منه العبر والدلالات الواضحة البينة.

٦) "تعويد حملة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، على التنقيب والبحث واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة في كل زمان لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين على استنباط الأحكام التشريعية" [١].

٧) إعمال العقول في البحث عن مراد ومقصود الله ﷻ في كل آية من آيات القرآن الكريم، وتوسيع الآفاق والمدارك عند الباحثين في أسرار وإعجاز القرآن الكريم.

٨) الاعتناء بعلم مقاصد السور يؤدي حتمًا إلى اليقين بعصمة القرآن ورسوخ الإيمان بأنه كلام الله حقًا، فتشرق النفس وتقر العين ويزداد نور القلب.

المطلب الخامس: **طرق معرفة مقاصد السور والآيات**:[٢]

١) أول ما ينبغي معرفته للوصول إلى مقاصد السور والآيات هو الفهم الصحيح للمقصد وضابطه فإن ذلك يهدي للطريق الصحيح إليه.

٢) أن ينص أحد العلماء المعروفين بالتحقيق في العلم أن موضوع هذه السورة كذا، مثال ذلك: قول بعض العلماء عن (سورة الإخلاص) أنها تقرر التوحيد العلمي الخبري من خلال ذكر بعض صفات الله عز وجلّ.

٣) أن يكون موضوع السورة ظاهرًا من مطلعها وفواتحها، فيظهر للمفسر أن كل السورة مبني على أولها، وفواتحها مؤثرة في موضوعها ومقصودها؛ مثال ذلك: (سورة القيامة)، فإن مطلعها: ﴿**لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾، ثم إن كل ما فيها ذكر لأحوال يوم القيامة وما يسبقه من الموت، ووسائل الإيمان بيوم القيامة، ولابن القيم في كتابه "بدائع الفوائد" تأكيد على تأثير مطالع السور ولو كانت حروفًا، على ما تتضمنه تلك السور من معانٍ.

قال الإمام البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: "وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالًا على تفصيل ما فيه" [٣].

---

(١) التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، (١٥٨/٣).

(٢) انظر: علم مقاصد السور، د. محمد الربيعة، (ص ٤٧-٥٥)، باختصار.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٨،١٩/١).

٤) معرفة مقدمات السورة من أحوال نزولها، وفضائلها، وخصائصها: ولا بُدَّ لمن أراد الوصول لمقصد السورة أن يبدأ بحثه في السورة ومقصدها بمعرفة ما يتعلق بالسورة من الظروف والأحوال التي نزلت فيها السورة من كونها مكية أو مدنية، وسبب نزولها، وفضائلها، وخصائصها، فإن ذلك مفتاح رئيس للوصول لغرضها.

٥) المعايشة الروحية الحية للسورة: قال سيد قطب[١] رحمه الله: "إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يقبل عليه بهذه الروح، روح المعرفة المنشئة للعمل" [٢].

٦) الرجوع إلى الكتب والتفاسير والمصنفات التي تعتني بمقاصد السور، والاستعانة بهذه الكتب لاستخلاص المقاصد والأهداف من السور القرآنية.

٧) الالتزام بضوابط التفسير: ومن ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، لأن القرآن يبين بعضه بعضًا، وأن ينظر الباحث في هذا العلم لأقوال الرسول ﷺ لأنه أعرف الخلق بالله ﷻ وبمعاني كلامه، ولأقوال صحابته الكرام رضوان الله عليهم.

٨) الرجوع إلى الكتب والآراء الواردة عند السلف في بيان ما أنزلت فيه السور وما يكون منطلقًا لتحديد مقاصدها.

٩) مراعاة السياق والقرائن: إن فهم جزء من الكلام دون فهم بقيته يعد نقصًا، فكيف بكلام الله ﷻ إذ لابد من فهم الكلام ضمن السياق الذي جيء فيه.

١٠) إمعان النظر في دلالات الكلمات والألفاظ وسر اختيارها، وما يتكرر في السورة من الألفاظ والأحرف.

المطلب السادس: المؤلفات في علم المقاصد والأهداف:

يعد الإمام البقاعي رحمه الله رائد وعمدة علم مقاصد السور، فهو الذي أرسى قواعده وخط منهجه، وأول من جعله علماً مستقلًا وأفرده في مؤلفاته.

ويمكن لنا أن نقسم المفسرين في العناية بهذا العلم إلى أصناف: [٣]

الصنف الأول: المفسرون الذين أشاروا لمقاصد السورة من غير تصريح، فنجد أن غالب المفسرين المتقدمين قد عنوا بهذا العلم ضمن عنايتهم بعلم النزول وأحواله، وعنايتهم بعلم المناسبات، دون التصريح بلفظ الغرض أو المقصد ومن هؤلاء:

- ابن جرير الطبري في تفسيره " جامع البيان في تأويل آي القرآن ".

---

(١) سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية(موشا) في أسيوط، تخرج من كلية دار العلوم بالقاهرة سنه ١٣٥٣هـ(١٩٣٤م)، وعمل في جريدة الأهرام، من كتبه: (المستقبل لهذا الدين) وفي (ظلال القرآن) و (معالم في الطريق)، حكم عليه بالإعدام سنة ١٩٦٦م. انظر: الأعلام، الزركلي، (١٤٧/٣).

(٢) معالم في الطريق، سيد قطب، (١٨/١).

(٣) انظر: علم مقاصد السور، د. محمد عبد الله الربيعة، (٢٩-٤٤)، باختصار.

- ابن عطية في تفسيره " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ".
- ابن كثير في تفسيره " القرآن العظيم ".
- الإمام القرطبي في تفسيره " الجامع لأحكام القرآن ".

الصنف الثاني: المفسرون والعلماء الذين صرحوا بمقصد السورة، وكان لهم عناية في هذا العلم، من غير أن يكون لهم تصريح محدد في ذلك ومن هؤلاء:

- الزمخشري[١] في تفسيره " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل".
- تفسير الفخر الرازي.
- الشاطبي في كتاب الموافقات.

الصنف الثالث: المفسرون والعلماء الذين عنوا بعلم مقاصد السورة وسلكوا فيه منهجًا في تفاسيرهم ومن هؤلاء:

- الفيروز أبادي في كتابه: " بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز".
- البقاعي في كتابيه: " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور" و" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".
- سيد قطب في تفسيره " في ظلال القرآن ".
- الطاهر بن عاشور[٢] في تفسيره " التحرير والتنوير".
- تفسير الشيخ أحمد مصطفى المراغي.
- محمد علي الصابوني في كتابيه: " قبس من نور القرآن" و " صفوة التفاسير".
- وهبة الزحيلي في كتابه " التفسير المنير".
- عبد الله شحاته في كتابه " أهداف من كل سورة".

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها عام ٥٣٨ هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، (١٧٨/٧).

(٢) محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (باشا)، ولي قضاءها سنة ١٢٦٧ هـ ثم الفتيا (سنة ١٢٧٧) فنقابة الأشراف. وتوفي بتونس عام ١٣٩٣هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، (١٧٣/٦).

المبحث الثاني

تعريف عام بسورة الأنبياء:

ويشتمل على خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة وعدد آياتها.
- **المطلب الثاني:** مكان وزمان نزول السورة.
- **المطلب الثالث:** فضائل السورة.
- **المطلب الرابع:** محور السورة والمناسبة بين اسمها ومحورها.
- **المطلب الخامس:** المقاصد العامة للسورة وأغراضها.

المطلب الأول: **أسماء السورة وعدد آياتها**:

سورة الأنبياء جديرة باسمها، فهي تتحدث عن الأنبياء عليهم السلام وعن مقتطفات من قصصهم وأحوالهم مع أقوامهم، وتذكر المصير الذي وصل إليه من صدَّقَ بدعوة الأنبياء عليهم السلام ومصير من كذب وجحد(١).

قال القاسمي(٢): "سميت بذلك لاشتمالها على فضائل جليلة، لجماعة منهم عليهم السلام، وهي مائة واثنتا عشرة آية" (٣).

ولم يعرف لها اسم غير الأنبياء وسماها السلف بذلك، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **(بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العتاق الأول وهن من تِلادي)**(٤).

ووجه تسميتها بسورة الأنبياء أنها ذكر فيها أسماء ستة عشر نبيًا ومعهم مريم عليها السلام، ولم يأت في سور القرآن مثل هذا العدد من أسماء الأنبياء إلا في سورة الأنعام، فقد ذكر فيها أسماء ثمانية عشر نبيًا في قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَيُونُسَ وَلُوطاً**﴾ [الأنعام: ٨٣– ٨٦]، فإن كانت سورة الأنبياء هذه نزلت قبل سورة الأنعام فقد سبقت بالتسمية بالإضافة إلى الأنبياء وإلا فاختصاص سورة الأنعام بذكر أحكام الأنعام أوجب تسميتها بذلك الاسم فكانت سورة الأنبياء أجدر من بقية سور القرآن بهذه التسمية، على أن من الحقائق المسلمة أن وجه التسمية لا يوجبها، وعدد آيها في عد أهل المدينة ومكة والشام والبصرة مائة وإحدى عشرة وفي عد أهل الكوفة مائة واثنتا عشرة(٥).

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي، (٩/ ٤٨١٩).

(٢) جَمَال الدين القاسِمي (١٢٨٣ – ١٣٣٢ هـ = ١٨٦٦ – ١٩١٤ م)، جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علما بالدين، وتضلعًا من فنون الأدب، مولده ووفاته في دمشق، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. انظر: الأعلام، الزركلي (١٣٥/٢).

(٣) محاسن التأويل، (٧/ ١٧٢).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: {ومنكم من يرد إلى أرذل العمر} [النحل: ٧٠]، (٨٢/٦)، ح رقم ٤٧٠٨. وقال د. مصطفى ديب البغا في شرحه وتعليقه على الحديث: (العتاق) جمع عتيق وهو كل شيء بلغ الغاية في الجودة والمراد تفضيل هذه السور لما يتضمنه كل منها من أمر غريب خارق للعادة كالإسراء وقصة أصحاب الكهف وقصة حمل مريم عليها السلام ونحو ذلك. (الأول) باعتبار نزولها فإنها نزلت في مكة قبل الهجرة. (تلادي) محفوظاتي القديمة والتالد والتلاد كل ما كان قديمًا.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥،٦/١٧)، بتصرف.

المطلب الثاني: **مكان وزمان نزول السورة**:

أولًا: مكان نزولها:

سورة الأنبياء نزلت في مكة، وقد أجمع السلف على ذلك، وروي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قوله: أن سورة الأنبياء من العتاق الأول ومن قديم ما حفظ واكتسب من القرآن الكريم[١].

ومن خلال ما سبق يتبن أن سورة الأنبياء نزلت في مكة على الأرجح والأظهر، وعند النظر في سياق السورة نجد أنها تتحدث عن إثبات التوحيد وهو أمر عقدي وليس تشريعي، ونحن نعلم أن القرآن المكي جاء ليبني العقيدة الصحيحة ويثبتها في نفوس العباد، وأيضًا تتحدث هذه السورة في سياقها عن تجارب الأنبياء والرسل مع أقوامهم، وسيقت تلك القصص تسليةً من الله تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ، والنبي ﷺ كان في مكة بأمس الحاجة إلى من يطمئنه ويثبت فؤاده، لأن المشركين أذاقوه وأصحابه شتى صنوف العذاب.

قال ابن عاشور: "هي مكية بالاتفاق، وحكى ابن عطية والقرطبي[٢]، الإجماع على ذلك ونقل السيوطي في (الإتقان) استثناء قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ولم يعزه إلى قائل، ولعله أخذه من رواية عن مقاتل[٣] والكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المعنى ننقصها بفتح البلدان، أي بناء على أن المراد من الرؤية في الآية الرؤية البصرية، وأن المراد من الأرض أرض الحجاز، وأن المراد من النقص نقص سلطان الشرك منها، وكل ذلك ليس بالمتعين ولا بالراجح" [٤].

ثانيًا: زمان نزولها:

"نزلت سورة الأنبياء بعد حم السجدة وقبل سورة النحل، فتكون من أواخر السور النازلة قبل الهجرة، ولعلها نزلت بعد إسلام من أسلم من أهل المدينة كما يقتضيه قوله تعالى: ﴿**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣]" [٥].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١ – ١٤٢٢ هـ، (٧٣/٤).

(٢) القرطبي: هو أَبُو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، توفي عام٦٧١هـ. انظر: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد عجمي المصري الشافعي (ت : ١٤٠٩هـ)، الناشر: مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط : ٢، (٨١١/٢).

(٣) هو مقاتل بن سليمان البلخي صاحب التفسير والمناكير روى عن الضحاك ومجاهد والزهري وابن بريدة روى عنه عبد الرزاق وغيره، قال وكيع: مات مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة. انظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، (٣٥٤/٨) .

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥،٦/١٧).

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

المطلب الثالث: فضائل السورة:

فضائل السورة: سورة الأنبياء سورة عظيمة، فيها المواعظ والعبر والدلالات، وقد أدرك ذلك خيار الناس، "روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هانئ أنه قال:

أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية [١]حيث يقول:

الناس في غفلاتهم ... ورحا المنية تطحن[٢]

فقيل له: من أين أخذ هذا؟ قال من قول الله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء :١]، وروى عن عامر بن ربيعة ﷺ أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامر مثواه، وكلم فيه رسول الله ﷺ فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من رسول الله ﷺ واديًا في العرب، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك، فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون)" [٣].

"وروي أن رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ كان يبني جدارًا فمر به آخر في يوم نزول هذه السورة، فقال الذي كان يبني الجدار: ماذا نزل اليوم من القرآن؟ فقال الآخر: نزل ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾ فنفض يده من البنيان، وقال: والله لا بنيت أبدًا وقد اقترب الحساب" [٤].

المطلب الرابع: محور السورة والمناسبة بين اسمها ومحورها:

أولًا: محور السورة:

معالم التوحيد وإثبات الميعاد في دعوة الأنبياء، وموقف الناس من ذلك[٥].

ثانيًا: المناسبة بين اسم السورة ومحورها:

"ظاهرة، لأن مهمة الأنبياء عليهم السلام تقوم على تصحيح عقائد الناس، وتطهيرها من الخلود إلى الدنيا، والوقوف عندها، ولا يتم ذلك إلا بإثبات التوحيد والمعاد" [٦].

---

(١) أبو العتاهية (الوفاة: ٢١١ – ٢٢٠ هـ)، الشاعر المشهور، هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي، مولاهم الكوفي، نزيل بغداد، ولقبوه بأبي العتاهية لاضطراب كان فيه، وقيل: بل كان يحب الخلاعة فكني بأبي العتاهية لعتوه. انظر: تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، (٤٨٦/٥).

(٢) البيت في ديوان أبي العتاهية (ص ٤٢٩)، وهو بلا نسبة في كتاب العين، للفراهيدي، (٣/ ٢٩٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط العلمية، (٢٩٠/٥،٢٩١).

(٤) تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن"، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، (٢٦٦/١١).

(٥) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٨٢٤/٩)، قال الشيخ أبو زهرة رحمه الله تعالى (...وصلبها التوحيد، وما لقيه النبيون في سبيل هذه الدعوة التي هي الحق، وضل من يعاندها).

(٦) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٢/٥).

المطلب الخامس: المقاصد العامة للسورة وأغراضها:

أولًا: المقاصد العامة للسورة:

قال سيد قطب مبينًا للمقاصد العامة في سورة الأنبياء: والسياق في هذه السورة يمضي في أشواط أربعة:

الأول: لفت أنظار الناس إلى الخطر القريب المحدق، وهي عنه غافلة لاهية، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١]، ثم هزَّ الله قلوب الغافلين بمشهد من مصارع الغابرين، الذين كانوا عن آيات ربهم غافلين، فعاشوا سادرين في الغي ظالمين، قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١١ – ١٥].

ثم يربط بين الحق والجد في الدعوة، والحق والجد في نظام الكون، وبين عقيدة التوحيد ونواميس الوجود، وبين وحدة الخالق المدبر ووحدة الرسالة والعقيدة، ووحدة مصدر الحياة ونهايتها ومصيرها على النحو الذي أسلفناه.

فأما الشوط الثاني: فيحذر الله تبارك وتعالى الكفار الذين يواجهون الرسول ﷺ بالسخرية والاستهزاء، بينما الأمر جد وحق، وكل ما حولهم يوحي باليقظة والاهتمام.

وهم يستعجلون العذاب والعذاب منهم قريب، وهنا يعرض مشهدًا من مشاهد القيامة، ويلفتهم إلى ما أصاب المستهزئين بالرسل قبلهم، ويقرر أن ليس لهم من الله ﷻ من عاصم، ويوجه قلوبهم إلى تأمل يد القدرة وهي تنقص الأرض من أطرافها، وتزوي رقعتها وتطويها، فلعل هذا أن يوقظهم من غفلتهم التي جاءتهم من طول النعمة وامتداد الرخاء.

وينتهي هذا الشوط بتوجيه الرسول ﷺ إلى بيان وظيفته: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، وإلى الخطر الذي يتهددهم في غفلتهم: ﴿**وَلا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ**﴾ حتى تنصب الموازين القسط وهم في غفلتهم سادرون.

ويتضمن الشوط الثالث: استعراض أمة النبيين، وفيها تتجلى وحدة الرسالة والعقيدة، كما تتجلى رحمة الله ﷻ بعباده الصالحين وإيحاؤه لهم وأخذ المكذبين.

أما الشوط الرابع والأخير: إثبات الجزاء والحساب ويوم القيامة، وعرض النهاية والمصير في مشهد ذلك اليوم المثير، ويتضمن ختام السورة بمثل ما بدأت: إيقاعًا قويًا، وإنذاراً صريحًا، وتخلية بينهم وبين مصيرهم المحتوم[1].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط: ١٧ – ١٤١٢ هـ، (٤/ ٢٣٦٧، ٢٣٦٦)، بتصرف.

ثانياً: أغراض السورة:

- "الإنذار بالبعث، وتحقيق وقوعه وإنه لتحقق وقوعه كان قريبًا.
- وإقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم وخلق الموجودات من الماء.
- والتحذير من التكذيب بكتاب الله ﷻ ورسوله ﷺ.
- والتذكير بأن هذا الرسول ﷺ ما هو إلا كأمثاله من الرسل عليهم السلام وما جاء إلا بمثل ما جاء به الرسل من قبله.
- وذكر كثير من أخبار الرسل عليهم السلام.
- والتنويه بشأن القرآن وأنه نعمة من الله على المخاطبين وشأن رسول الإسلام ﷺ وأنه رحمة للعالمين.
- والتذكير بما أصاب الأمم السالفة من جراء تكذيبهم رسلهم وأن وعد الله ﷻ للذين كذبوا واقع لا يغرهم تأخيره فهو جاء لا محالة.
- وحذرهم من أن يغتروا بتأخيره كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة، وذكر من أشراط الساعة فتح يأجوج ومأجوج.
- وذكرهم بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق ﷻ.
- ومن الإيماء إلى أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أتقن وأحكم لتجزى كل نفس بما كسبت وينتصر الحق على الباطل.
- ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق ﷻ إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة.
- وتنزيه الله تعالى عن الشركاء وعن الأولاد والاستدلال على وحدانية الله تعالى.
- وما يكرهه على فعل ما لا يريد.
- وأن جميع المخلوقات صائرون إلى الفناء.
- وأعقب ذلك بتذكيرهم بالنعمة الكبرى عليهم وهي نعمة الحفظ.
- ثم عطف الكلام إلى ذكر الرسل والأنبياء عليهم السلام.
- وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم بأحوال محمد ﷺ وأحوال قومه.
- وكيف نصر الله ﷻ الرسل على أقوامهم واستجاب دعواتهم.
- وأن الرسل كلهم جاءوا بدين الله وهو دين واحد في أصوله قطعه الضالون قطعًا.
- وأثنى على الرسل عليهم السلام وعلى من آمنوا بهم.
- وأن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة، وأن الله ﷻ سيحكم بين الفريقين بالحق ويعين رسله على تبليغ شرعه" [1].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧/٨،٧،٦).

الفصل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الأول من الحزب الثالث والثلاثين

الآيات (١-٢٤)

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١-٥)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٦-١٠)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١١-١٥)

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١٦-٢٤)

المبحث الأول:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١-٥)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** أعظم أسباب الإعراض عن الإيمان الغفلة واللهو.
- **المطلب الثاني:** إحاطة علم الله بكل شيء، والافتراء ديدن المشركين.

المطلب الأول: **أعظم أسباب الإعراض عن الإيمان الغفلة واللهو**:

قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٣﴾[الأنبياء: ١ – ٣].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**غَفْلَةٍ**﴾: "مصدر غَفَل يغفل غفولًا وغفلةً: تركه وسهى عنه، وأنشد ابْنُ بَرِّيٍّ[١] في الغفول:

فَآبَكَ هَلَّا واللَّيالي بِغِرَّةٍ ... تَدُورُ، وَفِي الأَيام عَنْكَ غُفُولُ

وأغفلت الرجل: أصبته غافلًا، وعلى ذلك فسَّرَ بعضُهم قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا**﴾ [الكهف: ٢٨]" [٢].

والغفلة: تناسي الشيء والإعراض عنه والذهول عن تعلمه، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ**﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿**ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٦] [٣].

٢) ﴿**مُعْرِضُونَ**﴾ "الإعراض: صرف الْعقل عن الاشتغال بالشيء، قال تعالى: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ**﴾ [النِّسَاءِ: ٦٣]، وقال: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ فِي سُورَةِ [الأنعام: ٦٨]" [٤].

٣) ﴿**مُحْدَثٍ**﴾ الحدوث: ضد القدم ونقيضه، حدث الشيء يحدث حدوثًا وحداثة، وأحدثه هو، فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه[٥].

والمعنى: "أي محدث في التنزيل" [٦].

---

(١) عبد الله بن بري بن عبد الجبار المقدسي الأصل المصري، أبو محمد، ابن أبي الوحش: من علماء العربية النابهين، ولد ونشأ وتوفي بمصر، وولي رياسة الديوان المصري. انظر: الأعلام، للزركلي، (٧٣/٤).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (٤٩٧،٤٩٨/١١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، (١٠/١٧).

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، (٢٥٢/٣).

(٦) باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق) (ت: بعد ٥٥٣هـ)، المحقق: سعاد بابقي، الناشر: جامعة أم القرى، عام النشر: ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، (٩٢٢/٢). وانظر: تذكرة الأريب في تفسير الغريب، ابن الجوزي، (ص ٢٣٦).

٤) ﴿**يَلْعَبُونَ**﴾ "لعِب الشَّخصُ: عمِل عملًا لا ينفع، عكسه جَدَّ، مثل قوله: ﴿**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا**﴾ [الزخرف: ٨٣]، ﴿**إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢]، يستهزئون ويهزلون" [١].

٥) ﴿**لَاهِيَةً**﴾: "غافلة باللهو عن الذكر أو مشتغلة بالباطل عن الحق" [٢].

٦) ﴿**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى**﴾: "أي أسروا التناجي والكلام، والمراد: أنهم أخفوا التناجي وبالغوا في الإخفاء فيما بينهم كيدًا وعنتًا" [٣].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

"تظهر مناسبة هذه الآيات التي افتتحت بها سورة الأنبياء لما قبلها من أواخر سورة طه من ناحيتين:

الأولى: الإشارة إلى قرب الأجل المسمى للعذاب، ودنو الأمل المنتظر، فقال تعالى في آخر سورة طه: ﴿**وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى**﴾ [طه: ١٢٩] ثم قال: ﴿**قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا**﴾ [طه: ١٣٥]، وقال تعالى في مطلع هذه السورة: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**﴾.

والثانية: التحذير من الاغترار بالدنيا، والعمل للآخرة، فقال تعالى في آخر سورة طه: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَياةِ الدُّنْيا..**﴾ [طه: ١٣١]، فإن قرب الساعة يقتضي الإعراض عن زهرة الحياة الدنيا لدنوها من الزوال والفناء، وختمت سورة الأنبياء بمثل ما بدئت به السورة المتقدمة، فأبان الله ﷻ أنه بالرغم من قرب الساعة والحساب، فإن الناس غافلون عنها، ولاهون عن القرآن والاستماع إليه" [٤].

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير[٥] في برهانه: "لما تقدم قوله سبحانه: ﴿**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ**﴾ [طه: ١٣١]، إلى قوله: ﴿**فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدى**﴾ [طه: ١٣٥]، قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾" [٦].

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، (٢٠١٤/٣).

(٢) تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، ط: ١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، (٣١٨/٢).

(٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر– دمشق، ط: ٢، ١٤١٨ هـ، (١٠/١٧).

(٤) المرجع السابق، (٥،٦/١٧).

(٥) هو حمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، انتهت إليه الرياسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول، وكان معظمًا عند الخاصة والعامة. انظر: الأعلام، الزركلي، (٨٦/١).

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٣٧٩،٣٨٠/١٢).

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

نبّه الله ﷻ في مطلع سورة الأنبياء على اقتراب وجود الساعة (القيامة) ودنوّها، وصور لنا هذا بصيغة الماضي، مبينًا أنه قد بات في حكم المقطوع به، المقرر القائم، أنه قرب زمان حساب الناس على أعمالهم في الدنيا، ولكن الناس في حياتهم ساهون غافلون، لاهون معرضون عن التأهب للحساب، والتفكر في الآخرة.

ودليل غفلة الناس: أنه ما يأتي الكفار من قريش وأشباههم من قرآن جديدٌ إنزاله، ينزل سورة سورة، وآية آية، على وفق المناسبات والوقائع إلا استمعوه، وهم لاهون ساخرون مستهزءون، متشاغلة قلوبهم عن التأمل وتفهّم معناه، وهذا ذم صريح للكفرة، وزجر لأمثالهم عن تعطيل الانتفاع بما يسعدهم، وقوله تعالى: ﴿**مُحْدَثٍ**﴾ يراد به الصوت المسموع فهو حادث بلا شك، وأما أصل القرآن الذي هو كلام الله فهو قديم بقدم الله تعالى، وفي هذا الكلام ردٌ على المعتزلة القائلين بحدوث القرآن، قال البوصيري[١] في بردته:

آيات حق من الرحمن محدثة ... قديمة صفة الموصوف بالقدم[٢]

وبعد نزول القرآن على محمد ﷺ يجتمع رجال قريش ويتكلمون بخفية ويسرون الحديث، ويقولون بأن محمد من البشر ويتهمونه بالسحر فكيف تسمعون لهذا الساحر الذي يريد أن يفتنكم عن دينكم[٣].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله ﷻ: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ**﴾ أسلوب بديع يفتتح به الكلام لما فيه من الغرابة وإدخال الخوف في قلوب المنذرين، وفي قوله (اقترب) كناية عن شدة اقتراب وقوع الحساب[٤].
- "التعدية باللام في قوله تعالى: ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**﴾ لتوكيد الحساب، وتنبيه الأفهام، وتقدير القول: اقترب حساب الناس، فكأن النص السامي أبهم الحساب، بأن الاقتراب للناس، ثم بين أنه ليس لذواتهم، بل لحسابهم، وفي التوضيح بعد الإبهام فضل توكيد للمعنى، وزيادة في الترهيب بالإشارة إلى أن الاقتراب منهم" [٥].

---

(١) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، أبو عبد الله: شاعر، حسن الديباجة، مليح المعاني، نسبته إلى بوصير (بني سويف، بمصر) أمّه منها، وأصله من المغرب من قلعة حماد، ومولده في بهشيم، ووفاته بالإسكندرية عام ٦٩٥هـ، له ديوان شعر وأشهر شعره البردة. انظر: الأعلام، الزركلي، (٦/ ١٣٩).

(٢) مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، الناشر: دار المعرفة – دمشق، ط: ١ – ١٤٠٨ هـ، (ص٢٣).

(٣) التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي، الناشر: دار الفكر– دمشق، ط: ١ – ١٤٢٢هـ، (٢/ ١٥٦٦)، بتصرف. وانظر: التفسير المنير، (١٦/١٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٨/١٧).

(٥) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٨٢٥/٩، ٤٨٢٦).

- في قوله: ﴿**وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ**﴾ جاءت (غفلة) نكرة لتفيد التعظيم والتفخيم في وصف حال الناس[١].
- قوله: ﴿**وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ "قال الكسائي[٢]: فيه تقديم وتأخير، أي: والذين ظلموا أسروا النجوى" [٣].

وفائدة تقديم الخبر على المبتدأ هنا التقرير والتأكيد والاختصاص.

- في قوله: ﴿**أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ**﴾ "الاستفهام إنكاري وأراد بالسحر الكلام الذي يتلوه عليكم.

وأطلق ﷻ لفظ الإتيان على إقبالهم وحضورهم للمجالس على طريق المجاز أو الاستعارة، لأن الإتيان لشيء يقتضي الرغبة فيه، ويجوز أن يراد بالإتيان هنا حضور النبي ﷺ لسماع دعوته فجعلوه إتيانًا، لأن غالب حضور المجالس أن يكون بإتيان إليها، وجعلوا كلامه سحرًا فنهوا من ناجوهم عن الاستماع إليه، وهذا كقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ في سورة [فصلت: ٢٦]" [٤].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) إن أعظم الأسباب التي تجعل الإنسان يعرض عن الإيمان، غفلته عن آيات ربه وتشاغله عن الذكر والتأمل في الموجودات من حوله وتعلقه بالدنيا الزائفة وملذاتها الزائلة[٥].

٢) حث الناس على التّجهز والاستعداد للحساب في اليوم الموعود، فالله خلق الخلق لغاية عظمى وهي العبادة لله وحده، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالمحسن يثاب والمسيء يعاقب، ولن يفلت أحد من حساب ذلك اليوم المشهود[٦].

٣) في قوله تعالى: ﴿**ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ تقريع للكافرين على مكافحة الحكمة بنقيضها، وتسجيل عليهم بالجهل الفاضح.

---

(١) انظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط: ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، (٢/ ٢٣٦).

(٢) الكسائي: الإمام، شيخ القراءة والعربية، أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم، الكوفي، الملقب: بالكسائي؛ لكساء أحرم فيه، مات بالري، بقرية أرنبوية، سنة تسع وثمانين ومائة، عن سبعين سنة، قال الذهبي: وفي تاريخ موته أقوال، فهذا أصحها. انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٩/١٣٤،١٣١).

(٣) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: ١ – ١٤١٤ هـ، (٣/٤٧٠).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧/١٤).

(٥) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف أ.د مصطفى مسلم (١٤٣١هـ –٢٠١٠م)، (٥/٧).

(٦) المرجع السابق، نفس الصفحة، بتصرف.

فإن مِنْ حقِّ مَنْ يُذَكِرُ أكملَ تذكير، ويُنبِهُ على الغفلة أتمَّ تنبيه، أن تخشع له القلوب وتخافه وتهابه الأنفس، وكيف لنا أيضًا أن نغفل عن كلام قالت عنه الجن قرآنًا عجبًا، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فُزِّعَ عن قلوبهم، قال: فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحقَّ، فيقولون: الحقَّ، الحقَّ)**[١].

فلعظمة هذا القرآن ترتجف السموات وتخشع، ولذا وجب علينا عند استماع آيات القرآن أن نخشع وأن نتدبر ونتأمل ولا نكون من اللاهين المتشاغلين[٢].

٤) يتناجى الكفار عند نزول القرآن، مرددين: هل هذا الرجل محمد إلا بشر كغيره من الناس في عقله، وتفكيره، وتكوينه، فهو في الحقيقة بشر مثله مثلكم لا يختلف عنكم، ويتهمون النبي ﷺ بأنه ساحر[٣].

٥) الظلم السافر الذي يؤدي بالإنسان إلى الهلاك هو الصد عن اتباع الحق، والحيلولة دون سلوك طريق الهدى، والتآمر لإخفاء الحقيقة، وكل ذلك عاقبته الخسران المبين، فذلك الانحراف الخطير، والوِزر الكبير الذي حذَّر منه المولَى سبحانه في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه، وما ذاك إلا لتَجدُّد صُوَره، وتعدُّد أشكاله، وبقاء دُعاته، والصدُّ عن اتباع الحق جرثومةٌ قديمة، زَرَعها الكفَّار؛ قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾ [فصلت: ٢٦] [٤].

---

(١) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. أخرجه في كتاب السنة، باب في القرآن، (٢٣٥/٤)، ح رقم ٤٧٣٨. قال الألباني: حديث صحيح.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٨ هـ، (١٧٣/٧)، بتصرف.

(٣) التفسير الوسيط، الزحيلي، (١٥٦٥/٢) بتصرف.

(٤) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف أ.د مصطفى مسلم، (٧/٥).

المطلب الثاني: إحاطة علم الله بكل شيء، والافتراء ديدن المشركين:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۝٥﴾ [الأنبياء: ٤ – ٥].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ**﴾: "جاء في التفسير أهاوِيل أحْلام، والأضغاثُ في اللغة الأشياء المختلطة" [١].

٢) ﴿**بَلِ افْتَرَاهُ**﴾ "الفرية: الكذب. فرى كذبًا فريًا وافتراه: اختلقه" [٢].

٣) ﴿**فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ**﴾: أي مثلَ الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا ونظائرِهما[٣].

٤) ﴿**شَاعِرٌ**﴾: مَنْ يقول الشِّعْرَ وينظمه شاعر مُلْهم، مطبوع، عبقريّ، شاعر حرّ: مَنْ يكتب الشّعر ولا يلتزم فيه القافية الموحّدة، قال تعالى: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٢٤][٤].

ثانيًا: القراءات:

"قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّي**﴾ قرأَ الجمهور قُلْ بصيغَةِ الْأَمر(قُلْ رَبِّي)، وقرأَ حمزة[٥] والكسائيُّ، وحفص، وَخَلَفٌ قال بصيغة الْماضي، وتوجيهها أن الله ﷻ أَطْلَعَ نبيه ﷺ على مَا تَناجوا به، وأمره اللَّه سبحانه أَن يجِيبَ عليهم فقال: ﴿**قُلْ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ**﴾، وفي مصاحف أَهل الْكُوفَةِ ﴿**قَالَ رَبِّي**﴾ أَي: قال محمد: رَبِّي يَعلم القول، فهو عالم بما تناجيتم به، قِيلَ: القراءة الْأُولَى أَوْلَى لأنّهم أَسَرُّوا هذا القول، فأطلع اللّه رسوله ﷺ على ذلك، وأَمره أَن يقول لهم هذا، قَالَ النَّحَّاسُ[٦]: والقراءتان صحيحتان" [٧].

والقراءات المتواترة الصحيحة لا تفاضل بينها؛ فكلها قرآن متعبد بتلاوته.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، ط: ١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، (٣٨٤/٣).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (١٥٤/١٥).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٣٠).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، (١٢٠٦/٢)، بتصرف.

(٥) حمزة بن حبيب الزيات مولى تيم الله أخو حبيب بن حبيب كنيته أبو عمارة وكان من قراء القرآن والمتورعين في السر والإعلان، ولد حمزة سنة ٨٠ هجرية فيكون قد أدرك عصر الصحابة، ومات سنة ست وخمسين ومائة. انظر: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، (ص ٢٦٦).

(٦) النحاس: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، النحوي المصري؛ كان من الفضلاء، توفي في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، (٩٩/١).

(٧) النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، (ت : ٨٣٣ هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (ت: ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى، (٣٢٣/٢). وانظر: فتح القدير، الشوكاني، (٤٧٠/٣).

ثالثًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

بعدما كذب المشركون النبي ﷺ وتناجوا في الكلام واتهموه بالسحر، جاء قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ حكايةً منْ جهتِه تعالَى لما قاله محمد ﷺ بعد ما أوحى الله ﷻ إليه أحوالَهم وأقوالَهم، بيانًا لظهور أمرِهم وانكشافِ سرِّهم، مع ما فيه من الإيذان بأن علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوتَ بينهما بالجلاء والخفاء قطعًا كما في علوم الخلقِ[١].

رابعًا: المعنى الإجمالي:

الله سبحانه وتعالى يعلم القول، سره وجهره، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يسمع ما يسر به المشركون وهو السميع لما أسروه العليم بما قالوا.

ويفتري أولئك المشركون فيقولوا إن ما أتى به محمد من القرآن إنما هو تخاليط أحلام رآها في نومه، ولم يتوقف بهم الحمق عند ذلك، بل اتهموه بأنه اختلق القرآن من عنده وأنه لم يوحي إليه، وقالوا عنه شاعر، وطالبوه ﷺ أن يأتيهم بآية كآيات السابقين من الرسل[٢].

خامسًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**يَعْلَمُ الْقَوْلَ**﴾ ذكر ﷻ كلمة (القول) دون كلمة (السر) لأنها تشمل جميع الأحوال التي يكون عليها الناس في السر والعلن، وسيقت للإيذان بأن علمه تعالى بالأمرين على وتيرة واحدة، لا تفاوت فيه بالجلاء والخفاء كما في علوم العباد.

  وخلاصة ذلك إنه يعلم هذا الضرب من الكلام وأعلى منه وأدنى منه، وفى هذا مبالغة في علمه تعالى بكل ما يمكن أن يسمع أو يعلم[٣].
- قوله تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ**﴾ "الظاهر أن الإضراب في قوله هنا: ﴿**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ**﴾، إضراب انتقالي لا إبطالي، لأنهم قالوا ذلك كله، وقال بعض العلماء: كل هذه الأقوال المختلفة التي حكاها الله عنهم صدرت من طائفة متفقة لا يثبتون على قول، بل تارة يقولون هو ساحر، وتارة شاعر، وهكذا؛ لأن المبطل لا يثبت على قول واحد، وقال بعض أهل العلم: كل واحد من تلك الأقوال قالته طائفة" [٤].

---

(١) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٥٥/٦)، بتصرف.

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (١٠/١٧).

(٣) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ١، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م، (٦،٧/١٧)، بتصرف.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م، (١٣٥/٤).

- قوله تعالى: ﴿**فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ**﴾ "هو جواب عن شرط محذوف، يُفصح عنه السياق، كأنه قيل: وإن لم يكن كما قلنا، بل كان رسولًا من الله تعالى، فليأتنا بمعجزة ظاهرة" [١].

سادسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) الله عز وجل أنشأ هذا الكون الواسع والكبير وأبدع في الخلق، فالحكمة تقتضي أن يكون الخالق والمبدع مطلعًا على أحوال خلقه، وما يفعلونه في السر والعلن، فهو سميعٌ يسمع دبيب النمل في الليل إذا سرى، عليمٌ يعلم السر وما أخفى، قال تعالى:﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[غافر: ١٩].

٢) أظهرت الآيات حيرة المشركين إزاء الوحي الإلهي والنبي ﷺ، فتارةً يتهمونه ﷺ بأنه ساحر وتارة يتهمونه بالجنون وأخرى بالسحر وغير ذلك [٢].

٣) "المعجزات لم تكن يومًا سببًا في هداية الناس بل كانت سبب إهلاكهم إذ هذا طبع الإنسان إذا لم يرد الإيمان والهداية فإنه لا يهتدي ولو جاءته كل آية" [٣].

ويظهر جليًا لنا أن الكفار دائمًا وعلى مر الزمان يطالبون الأنبياء والرسل بالمعجزات الحسية التي تدلل على صدقهم في نبوتهم أو رسالتهم، وذلك الطلب لا يكون إلا لمجرد الهوى والمراوغة وليس للإيمان، وسِيَرُ الأنبياء والرسل مع أقوامهم خير شاهد ودليل على ضلال وعناد المكذبين لهم، فكم من معجزة أيد الله بها رسله وأنبياءه فلا تجد إلا القليل من القوم يؤمنون لهم ويصدقونهم ويتبعونهم، فهذا محمد ﷺ أيده الله بمعجزة القرآن الخالدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وجاءت هذه المعجزة من جنس ما نبغ وبرع فيه كفار قريش والعرب من البلاغة والفصاحة آنذاك، ورغم ذلك فقد استحب أولئك العمى والضلال على الهدى والإيمان.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ ، (٤٤٤/٣).

(٢) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: ٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، (٣/ ٣٩٦).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٦-١٠)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** عصمة الأمة المحمدية من الإبادة والاستئصال، وبشرية الرسل.
- **المطلب الثاني:** حفظ الرسل وأتباعهم وإهلاك المكذبين، والتذكير بنعمة القرآن.

المطلب الأول: **عصمة الأمة المحمدية من الإبادة والاستئصال، وبشرية الرسل**:

قال تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ٨ ﴾ [الأنبياء: ٦ – ٨].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**أَهْلَ الذِّكْرِ**﴾ "في معنى (أهل الذكر) ثلاثة أوجه:[١]

أحدها: أهل التوراة والإنجيل، قاله: الحسن[٢]، وقتادة.

الثاني: أنهم علماء المسلمين، قاله علي ﷺ.

الثالث: مؤمنو أهل الكتاب، قاله بن شجرة" [٣].

٢) ﴿**جَعَلْنَاهُمْ**﴾: "جعل يجوز أن تكون بمعنى (صير) فتتعدى لاثنين ثانيهما (جسدًا) ويجوز أن تكون بمعنى (خلق) و(أنشأ) فتتعدى لواحد فيكون (جسدًا) حالًا بتأويله بمشتق، أي: متغذين، لأن الجسد لا بد له من الغذاء" [٤].

٣) ﴿**جَسَدًا**﴾ أي: لهم أجسام كباقي البشر[٥].

٤) ﴿**وَما كانُوا خالِدِينَ**﴾: "أي إنهم على ممر ومعبر، ولا سبيل اليوم لمخلوق إلى الخلد" [٦].

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (٤٣٨/٣).

(٢) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت، وكان سيد أهل زمانه علمًا وعملاً، مولده لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب في المدينة، توفي بالبصرة مستهل رجب سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥٦٣/٤)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٧٢/٢).

(٣) ابن شجرة: الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، القاضي، أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة البغدادي، تلميذ محمد بن جرير الطبري، ولد: سنة ستين ومائتين، وتوفي ابن شجرة في المحرم سنة خمسين وثلاث مائة، وله تسعون سنة. انظر: سير أعلام النبلاء، ط الرسالة، الذهبي، (٥٤٤،٥٤٥/١٥).

(٤) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط: ١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م، (٤٥٤/١٣).

(٥) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (٤٥٤/١٣).

(٦) لطائف الإشارات، تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط: ٣، (٤٩٤/٢).

ثانيًا: القراءات:

"قوله: ﴿**نُوحِي إِلَيْهِمْ**﴾ قرأ حفص[١] (نُوحِي) بنون العظمة بنيًا للفاعل، أي (نوحي نحن)، والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيًا للمفعول (يوحَى)، وهذه الجملة في محل نصب نعتًا لـ(رِجَالًا) و(إِلَيْهِمْ) في القراءة الأولى منصوب المحل، والمفعول محذوف، أي: نوحي إليهم القرآن أو الذكر، ومرفوع المحلّ في القراءة الثانية لقيامه مقام الفاعل" [٢].

ثالثًا: سبب النزول:

أخرج ابن جرير عن قتادة قال: "قال أهل مكة للنبي ﷺ: إن كان ما تقول حقًا، ويسرك أن نؤمن، فحول لنا الصفا ذهبًا، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان، ثم لم يؤمنوا، لم يُنْظَرُوا، وإن شئت استأنيت بقومك، قال: بل استأني[٣] بقومي، فأنزل الله: ﴿**مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء: ٦]" [٤].

رابعًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

هذه الآيات جاءت ردًا واضحًا بينًا على قول كفار قريش: ﴿**هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾؟ وهو أن سنة الله تعالى في الرسل قبل محمد ﷺ إرسال رجال من البشر أنبياء، فلا يكون الرسول إلا بشرًا، خلافًا لما ينكرون، فلا يصح اعتراضهم في كون محمد بشرًا [٥].

خامسًا: المعنى الإجمالي:

الخطاب في الآيات موجه للنبي ﷺ أنه يا محمد ما آمنت قبل قومك أقوام بعثنا إليهم رسلنا فكذبوهم، ولم يؤمنوا بهم، فحق عليهم العذاب والهلاك والإبادة، وكذلك قومك يا محمد لو تأتيهم بكل مقترحاتهم فلن يؤمنوا برسالتك وبربك، وذلك لشدة شكيمتهم معك وغلظتهم عليك وشدة قسوتهم وشقاقهم بالنسبة إليك.

---

(١) حفص بن سليمان الأسدي الغاضري الكوفي، أبو عمر، شيخ القراء، ويقال له: حفص بن، أبي داود، وكان حجة في القراءة، واهيًا في الحديث، قرأ على زوج أمه عاصم بن أبي النجود، قال خلف البزار: مولد حفص سنة تسعين، ومات حفص بن سليمان سنة ثمانين ومائة. انظر: تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، (٦٠٢/٤).

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (٤٥٢/١٣).

(٣) (استأنى): تأنى وَيُقَال استأنى فِي الْأَمر وَبِه ترفق يُقَال استأنى بِهِ حولاً وَيُقَال هُوَ يستأني بالجراحة ينْتَظر مآل أمرهَا وَفُلَانًا تأناه وَلم يعجله وَالشَّيْء انْتظر أَوَانه. انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، (٣١/١).

(٤) جامع البيان، الطبري، تحقيق أحمد شاكر، (٤٧٧/١٧). وانظر: التفسير المنير، الزحيلي، (١٠،١١/١٧).

(٥) التفسير المنير، الزحيلي، (١٩/١٧)، بتصرف.

والله ﷻ يخاطب نبيه ﷺ مرشدًا له ولأمته أن الكفار إذا أنكروا بشريتك، فقل لهم اسألوا أهل العلم والخبرة من أحباركم وقسيسيكم ومن المشتغلين بحفظ التوراة والإنجيل وسائر الكتب الإلهية، وَإن أنكروا رسالتك معللين بأنك تأكل وتشرب مثلهم والرسول لا بد أن لا يأكل ولا يشرب مثل سائر الناس قل لهم أيضًا نيابة عنا: أن الرسل الماضين لهم أجسام كأجسام البشر وهم يحتاجون إلى الطعام والشراب كباقي البشر، وهم ليسوا مخلدين كغيرهم، فبشريتهم ثابتة واضحة لا مراء فيها ولا جدال[١].

سادسًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ**﴾ استفهام غرضه التقرير بأن الله ﷻ لم يبعث إلى المشركين آية لعلمه أنهم يكذبون بها، فوجب في حقهم العذاب، وقد تقدم في علمه أن ميعادهم الساعة[٢].
- قوله تعالى: ﴿**فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**﴾ "الخطاب للكلّ والمراد منه الأمة، وأهل الذكر العلماء من أكابر هذه الأمة والذين آمنوا بنبينا محمد ﷺ" [٣].
- قوله تعالى: ﴿**وما جَعَلْناهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعامَ**﴾ "قال جَسَدًا ولم يقل أجسادًا، لأن الواحد ينبئ عن الجماعة، ويقال: معناه وما جعلناهم ذوي أجساد لا يأكلون الطعام، لأنهم قالوا: ﴿**مالِ هذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ**﴾ [الفرقان: ٧]" [٤].

سابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) "قوله تعالى: ﴿**ما آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا**﴾ فيه بيان لإثبات القدر، لأن المعنى: أن امتناع من تقدم من الكفار من الإيمان حتى هلكوا لا يوجب امتناع من بعدهم، لكن كل ذلك بقدر من الله ﷻ؛ وتحقيق المعنى على قول المفسرين، ما آمن قبل هؤلاء الذين كذبوا محمدًا من أهل قرية عذبناها بالهلاك في الدنيا إذ كفروا بعد مجيء الآية" [٥].

٢) "اقتضت حكمة الله ﷻ ورحمته تأخير العذاب عن الكفار المنكرين للبعث ولبعثة محمد ﷺ، إذ لو أجابهم تعالى إلى مطلبهم، لعجل لهم عذاب الاستئصال، كما فعل بأهل القرى المتقدمين، فإنهم ما آمنوا بالآيات، فاستؤصلوا، فلو رأى هؤلاء ما اقترحوا لما آمنوا لما سبق من القضاء في علم الله بأنهم لا يؤمنون أيضًا وإنما تأخر عقابهم لعلمه تعالى بأن في أصلابهم من يؤمن" [٦].

---

(١) انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط: ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م، (٥٢٨/١).

(٢) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) لطائف الإشارات، القشيري، (٤٩٣/٢).

(٤) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت: ٣٧٣هـ)، (٤٢٠/٢).

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ)، (٤٧٣٠/٧).

(٦) التفسير المنير، الزحيلي، (١٧/١٧).

فعن عروة ﷺ، أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: **(هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت... الى ان قال ﷺ: فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا)**[1].

٣) "إن سؤال أهل العلم واجب، وعلى العامة تقليد العلماء، وقد أجمع علماء الأمة الإسلامية على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق به في الاتجاه إلى القبلة إذا أشكلت عليه، ولا يجوز للعامة الفتيا في الدين، للجهل بالمعاني التي يرتكز عليها التحليل والتحريم، وقد استدل الشيخ العثيمين[2] لصحة إيمان المقلد في (شرح العقيدة السفارينية) بما يلي: أن الله أحال على سؤال أهل العلم في مسألة من مسائل الدين التي يجب فيها الجزم، فقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤٣]، ونسألهم لنأخذ بقولهم، ومعلوم أن الإيمان بأن الرسل رجال من العقيدة ومع ذلك أحالنا الله فيه إلى أهل العلم" [3].

٤) الأنبياء والرسل لا يختلفون في صفاتهم عن البشر ولم يجعلها الله منافية لما هم عليه، فهم كغيرهم من البشر يأكلون الطعام، ويشربون الماء، ويمشون في الأسواق، ويتعاطون شؤون الحياة والمكاسب المتعددة، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**﴾ [الفرقان: ٢٠] [4].

٥) كتب الله سبحانه وتعالى الموت والفناء على الخلق جميعًا بما فيهم الأنبياء والرسل فهم ليسوا مخلدين في الدنيا كغيرهم من الخلق، والمخلوقات جميعها محدثة وكل محدث نهايته الموت، فلن يخلد أحد ولو كان ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلًا[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، (١١٥/٤)، ح رقم ٣٢٣١.

وفي شرح الدكتور مصطفى البغا: (ما لقيت) أي لقيت الكثير من الأذى، (ذلك) أي ذلك كما قال جبريل وكما سمعت منه، (الأخشبين) جبلي مكة أبي قبيس ومقابله قعيقعان سميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما يقال رجل أخشب إذا كان صلب العظام قليل اللحم، (أصلابهم) جمع صلب وهو كل ظهر له فقار.

(٢) ابن عثيمين: هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي، ولد في مدينة عنيزة في ٢٧ رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ، وتوفي عام ١٤٢١هـ، عن عُمُرٍ يُناهز الرابعةَ والسبعين قضاها في خدمةِ الإسلامِ والمسلمين. انظر: تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ابن عثيمين، المحقق: أشرف عبد الرحيم، الناشر: مكتبة أضواء السلف، ط: ٣، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، (١٣/١).

(٣) الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، الناشر: المكتبة الشاملة، مصر، ط: ١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، (٦٣٣/١).

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، (٢١/١٧)، بتصرف.

(٥) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٧٥/٤).

المطلب الثاني: **حفظ الرسل وأتباعهم وإهلاك المكذبين، والتذكير بنعمة القرآن**:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء: ٩-١٠].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**صَدَقْنَاهُمُ**﴾: الصدق ضد الكذب، وفلَان فِي الحَدِيث صدقًا أخبر بالواقع وَفِي الْقِتَال وَنَحْوه أقبل عَلَيْهِ فِي قُوَّة، وَفُلَانًا أنبأه بِالصّدقِ وَيُقَال صدقه الحَدِيث، وَفُلَانًا صدقَ الْوَعْد أوفى بِهِ وأنجزه وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ﴿**وَلَقَد صدقكُم الله وعده**﴾ فَهُوَ صَادِق وصدوق للْمُبَالَغَة[١].

٢) ﴿**الْوَعْدَ**﴾: "الوَعْدُ من المصادر المجموعة، قَالُوا: الوُعودُ؛ حَكَاهُ ابْنُ جني[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾؛ أَي إِنجازُ هَذَا الوَعْد أرونا ذلِك" [٣].

٣) ﴿**الْمُسْرِفِينَ**﴾: المكذِّبين الذين تجاوزوا كل الحدود في تكذيبهم لأنبياء الله ورسله[٤].

٤) ﴿**فِيهِ ذِكْرُكُمْ**﴾: "أي شرفكم، كقوله: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾ [الزخرف: ٤٤] وإنَّهُ شَرَفٌ لمن آمن به، وقال مجاهد[٥]: فيه حديثكم، وقال الحسن: أي ذكر ما تحتاجون إليه من أمور دينكم" [٦].

"والذكر يُطلق بمعنى: القرآن، أو بمعنى: الكتب المنزّلة، أو بمعنى: الصِّيت والشرف، أو بمعنى: التذكير أو التسبيح والتحميد" [٧].

٥) ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ عَقِلَ: ضد جَهِلَ، وعقَل الأمرَ: تدبَّره، فهمه وأدركه على حقيقته[٨].

والمعنى أفلا تتدبرون وتدركون حقيقة الأمر.

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، (٥١٠/١).

(٢) ابن جني: عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر، ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو ٦٥ عامًا، وكان أبوه مملوكًا روميًا لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي. انظر: الأعلام، الزركلي (٢٠٤/٤).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، (٤٦٢/٣).

(٤) انظر: تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط: ١، (ص٤٢١).

(٥) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى عبد الله ابن السائب، القارئ، ولد سنة ٢١هـ في خلافة عمر رضي الله عنه، ومات وهو ساجد سنة ١٠٢هـ أو ١٠٣هـ . انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، (٩٢/١)، والتاريخ الكبير، البخاري، (٤١٢/٧).

(٦) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (٥٤٤/١٣).

(٧) تفسير الشعراوي – الخواطر، (٩٤٩٠/١٥).

(٨) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، (٢/ ١٥٣٠).

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

"السياق السابق يتحدث عن غاية الغفلة التي نشأ عنها التكذيب البليغ الذي اقتضى تنويع القول به إلى سحر وأضغاث وافتراء وشعر، فاقتضى مقابلته بصدق الوعد منه سبحانه، فقال تعالى: ﴿**ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩]" [١].

وقال الآلوسي[٢]: "قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠] كلام مستأنف لتحقيق حقيقة القرآن العظيم، الذي ذكر في صدر السورة إعراض الناس عما يأتيهم من آياته، واستهزاؤهم به، واضطرابهم في أمره، وبيان علو مرتبته، إثر تحقيق رسالته ﷺ، ببيان أنه كسائر الرسل الكرام" [٣].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

جرت سنة الله بتصديقه للرسل والأنبياء، فصدقهم الله وعده ونصرهم على أعدائهم وأهلك من تجاوز معهم الحدود من المسرفين في تكذيبهم ومحاربتهم، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرسلين إِنَّهُمْ لَهُمُ المنصورون وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الغالبون**﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣].

والله ﷻ خاطب المشركين المكذبين للنبي ﷺ بأنه أنزل إليهم كتاب بلغتهم ومن جنس ما نبغوا فيه، وفي التمسك بهذا الكتاب يكون عزهم وشرفهم ورفعتهم، ولكنهم أعرضوا ولم يتدبروا ولم يعملوا عقولهم، وأصروا على تكذيب محمد ﷺ[٤].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

قوله تعالى: ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ استفهام إنكاري غرضه التوبيخ للذين يكفرون بنعمة القرآن الذي جاء فيه شرف العرب وعزتهم لأنه نزل بلغتهم، والاستفهام لإنكار عدم تدبرهم في شأن هذا الكتاب الذي أنزله الله تعالى ليظفروا بسببه بالذكر الجميل، وبالموعظة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ**﴾ [الزخرف: ٤٤][٥].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٣٩٢/١٢).

(٢) الآلوسي: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدًا، صاحب تفسير روح المعاني. انظر: الأعلام، الزركلي، (١٧٦/٧).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ، (١٥/٩).

(٤) انظر: تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (٩٤٨٨،٩٤٨٩/١٥).

(٥) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (١٩٠/٩)، بتصرف.

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) يصون الله تعالى حياة الأنبياء ويحفظهم ويعصمهم من كيد الناس، وينجز لهم وعده بإنجائهم ونصرهم والله عز وجل تكفل بحفظ وعصمة رسوله محمد ﷺ من كيد الكائدين[١]، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...**﴾ [المائدة: ٦٧]، وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: **(كان النبي ﷺ وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم: أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله)**[٢].

٢) ذم الله ﷻ الإسراف وحذر منه في كل شيء وبيَّنَ تبارك وتعالى أنه كالغلو في الشرك والظلم[٣].

٣) "القرآن ذِكرٌ يُذكرُ به الله ﷻ لما فيه من دلائل التوحيد وموعظة لما فيه من قصص الأولين، وشرف أي شرف لمن آمن به وعمل بما فيه من شرائع وآداب وأخلاق" [٤].

وهو أيضًا عظة وعبرة، يرغب ويبشر، ويحذر وينفر، ويأمر وينهى، ويوضح ما فيه سعادة الدارين، ويرشد البشرية كافة إلى اتباع ما فيه خير، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ**﴾ [الروم: ٥٨].

٤) القرآن الكريم يحثنا كثيرًا على تدبر ما جاء فيه من أحكام، وَتَفَهُّمِ ما تضمنه من نظام سديد في الدين والدنيا والآخرة، لكي يحيا الإنسان حياةً كريمة إذا ما فهم وعرف الحقيقة من وجوده واستخلافه في هذا الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "يجب أن يُعلم أن النبي بَيَّنَ لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبدالرحمن السلمي[٥]: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد اللّه بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل" [٦].

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٢٢/١٧).

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المائدة، (٣٤٢/٢)، ح رقم ٣٢٢١، قال الحاكم هذا حديث صحيح، ووافقه الذهبي.

(٣) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٣٩٩/٣)، بتصرف.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) أبو عبد الرحمن السلمي: محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة بن سراق، الأزدي، السلمي الأم، الإمام الحافظ المحدث، شيخ خراسان وكبير الصوفية، أبو عبد الرحمن النيسابوري الصوفي، صاحب التصانيف. انظر: سير أعلام النبلاء ط الحديث، الذهبي، (٤٣/١٣).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، (٣٣٢/١٣).

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١١-١٥)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** الظلم جرم كبير، عاقبته وخيمة.
- **المطلب الثاني:** لا نجاة بالهروب وبلوم النفس عند وقوع العذاب.

المطلب الأول: **الظلم جرم كبير، عاقبته وخيمة**:

قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**قَصَمْنَا**﴾: القصم أبلغ من الكسر، وقصم الرجل: أهلكه، ويقال: قصم الله ظهر الظالم أي أنزل به البلية، وللقاف مع الصاد فاء وعينًا للكلمة سر عجيب، لدلالتهما على الكسر والمحق والإهلاك [١].

٢) ﴿**وَأَنْشَأْنَا**﴾: أي أحدثنا وأوجدنا بديلًا[٢].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

قال ابن عاشور: "ومناسبة موقعها، يقصد قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١].

أنه بعد أن أخبر ﷻ أنه صدق رسله وعده وهو خبر يفيد ابتداءً التنويه بشأن الرسل ونصرهم وبشأن الذين آمنوا بهم، وفيه تعريض بنصر محمد ﷺ وذكر إهلاك المكذبين له تبعًا لذلك، فأعقب ذلك بذكر إهلاك أمم كثيرة من الظالمين ووصف ما حل بهم ليكون ذلك مقصودًا بذاته ابتداءً اهتمامًا به ليقرع أسماعهم، فهو تعريض بإنذار المشركين بالانقراض بقاعدة قياس المساواة، وأن الله ينشئ بعدهم أمة مؤمنة كقوله تعالى: ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ في سورة [إبراهيم: ١٩]" [٣].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

"القصم أشد حركات القطع، وجرسها اللفظي يصور معناها، ويلقي ظل الشدة والعنف والتحطيم والقضاء الحاسم على القرى التي كانت ظالمة، فإذا هي مدمرة محطمة، وهو عند القصم يوقع الفعل على القرى ليشمل ما فيها ومن فيها، وعند الإنشاء يوقع الفعل على القوم الذين ينشأون ويعيدون إنشاء القرى، وهذه حقيقة في ذاتها.

فالدمار يحل الدّيار، والإنشاء يبدأ بالديارين فيعيدون إنشاء الدور، ولكن عرض هذه الحقيقة في هذه الصورة يضخم عملية القصم والتدمير، وهذا هو الظل المراد إلقاؤه بالتعبير على طريقة التصوير" [٤].

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد درويش (ت : ١٤٠٣هـ)، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص، (دار اليمامة – دمشق –بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط: ٤، ١٤١٥هـ، (٢٨٥/٦)، بتصرف.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، (٤١٧/١٨).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٤/١٧).

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٧٠).

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

قوله تعالى: ﴿**مِنْ قَرْيَةٍ**﴾ مجاز مرسل، إذ المراد أهل القرية الظالمين[1].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) "الإنذار الشديد الأكيد لأهل الكفر والعصيان الذين أنكروا النبوات بحال أهل القرى الظالمة الكافرة، حيث دمرها الله ﷻ تدميرًا شديدًا بمن فيها لظلمهم، فهم وضعوا الكفر موضع الإيمان" [2].

٢) في هذه الآية الكريمة يحذر الله عز وجل الإنسان الحاكم والمحكوم ويحذر الجماعات والأفراد من مغبة الظلم وعاقبته، فالله عز وجل يستدرج الظالمين إلى أن يهلكهم ويأتي بآخرين ليحلوا مكانهم.

٣) نفى الحق تبارك وتعالى الظلم عن نفسه مطلقًا، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٤﴾ [يونس: ٤٤]، فالظلم يصنعه الناس أنفسهم، وكل هذا الظلم الذي يمارسه الإنسان سببه البعد عن الفطرة التي فطر عليها ذلك الإنسان، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١]، ويستمر جحود وظلم المعاندين في كل زمان ومكان، ثم يرى هؤلاء ما ينكرون ويجحدون عيانًا لا جدال فيه، قال الحق تبارك تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩﴾ [الزمر: ٦٩]، وحينئذٍ يفصل بين الخلائق بالحق والعدل المطلق.

٤) الله عز وجل توعد من يحيد عن الطريق بالهلاك والاستبدال، فهو يمهل الظالم حينًا لكنه يأخذه أخذ قهر وانتقام، وقد حكم الله بخراب مساكن الظالمين، فإذا ظلم العبد نفسه حرّم الله ﷻ أن يقطنها التوفيق وجعلها موطن الخذلان، فإذا ظلم قلبه بالغفلة سلّط عليه الخواطر الردية التي هي وساوس الشيطان ودواعي الفجور، وهكذا الروح إذا لم يشبعها الإنسان بالقربات والطاعات هوت به إلى أسفل المنازل وأحقرها[3]، فعن أبي هريرة ﷺ قال: **(تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا هذه الآية ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال: هذا وقومه هذا وقومه)**[4].

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش (٦/ ٢٨٨)، بتصرف.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، (٢٨/١٧).

(٣) لطائف الإشارات، القشيري، (٤٩٥/٢)، بتصرف.

(٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة محمد ﷺ، (٣٨٣/٥)، ح رقم ٣٢٦٠، وقال الترمذي هذا حديث غريب في إسناده مقال، وصححه الألباني.

المطلب الثاني: لا نجاة بالهروب وبلوم النفس عند وقوع العذاب:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ١٢ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ١٣ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾ [الأنبياء: ١٢ – ١٥].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا**﴾: "فلما عاينوا عذابنا قد حلّ بهم ورأوه قد وجدوا مسه، يقال منه: قد أحسست من فلان ضعفًا" (١).

٢) ﴿**يَرْكُضُونَ**﴾: أي يَعْدُون، وأصل الرَّكْض: تحريك الرجلين؛ تقول: رَكَضْتُ الفرس: إذا أَعْدَيْتَهُ بتحريك رجليك فعدا، ومنه قوله: ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ**﴾ [ص: ٤٢](٢).

٣) ﴿**أُتْرِفْتُمْ**﴾ "التُّرْفَةُ: التوسع في النعمة، يقال: أُتْرِفَ فلان فهو مُتْرَف، ﴿**أَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [المؤمنون: ٣٣]" (٣).

٤) ﴿**حَصِيدًا**﴾: "الحصيد فعيل بمعنى مفعول وهو الزرع المحصود المقطوع الذي جف عوده شيئًا فشيئًا حتى يصير حطامًا لانقطاع سبب الحياة عنه" (٤).

٥) ﴿**خامِدِينَ**﴾: ميتين لا أنفاس ولا حراك لهم (٥).

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

بعدما ذكر الله ﷻ سنته في إهلاك القرى الظالمة وإنزال العذاب بأهلها، وذلك في قوله ﷻ: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ**﴾ [الأنبياء: ١١]، وصف حال هؤلاء الناس عند نزول العذاب بساحتهم وكيف أنهم يركضون خوفًا على حياتهم، ثم يتحسروا ويندموا ويقولوا يا ويلنا إنّا كنا ظالمين، ثم لا تنفعهم هذه الحسرة المتأخرة فيأخذهم العذاب فيصبحوا بلا حراك ولا حياة(٦).

---

(١) جامع البيان، الطبري، (٤١٧/١٨).

(٢) غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، السنة: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م، (ص ٢٣٤)، بتصرف.

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ط: ١، ١٤١٢ هـ، (ص ١٦٦).

(٤) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٣٩، ٤٨٤٠).

(٥) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط : ١ ، ١٤٢٠ هـ، (٢٨٥/٣). وانظر: تفسير القرآن، السمعاني، (٣٧١/٣).

(٦) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٣٩٥/١٢).

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

رُوِيَ أن المراد بهذه الآيات أهل قرية مخصوصة كانت باليمن تسمى (حضور)، وكان لهم نبي فقتلوه فانتقم الله منهم، ولما رأوا أمارة العذاب خرجوا هاربين، فقالت لهم الملائكة استهزاءً بهم: لا تركضوا وارجعوا فرجعوا وقتلوا، فلما رأوا القتل قالوا يا ويلنا: إنا كنا ظالمين، ولكن هيهات أن ينفع الندم.

فما زالت تلك دعواهم، وما زالوا يرددون تلك المقالة حتى جعلهم ربك كالزرع المحصود بالمنجل، خامدين ميتين لا حركة بهم، كالنار إذا انطفأ لهيبها وأصبحت خامدة لا حياة فيها، هذا هو الحكم العدل ﷻ، والقول الفصل، ما يفعل الله بهم هذا إلا بسبب ظلمهم وكفرهم، وهذه آيات عدل الله، ناطقة شاهدة[١].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿**لا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلى ما أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَساكِنِكُمْ**﴾ "حكايةً لما تقوله لهم الملائكة وهم يركضون هربًا على سبيل التهكم والاستهزاء" [٢].

ويترتب على هذا التهكم والاستهزاء احتمالين في حق أولئك الظلمة الذين عذبوا وهما:

أ- أنهم كانوا أسخياء حقيقة يجودون بالنوال ويبسطون أيديهم بالعطايا ولكنهم كانوا يفعلون ذلك رئاء الناس واكتسابًا للشهرة والثناء وفي ذلك من الإيلام والإيجاع ما فيه، إذ يرون أن ما أنفقوه وما بذلوه لم يكن إلا إمعانًا في عذابهم.

ب- أنهم كانوا بخلاء يكرهون البذل ويصدون عمن جاء يستندي سحاب أكفهم ويطلب منهم الأعطيات فقيل لهم ذلك ليزيدهم إيلامًا على إيلام وإيجاعًا على إيجاع[٣].

- قوله تعالى: ﴿**حَصِيدًا خامِدِين**﴾ "تشبيه بليغ، أي جعلناهم كالزرع المحصود وكالنار الخامدة" [٤].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) عند دنو العذاب تقع الحيرة والاضطراب، وتحدث محاولات الفرار، فيركض المشركون هاربين من قراهم، وعند معاينة العذاب بالبصر حقيقةً يقول المعذبون يا ويلنا إنا كنا ظالمين حتى يصبحوا أثرًا بعد عين، وجثثًا هامدة لا حراك فيها، ويتم استئصالهم، ويحصدوا بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل، ويصيروا خامدين ميتين[٥].

---

(١) التفسير الواضح، الحجازي محمد محمود، الناشر: درا الجيل – بيروت، ط: ١٠-١٤١٣هـ، (٥٢١/٢)، بتصرف.

(٢) التفسير الوسيط، طنطاوي، (١٩٢/٩).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، (٢٨٨،٢٨٩/٦)، بتصرف.

(٤) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٣٦/٢).

(٥) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٢٨/١٧).

٢) جواز الاستهزاء بالمشرك الظالم إذا حل به العذاب تقريعًا وتوبيخًا له، فهذا الأسلوب تكرر أكثر من مرة في القرآن الكريم، فقد استهزئ الله بأبي جهل فقال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، وكان يقول أبو جهل ما بين جبلي مكة أعز وأكرم مني، فخاطبه الله بخطاب التهكم والاستهزاء ليحقّر من شأنه ويجعله عبرة لمن خلفه من الناس[١].

٣) الاعتراف بالذنب إنما ينفع صاحبه ما دام في حال صحته وعافيته، وأما عند حلول العذاب فلا، إذ الإيمان يقبل في الاختيار لا في الاضطرار قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤ – ٨٥]، فلم يزل هؤلاء يدعون على أنفسهم بالويل والثبور، معترفين بشركهم وظلمهم حتى أهلكهم الله، وجعلهم عبرة للمعتبرين[٢].

---

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، (٣/٤٠٠)، بتصرف.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٥/١٤).

المبحث الرابع:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١٦-٢٤)

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** أفعال الله تعالى منزهة عن العبث واللهو واللعب.
- **المطلب الثاني:** للحق صولة، وللباطل جولة، والعاقبة للحق.
- **المطلب الثالث:** المخلوقات خلقت لغاية العبادة والتسبيح.
- **المطلب الرابع:** فساد القول بتعدد الآلهة.
- **المطلب الخامس:** كل دعوى لا برهان عليها فهي باطل.

المطلب الأول: **أفعال الله تعالى منزهة عن العبث واللهو واللعب**:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٦-١٧].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**لَاعِبِينَ**﴾: "عابثين لغير شيء" [١].

٢) ﴿**لَهْوًا**﴾: "أي ولدًا، ويقال: امرأةً، وأصل اللهو: النكاحُ" [٢].

٣) ﴿**لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا**﴾: "أي مِنْ عندِنا لا عندِكم" [٣].

٤) ﴿**إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾: "ما كنا فاعلين ذلك؛ لاستحالة أن يكون لنا ولد أو صاحبة" [٤].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

قال الرازي [٥]: في تعلق هذه الآية بما قبلها وجهان:

الأول: أنه ﷻ لما بين إهلاك أهل القرية لأجل تكذيبهم أتبعه بما يدل على أنه فعل ذلك عدلًا منه ومجازاة على ما فعلوا فقال ﷻ: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**﴾ أي أنه ﷻ خلق السماء والأرض لفوائد دينية ودنيوية وليس عبثًا ولعبًا، وأما الفوائد الدينية فليتفكر المتفكرون فيها على ما قال تعالى: ﴿...**وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...**﴾ [آل عمران: ١٩١]، وأما الدنيوية فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى وهذا كقوله ﷻ: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا..**﴾ [ص: ٢٧] وقوله: ﴿**مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الدخان: ٣٩].

والثاني: أن الغرض منه تقرير نبوة محمد ﷺ والرد على منكريه لأنه أظهر المعجزة عليه فإن كان محمد كاذبًا كان إظهار المعجزة عليه من باب اللعب وذلك منفي عنه وإن كان صادقًا فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن[٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، (٧٣/٣). وانظر: تفسير الجلالين، السيوطي والمحلي، (ص ٤٢١).

(٢) غريب القرآن، ابن قتيبة، (ص ٢٨٥).

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط: ٢، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م، (ص ٣٢٣).

(٥) الرازي (ت ٦٠٦هـ): هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة. انظر: طبقات المفسرين، السيوطي، (١١٥/١).

(٦) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط: ٣ – ١٤٢٠ هـ، (١٢٤،١٢٥/٢٢)، بتصرف.

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

الله ﷻ خلق المخلوقات لغاية وهدف وليس لعبًا وعبثًا، وقد تنزه عن اتخاذ الولد، لأنه غني بذاته فلا حاجة له إلى الولد كحاجة المخلوقين، وهو ﷻ أغنى الأغنياء عن الشرك، فلا يشاركه في ملكه أحد.

قال الزمخشري في تفسير الآيتين: "أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب، كما تسوّى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم، للهو واللعب، وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية، لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا، مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعدّ والمرافق التي لا تحصى، ثم بين أنّ السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعاله ﷻ: هو أن الحكمة صارفة عنه، وإلا فأنا قادر على اتخاذه إن كنت فاعلًا لأني على كل شيء قدير" [(١)].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- قال القاضي عبد الجبار[(٢)]: "دلَّت هذه الآية ﴿**لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا**﴾ على أن اللعب ليس من قبله تعالى، إذ لو كان كذلك لكان لاعبًا، فإن اللاعب في اللغة اسم لفاعل اللعب، فنفي الاسم الموضوع لفعل يقتضي نفي الفعل" [(٣)].
- في قوله تعالى: ﴿**إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ "إِنْ جُعِلَتْ (إِنْ) شرطية فارتباطها بالتي قبلها ارتباط الشرط بجزائه المحذوف الدال عليه جواب (لو) وهو جملة لاتخذناه فيكون تكريرًا للتلازم وإن جُعلت (إِنْ) حرف نفي كانت الجملة مستأنفة لتقرير الامتناع المستفاد من (لو)، أي ما كنا فاعلين لهوًا" [(٤)].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) يستدل القرآن كثيرًا بإتقان نظام خلق السماوات والأرض وما بينهما على أن لله حكمة في خلق المخلوقات، وكل ما خلقه ﷻ متناسق مع بعضه البعض، ومناسب لما تقتضيه الحكمة الإلهية ولذلك قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾ [الحجر: ٨٥] [(٥)].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣ – ١٤٠٧ هـ، (١٠٦،١٠٧/٣). وانظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، (٤٧/٤).

(٢) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل الهمذاني العلامة، المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة، مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربع مائة، من أبناء التسعين. انظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة، الذهبي، (٢٤٤،٢٤٥/١٧).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (٤٦٠/١٣).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٣/١٧).

(٥) انظر: المرجع السابق، (٣٠/١٧).

٢) "ما ليس له مقصد نافع صحيح يعد لعبًا، والعقلاء بعيدون عنه، فالله ﷻ منزه عنه بالأولى، ولقد صرح ﷻ بأنه خلق هذه الأمور لمعرفة الإنسان، وتعريفه بطبائع الوجود وليعرف منها خالقه، وكماله، ونزاهته عن أن يكون كالحوادث؛ إذ هو خالقهم؛ ولذا قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ [هود: ٧]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]" [(١)].

٣) قال الشيخ الشعراوي رحمه الله: لو نظرتَ إلى هذا الكون لأمكنك أنْ تُقسِّمه إلى قسمين: قسم لا دَخْلَ لك فيه أبدًا، وهذا تراه منسجمًا في نظامه واستقامته وانضباطه، وقسم تتدخل فيه، وهذا الذي يحدث فيه الخَلَل والفساد، قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [يس: ٣٨ – ٤٠].

وكلما رأيتَ شيئًا فاسدًا وشيئًا قبيحًا فاعلم أن الإنسان وضع أنفه فيه، وكأن الخالق ﷻ يقول للإنسان: أنت لستَ أمينًا حتى على نفسك، فقد خلقتُ لك كل هذا الكون، ولم يشذ منه شيء، ولا اختلَّتْ فيه ظاهرة، أمّا أنت فلأنك مختار فقد أخللْتَ بنفسك وأتعبتها[(٢)].

٤) "تعالى الله ﷻ وتقدس وتنزه عن اتخاذ الزوجة والولد، فذلك من اللهو، ولو أراد الله أن يتخذ لهوا من زوجة أو ولد لاتخذه من عنده لا من عند الناس، وهذا رد واضح على من قال: المسيح أو عزير ابن الله، والأصنام أو الملائكة بنات الله تعالى" [(٣)].

٥) كان أكثر ضلال الأمم في نسبة الولد لله ﷻ، فقالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال مشركو العرب: الملائكة بنات الله وأمهاتهن سروات الجن[(٤)]، وغيرهم من الأقوام ضلت ضلالاً بعيدًا[(٥)].

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٤٢).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي– الخواطر، (١٥/ ٩٤٩٨، ٩٤٩٩)، باختصار.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، (٣٠/١٧).

(٤) سروات الجن: أي من فريق نساء من الجن ومن أشراف الجن. انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٨٦/٢٣).

(٥) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد بن طاهر التنير البيروتي، تحقيق ودراسة: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، الناشر: دار عمران– مكتبة الزهراء، ط: ١، ١٩٩٢، (ص ٦٠–٧٣).

المطلب الثاني: للحق صولة، وللباطل جولة، والعاقبة للحق:

قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[الأنبياء: ١٨].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**نَقْذِفُ**﴾: (القذف) رمي الشيء بسرعة وقوة، ومنه قولهم: ناقة قذاف- بكسر القاف- إذا كانت متقدمة على غيرها في السير[١].

٢) ﴿**فَيَدْمَغُهُ**﴾ "أي: يمحقه ويزيله، قال القرطبي: وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ" [٢].

٣) ﴿**زَاهِقٌ**﴾ أي: ذاهب مُضْمحِل، لا يبقى له أثر بعد إزالته[٣].

٤) ﴿**وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾ "أي: ولكم العذاب الشديد من أجل وصفكم الكاذب للديان بأن له زوجة وولداً وللرسول بأنه ساحر ومفتر" [٤].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

"جاء قوله تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذا هُوَ زاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾ للإضراب عن الحديث في موضوع اللهو والعدول عنه إلى الحديث في الواقع المقرر الذي تجري به السنة ويقتضيه الناموس، وهو غلبة الحق وزهوق الباطل" [٥].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

التعبير يرسم هذه السنة في صورة حسية حية متحركة، فكأنما الحق قذيفة في يد القدرة، تقذف به على الباطل، فيشق دماغه! فإذا هو زاهق هالك ذاهب، فهذه هي السنة المقررة، فالحق أصيل في طبيعة الكون، عميق في تكوين الوجود، والباطل منفي عن خلقة هذا الكون أصلًا، طارئ لا أصالة فيه، ولا سلطان له، يطارده الله ﷻ، ويقذف عليه بالحق فيدمغه.

ولا بقاء لشيء يطارده الله ﷻ ولا حياة لشيء تقذفه يد الله فتدمغه، هكذا يقرر القرآن الكريم تلك الحقيقة للمشركين، الذين يتقولون على القرآن وعلى الرسول ﷺ ويصفونه بالسحر والشعر والافتراء، وهو الحق الغالب الذي يدمغ الباطل، فإذا هو زاهق، ثم يعقب على ذلك التقرير بإنذارهم عاقبة ما يتقولون: ﴿**وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾[٦].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، (١٩٤/٩).

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٠١/٣).

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٧٢).

(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٧٢)، بتصرف.

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ**﴾ استعمل ﷻ الفعل (نقذف) ليكون أدل على شدة الرمي، و(بل) للإضراب تدل أشد الدلالة على نفي اللعب عن أفعاله فوق النفي السابق(١).

"وفي (نقذف) استعارة تمثيلية، شبه الحق بشيء صلب جامد، والباطل بشيء رخو، وأستعير لفظ القذف لغلبة الحق على الباطل بطريق التمثيل، كما يرمي الإنسان شيئا فيتلفه" (٢).

- قوله تعالى: ﴿**فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ أورد الله ﷻ الفعل المشتق من (الدمغ) وهو (يدمغه) هنا لترشيح استعارة القذف لإيراد ما يبطل، وهو استعارة أيضًا حيث استعير الدمغ لمحق الباطل وإزالته كما يزيل القذف الجسم المقذوف، فالاستعارتان في (نقذف- فيدمغه) من استعارة المحسوسين للمعقولين(٣).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآية:

١) يبين الله ﷻ الحق ومنهجه لدحر الباطل وزخارفه، والحق هو القرآن، والباطل هو الشيطان ويكشف تبارك وتعالى كَذِب الكفار ووصفهم له بغير صفاته من الولد وغيره، فالويل والعذاب الشديد لهم في الآخرة على جرمهم هذا(٤).

٢) تضمنت هذه الآية الجليلة على وجازة ألفاظها آداب مجادلة أهل الباطل، وبيان شروط تمام الغلبة، والتنبيه على العلل التي يخذل بها بعض المجادلين، وهذه الآداب والشروط تتلخص في عدة نقاط:(٥)

أ- أن يستشعر المجادل أن الذي يقذف هو الله، وأنه مجرد سبب وأداة يُنصر بها الحق، فإن الله تعالى أسند القذف إليه، ومن ظنَّ أنه هو الذي يستعلي بحجته ودهائه وتفننه في أساليب البلاغة فليشفق على نفسه من الخذلان والاستدراج، وذلك لضعف توكله على الله ﷻ.

ب- أن هذا المقام إذا صحّ في قلب المؤمن المجادل بالحق أثمر فيه عبادات قلبية عظيمة من المحبّة والخوف والرجاء والخشية وغيرها فتجتمع في قلبه اجتماعًا حسنًا، وهذه الأعمال أحبّ إلى الله تعالى من أعمال العبد الظاهرة، وقد صحّ عن النبي ﷺ أنّ الله ينظر إلى القلوب، فعن أبي هريرة ﷺ أن

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٤٣)، بتصرف.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، (٢٣/١٧).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٤/١٧)، بتصرف.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، (٣٠/١٧)، بتصرف.

(٥) ارجع إلى الشبكة العنكبوتية على الرابط: (http://vb.tafsir.net/tafsir39530/)، موضوع بعنوان: استخراج الفوائد السلوكية من الآيات القرآنية، كتبه: عبد العزيز الداخل المطيري "المشرف العام على معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد، (بتصرف واختصار).

النبي ﷺ قال: **(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)**[١].

ت- أن يتمحض المؤمن المجادل للحق، ويكون رده على محض الباطل؛ فإن من الإنصاف اعترافك بالحق الذي قال به خصمك في المجادلة وإن كان قليلًا، ثم ترد باطله، وأما ردك حقه بحجة كثرة باطله فهو نوع مكابرة قد تخذل بسببها، وقد يتأخر النصر، وقد قال ﷺ في الشيطان وهو رأس الباطل: **(... صدقك وهو كذوب)**[٢].

ث- أن يتوجه المجادل بالحجة على أصل الباطل (فيدمغه) ولا ينشغل بالأطراف والقضايا الجانبية التي لو بيَّن بطلانها بقي غيرها ومنبعها الذي يولّد أطرافًا أخرى.

ج- الحق فيه علوّ ملازم له، والباطل سافل بذاته، وإنما يرتفع بالإثارة؛ كالغبار والدخان إذا أثيرا آذا وأزكما وربما حجبا رؤية الحق عن الذين لا يعرفون معالمه؛ فإذا عُرف مصدر إثارة الباطل، ووجهت إليه قذيفة الحق عاد الباطل إلى أصله.

ح- معرفتك بعلوّ الحق وقوته تكسبك طمأنينة وثقة وتماسكًا وثباتًا يفتقده المجادل بالباطل.

خ- علو الحق مستلزم لعلوّ صاحبه، وما الناس إلا فريقان: فريق هم أهل الحق، وفريق هم أهل الباطل، فمن كان من أهل الحق القائمين به كان موعودًا بالعزة والرفعة والعلو كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٩].

٣) قد يتخيل بعض الناس أحيانًا أن واقع الحياة يخالف حقيقة انتصار الحق وزهوق الباطل التي يقررها العليم الخبير، وذلك في الفترات التي يبدو فيها الباطل منتفشًا كأنه غالب، ويبدو فيها الحق منزويًا كأنه مغلوب، وإن هي إلا فترة من الزمان، يمد الله فيها ما يشاء، للفتنة والابتلاء، ثم تجري السنة الأزلية الباقية التي قام عليها بناء السماء والأرض وقامت عليها العقائد والدعوات سواء بسواء" [٣].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، (٤/ ١٩٨٧)، ح رقم ٢٥٦٤، وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب القناعة، (٢/ ١٣٨٨)، ح رقم ٤١٤٣. وفي شرح محمد فؤاد عبد الباقي: (ولكن إنما ينظر) أي فأصلحوا أعمالكم وقلوبكم، ولا تجعلوا همتكم متعلقة بالبدن والمال.

(٢) جزء من حديث رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (١٢٣/٤)، ح رقم ٣٢٧٥.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٣٧٢/٤).

المطلب الثالث: **المخلوقات خلقت لغاية العبادة والتسبيح**:

قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩ – ٢٠].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**﴾ قال الزجاج[١]: "لا يأنفون من عبادته، ولا يتعظمون عنها، كقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**﴾ [الأعراف: ٢٠٦]" [٢].

٢) ﴿**وَلا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾: "أي لا يعيون، والحَسِير: المنقطع به الواقف إعياءً أو كلالًا" [٣].

٣) ﴿**لَا يَفْتُرُونَ**﴾: "لا يتخلل تسبيحهم فترة، ولا يشوبه ملل، والفتور: السكون بعد الجدة، واللين بعد الشدة"[٤].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

المناسبة بين قوله تعالى: ﴿**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾ وبين ما قبلها من الآيات أن الله ﷻ لما نفى اللعب عن نفسه ونفي اللعب لا يصح إلا بنفي الحاجة ونفي الحاجة لا يصح إلا بالقدرة التامة، لا جرم عقب تلك الآية بقوله: ﴿**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ لدلالة ذلك على كمال الملك والقدرة.

وفيما سبق من الآيات بَيَّنَ الله تبارك وتعالى غرض الطاعنين في النبوات وهو عدم الانقياد والطاعة لله، فبين الله في هذه الآية أنه غني عن طاعتهم وعبادتهم، لأنه هو المالك والخالق خلق جميع ما في السموات والأرض، وخلق الملائكة التي تخافه وتفعل ما يأمرها الخالق وتطيعه فالبشر مع نهاية ضعفهم أولى بطاعته ﷻ[٥].

---

(١) إبراهيم بْن السَّرِيّ بْن سهل، أبو إِسْحَاق الزّجّاج النَّحْوِيّ، بغداديّ مشهور، لَهُ كتاب "معاني القرآن"، وله كتاب "الاشتقاق" وغير ذلك، تُوُفّي في جُمَادَى الآخرة عام ٣١١هـ، وقد شاخ. انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: بشار، (٢٣٢/٧).

(٢) التفسير الوسيط، الواحدي، (٢٣٣/٣).

(٣) غريب القرآن، ابن قتيبة، (ص ٢٨٥).

(٤) أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط: ٦، رمضان ١٣٨٣ هـ – فبراير ١٩٦٤ م، (ص ٣٩٠).

(٥) انظر: التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، (١٢٥/٢٢).

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

المخلوقات جميعها ملك لخالقها ﷻ فهو موجدها وهو من يدبر أمرها دون أن يكون لأي أحد من خلقه أي تدخل أو تعقيب، والملائكة مما خلق الله وهم عنده بمكانة عظيمة ومنزلة رفيعة، فهم لا يستعظمون عن عبادته ليلًا ونهارًا، قال تعالى: ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾ وهم مطيعون قصدًا وعملًا، قادرون عليه كما قال في الآية الأخرى: ﴿**...لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦][١].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ "اللام في (وله) للملك، والمجرور باللام خبر مقدم، من في السماوات مبتدأ، وتقديم المجرور للاختصاص، أي له من في السماوات والأرض لا لغيره وهو قصر إفراد ردًا على المشركين الذين جعلوا لله شركاء في الإلهية" [٢].
- قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ ذكر العندية لإظهار علو مكانتهم ولتشريفيهم في جواره تعالى، وهذه العندية معنوية تبين قرب الملائكة من الله تعالى[٣].
- قوله تعالى: ﴿**لَا يَفْتُرُونَ**﴾ "تأكيد لدوام التسبيح واستمراره" [٤].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) جميع المخلوقات خاضعة لقدرة الله تعالى وله وحده سبحانه جميع من في السموات والأرض، خلقًا، وملكًا، وتدبيرًا، وتصرفًا وإحياء، وإماتة، لا يخرج منهم أحد عن علمه وقدرته عز وجل[٥].

٢) "يخبر الله سبحانه وتعالى بغناه عن الخلق وأن له من في السماوات والأرض والولد في الشاهد إنما يطلب لحاجة تسبق، فإذا كان اللَّه سبحانه وتعالى غنيًّا بذاته بما ذكر أن له كذا لا حاجة تقع له إلى الولد، تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا" [٦].

---

(١) انظر: تفسير المراغي، أحمد المراغي، (١٦،١٧/١٧).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣٥/١٧).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٨٤٤/٩).

(٤) المرجع السابق، (٩/ ٤٨٤٥).

(٥) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، (١٩٥/٩).

(٦) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي، (٣٣٤/٧). وانظر: أيسر التفاسير، الجزائري (٤٠٣/٣).

٣) قال أبو منصور الماتريدي[١]: "قوله تعالى: ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ**﴾ ينقض قول المعتزلة ومذهبهم حيث قالوا: إن الأعمال لأنفسها متعبة منصبة، ولو كانت الأفعال لأنفسها متعبة على ما ذكروا، لكان البشر والملائكة فيها شرعًا سواء، فلما أخبر عنهم أنهم لا يعيون ولا يفترون ولا تتعبهم العبادة؛ دل أنها صارت متعبة لصنع غير فيها لا لأنفسها، وهذه المسألة في خلق أفعال العباد: هم ينكرون خلقها، ونحن نقول: هي خلق اللَّه عَزَّ وَجَلَّ كسب للعباد" [٢].

٤) بَيَّنَ الله تبارك وتعالى أن الملائكة تسبحه وتعظمه بالعبادة التي لا تنقطع بملل أو فتور أو تكبر، فهي خاضعة له، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الذين عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٦] [٣]، وعن حكيم بن حزام ﷺ قال: **(بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، إذ قال لهم: هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، فقال رسول الله ﷺ: إني لأسمع أطيط[٤] السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم)**[٥].

"وقد سئل كعب الأحبار عن الملائكة كيف يسبّحون الليل والنهار لا يفترون؟ أما يشغلهم شأن، أما تشغلهم حاجة؟ فقال للسائل: يا ابن أخي جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النَّفس، ألست تأكل وتشرب، وتقوم وتجلس، وتجيء وتذهب وأنت تتنفس؟ فكذلك جُعل لهم التسبيح" [٦].

٥) "ذكر الله تعالى من التسبيح والتهليل ونحوهما يعطي القلب طمأنينة وسكينة، ويمنحه قوة ثبات على الحق، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨]، وهو بعد العلم والمعرفة أكثر وقعًا في القلوب ونفعًا، ولذا أمر الله ﷻ به بعد قيام الدليل العقلي القاطع على وحدانيته سبحانه وتعالى" [٧].

---

(١) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، إمام الهدى، له كتاب "التوحيد" وكتاب "المقالات، وكتب أخر. مات بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. انظر: تاج التراجم، أبو الفداء بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ)، المحقق: محمد يوسف، الناشر: دار القلم – دمشق، ط: ١، ١٤١٣ هـ –١٩٩٢م، (ص ٢٤٩،٢٥٠).

(٢) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، (٣٣٤/٧).

(٣) انظر: تفسير الخواطر، محمد متولي الشعراوي، (١٥/ ٩٥٠٦).

(٤) الأطيط: وهو صوت الأقتاب، وأطيط الإبل أصواتها وحنينها على ما في النهاية، أي: صوتت، وأطيط السماء صوتها بالتسبيح، والتحميد، والتقديس، والتمجيد؛ لقوله سبحانه {وإن من شيء إلا يسبح بحمده} [الإسراء: ٤٤]. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، (٣٣٥٠،٣٣٥١/٨).

(٥) أخرجه الترمذي في السنن من حديث أبي ذر الغفاري برقم (٢٣١٢) وقال: "هذا حديث حسن غريب". وقال الألباني: حديث حسن دون قوله (لوددت) في رواية الترمذي. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (٢٠١/٣)، ح رقم ٣١٢٢.

(٦) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٣٧/٢).

(٧) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٢٥/٥).

المطلب الرابع: **فساد القول بتعدد الآلهة**:

قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء: ٢١ – ٢٣].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**يُنْشِرُونَ**﴾: "أي يحيون الأموات إذ لا يكون إلهًا حقًا إلا من يحيي الموتى" [١].

٢) ﴿**لَفَسَدَتَا**﴾: الفساد: نقيض الصلاح.

والمعنى: "أنه لو كَانَ فيهما آلهة سوى أو غير الله لفسد أهلهما (أي أهل السماء والأرض)" [٢].

٣) ﴿**عَمَّا يَصِفُونَ**﴾: أي عما ينعتوا به الله تعالى من صفات النقص كالزوجة والولد والشريك[٣].

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

"هذه الآيات تفنيد لمزاعم المشركين القائلين بتعدد الآلهة، من غير دليل ولا برهان، وتعرية لمواقفهم المضطربة، والحق أن آلهتهم ضعيفة لا تقدر على شيء، فهي غير آلهة إذن، لأن من صفة الإله: القدرة على الإحياء والإماتة، وآلهتهم لا يقدرون على شيء من ذلك، فكيف جعلوها لله ندا وعبدوها معه؟! وهذا تذكير بخواص الألوهية التي منها إحياء الموتى من قبورهم.

ثم أبان الله تعالى مساوئ القول بتعدد الآلهة، فإنها لو وجدت لبغى بعضهم على بعض، وذهب كل إله بما خلق.

لذا تنزه الله تعالى وتقدس عن الذي يفترون ويقولون: إن لله ولدًا أو شريكًا، وتعاظم عما يأفكون تعاظمًا كبيرًا.

وتأكيدًا لهذا التنزيه، لا يسأل الله تعالى عن أفعاله، فهو الحاكم الذي لا معقّب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد، لعظمته وجلاله وكبريائه، وإحاطة علمه وروعة حكمته وشمولها، وإنما يسأل خلقه عن أفعالهم، ما عملوا، وما سيعملون" [٤].

---

(١) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٤٠٤/٣).

(٢) انظر: معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط: ١، (٢٠٠/٢).

(٣) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٤٠٤/٣).

(٤) التفسير الوسيط، الزحيلي، (١٥٧٢/٢، ١٥٧٣).

ثالثًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ**﴾ استفهام غرضه إنكار تعدد الآلهة وتوبيخ المشركين[١].

"وقوله ﴿**مِنَ الْأَرْضِ**﴾ متعلق باتخذوا، و(من) ابتدائية، أي: اتخذوها من أجزاء الأرض كالحجارة وما يشبهها، ويجوز أن يكون الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للآلهة، أي: اتخذوا آلهة كائنة من الأرض، وعلى كلا التقديرين فالمراد بهذا التعبير التحقير والتجهيل" [٢].

- قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ يحتمل وجوهًا:

"**أحدها:** (لَفَسَدَتَا)، أي: لم يكونا من الأصل؛ لأن العرف في الملوك أن ما بنى هذا وأثبته يريد الآخر نقضه وإفناءه، فلم يثبتا ولم يكونا من الأصل لو كانا لعدد.

والثاني: أي لم تكن منافع إحداهما متصلة بمنافع الأخرى للخلق؛ إذ يمنع كل واحد منهما منافع ما خلق هو من أن تصل إلى الأخرى، فإذا اتصلت منافع إحداهما بالأخرى، دل أنه صنع وتدبير واحد.

والثالث: لو كان عددًا، لكان لا يخرج تدبيرهما على حد واحد في كل عام، فإذا اتسق التدبير وجرى الأمر في كل عام على سنن واحد؛ دل أنه تدبير واحد لا عدد؛ إذ لو كان لعدد لكان يختلف الأمر في كل عام ولم يتسق على سنن واحد، ولا جرى على أمر واحد" [٣].

- قوله تعالى: ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ فيه طباق السلب، أي أن الله يَسأل ولا يُسأل[٤].

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) "الأدلة القرآنية والحجج الفرقانية الدالة على توحيد الله تعالى تغني عن البراهين الكلامية والمسائل العقلية الفلسفية في هذا المرام، وليس وراء بيان الله بيان ودونه خرط القتاد[٥]، وأما الدلائل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القرآن وكل من طعن في دلالة التمانع فسر الآية بأن المراد لو كان في السماء والأرض آلهة يقول بإلهيتها عبدة الأصنام لزم فساد العالم، لأنها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم إفساد العالم، قالوا: وهذا أولى؛ لأنه تعالى حكى عنهم في قوله: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ**﴾ ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به" [٦].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي، (١٩٦/٩).

(٢) المرجع السابق، (١٩٧/٩).

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي، (٣٣٦/٧).

(٤) انظر: بحر العلوم، أبو الليث السمرقندي، (٤٢٣/٢).

(٥) خرط القتاد: الخرْطُ: قشرك الورق عن الشجرة اجتذابًا بكفكَ، والقتادُ: شجر له شوك أمثال الإبر، "يضرب للأمر دونه مانع"، "يضرب للشيء لا ينال إلا بمشقة عظيمة". انظر: اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، (٢٧٢/١).

(٦) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة– بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، (٣١٥/٨).

٢) ينكر الله سبحانه وتعالى إنكارًا شديدًا على من اتخذ آلهة أخرى معه فهو الذي له كل هذا الملك، وله كل هذه الأيادي والنِّعَم، فلا ينبغي لأحد من خلقه أن يشرك معه أحد، والله ﷻ يوبخ المشركين على اتخاذهم آلهة ليس لها خواص الألوهية، ومنها الإحياء بعد الإماتة وهو النشر، ومن أخص صفات الإله أن يخلق ويرزق ويحيى ويميت فإن لم يكن كذلك فليس بإله، قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا**﴾ [الفرقان: ٣][(١)].

٣) تأكيد وحدانية الله وقدرته، فلا يسأله سائل عما يفعله بعباده من إعزاز وإذلال، وهداية وإضلال، وغنى وفقر، وصحة ومرض، وإسعاد وإشقاء، لأنه هو الرب المالك المتصرف في شئون خلقه، وهم يسألون يوم القيامة عن أعمالهم وأقوالهم لأنهم عبيده، وقد أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، فمنهم من اتبع الرسل فسعد وفاز، ومنهم من استحب العمى على الهدى فشقي وهلك[(٢)].

المطلب الخامس: **كل دعوى لا برهان عليها فهي باطل**:

قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**بُرْهَانَكُمْ**﴾: البرهان (بالضم) الدليل القاطع والحجة الظاهرة الفاصلة والبينة[(٣)].

٢) ﴿**هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي**﴾: "ذكر من معي (بما) أمروا من الحلال والحرام.

وقوله: ﴿**وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي**﴾ أي: من يحيى منهم بالطاعة ومن هلك بالمعصية، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ذكر من معي فهو القرآن، وذكر من قبلي هو التوراة والإنجيل، ومعناه: راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب، هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولدًا؟ "[(٤)].

---

(١) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٠٦/٣). وانظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٣٨/١٧).

(٢) التفسير الوسيط، محمد طنطاوي، (١٩٨/٩).

(٣) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (٢٥٠/٣٤).

(٤) تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، (٣٧٥/٣).

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

قال ابن عاشور موضحًا مناسبة هذه الآية وعلاقتها بسابقها: "جملة ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**﴾ [الأنبياء: ٢٤]، تأكيد لجملة ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ**﴾ [الأنبياء: ٢١]، أكد ذلك الإضراب الانتقالي بمثله استعظامًا لفظاعته وليبنى عليه استدلال آخر كما بني على نظيره السابق فإن الأول بني عليه دليل استحالة من طريق العقل، وهذا بني عليه دليل بطلان بشهادة الشرائع سابقها ولا حقها، فلقن الله رسوله ﷺ أن يقول: هاتوا برهانكم أي، هاتوا دليلا على أن لله شركاء من شواهد الشرائع والرسل" [١].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

كرَّر الله سبحانه وتعالى هذا الإنكار استعظامًا للشرك ومبالغة في التوبيخ أي هل اتخذوا آلهة من دون الله تصلح للعبادة والتعظيم، لذلك قل يا محمد لأولئك المشركين ائتوني بالحجة والبرهان على ما تقولون، وقل لهم أن هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي كالتوراة والإنجيل ليس فيها ما يقتضي الإشراك بالله، ففي أي كتابٍ نزل هذا؟ في القرآن أم في الكتب المنزّلة على سائر الأنبياء؟! فما زعمتموه من وجود الآلهة لا تقوم عليه حجة لا من جهة العقل ولا النقل، بل كتب الله السابقة شاهدة بتنزيهه عن الشركاء والأنداد، وقوله ﷻ: ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الحق فَهُمْ مُّعْرِضُونَ**﴾ أي بل أكثر المشركين لا يعلمون التوحيد فهم معرضون عن النظر والتأمل في دلائل الإيمان[٢].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**﴾ أم هنا للإضراب والاستفهام، والاستفهام الذي تتضمنه (أم) لإنكار الواقع، وهو إضراب انتقالي من اتخاذهم آلهة ليس لها قدرة في شيء، وأنه لو كان التعدد لكان الفساد[٣].

ويكرر المولى تبارك وتعالى التعجب من حال من يتخذون آلهة من دونه، وذلك مبالغة منه في تحقيرهم وتوبيخهم، وإظهارًا لبطلان ما هم عليه.

وقيل: إن التعجب الأول في قوله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ**﴾ احتجاج من حيث المعقول لأنه قال: (هم ينشرون) أي يحيون الموتى.

والثاني ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**﴾ احتجاج بالمنقول، أي هاتوا برهانكم من الكتب السماوية، ففي أي كتاب نزل هذا؟ في القرآن، أم في الكتب المنزلة على سائر الأنبياء؟![٤]

---

(١) التحرير والتنوير، (١٧/٤٦،٤٧).

(٢) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢/٢٣٦).

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/٤٨٤٨)، بتصرف.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، (١٧/٤٠)، بتصرف.

- "الإشارة في قوله: ﴿**هَذَا ذِكْرُ من مَّعِيَ**﴾ إلى مقدر في الذهن يفسره الخبر.

والمقصود من الإشارة تمييزه وإعلانه بحيث لا يستطيع المخاطب المغالطة فيه ولا في مضمونه، كقوله تعالى: ﴿**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [لقمان: ١١]، أي أن كتب الذكر أي الكتب الدينية في متناول الناس فانظروا هل تجدون في أحد منها أن لله شركاء وأن الله أذن باتخاذهم آلهة" [١].

- في قوله تعالى: ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ**﴾ "الإضراب بـ (بل) هنا للإشارة إلى أنهم طمس الله على بصيرتهم فصاروا لَا يعلمون الحق ولا يدركونه، ولا يعرفون السبيل إليه، لأن قلوبهم غلف، ولا سبيل لأن يعرفوا الحق بها" [٢].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) "الوحي الوارد بتقرير توحيد الله ونفي الشركاء عنه، هو ما نزل على محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء السابقين عليهم السلام، وهو ذكر وعظة للذين مع النبي ﷺ، أي أمته، وعظة للذين من قبله من الأمم السابقة ممن عاصره، فاتفق القرآن وجميع الكتب الإلهية السابقة على مبدأ التوحيد ورفض الشرك" [٣].

٢) كل الشرائع من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ اتفقت على إثبات التوحيد على كثرة عدد الرسل المرسلين وكثرة كتب الله عز وجل المنزلة على أنبيائه.

فالتوحيد هو دين العالم أوله وآخره وسابقه ولاحقه ومن خالف في ذلك فجعل لله عز وجل شريكًا وعبد الأصنام فإنه كما أرشد إليه القرآن حكاية عنهم بقوله: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر: ٣] مقر بأنه إيمان وإنما جعل الشريك وصلة إلى الرب سبحانه ووسيلة إلى التقريب إليه[٤].

٣) طلب العلم فريضة والجهل داء خطير يؤدي بالإنسان إلى الإعراض عن الحق وعدم تميزه عن الباطل، والجهل هو أصل الشر والفساد كله وهو الذي قاد المشركين إلى الانحطاط في كل شيء[٥].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٤٧/١٧).

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٨٤٩/٩).

(٣) التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٥٧٣، ١٥٧٤).

(٤) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، المحقق: جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، ط: ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، (٥/١)، بتصرف.

(٥) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٢/ ١٥٧٤).

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثاني من الحزب الثالث والثلاثين

الآيات (٢٥-٤٧)

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٢٥-٣٥)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٣٦-٤٠)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤١-٤٤)

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤٥-٤٧)

المبحث الأول:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٢٥-٣٥)

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** التوحيد أساس دعوة الرسل جميعًا.
- **المطلب الثاني:** نفي الولد وإثبات الشفاعة ومجازاة الظالمين.
- **المطلب الثالث:** أدلة توحيد الله والتأمل طريق المعرفة والإيمان.
- **المطلب الرابع:** الموت نهاية كل حي.

المطلب الأول: **التوحيد أساس دعوة الرسل جميعاً**:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

أولًا: معاني المفردات:

﴿**فَاعْبُدُونِ**﴾ العبادة عرفها أهل العلم بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأعمال الظاهرة والباطنة، والمقصود بقوله (فاعبدون) أي وحدوني في العبادة فلا تعبدوا معي غيري إذ لا يستحق العبادة سواي[١].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

لما بيَّن الله ﷻ أحوال المشركين وأقام الأدلة والبراهين على وحدانيته وبطلان تعدد الآلهة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾ وما سبقها من الآيات، ذكر هنا أن دعوة الرسل جميعًا إنما جاءت بالتوحيد ونفي الشرك عن الله ﷻ، والتوجه له وحده بالعبادة، فلا يستحقها غيره[٢].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

"أكّد القرآن الكريم مضمون الوحي الإلهي الواحد لجميع الأنبياء، وإعلامه أنه ما أرسل رسولًا قط إلا أوحي إليه أن الله ﷻ فرد صمد، إله واحد، لا رب غيره، ولا معبود سواه، فكان لزامًا على البشر أن يعبدوا الله مخلصين له العبادة، وأن يتجهوا إليه وحده في جميع مطالبهم وتوسلاتهم، دون وسيط ولا شريك، كما جاء في آية أخرى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦]، أي ابتعدوا عن كل ما عبد من غير الله، وهذا تنزيه مطلق لله تعالى عن الشركاء" [٣].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ**﴾ "جناس الاشتقاق في (أَرْسَلْنا. . رَّسُولٍ)" [٤].
- في قوله تعالى: ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا**﴾ خطاب بالضمير (أنا) الذي يدل على الإفراد ولم يقل (نحن) كم قال في نفس الآية (أرسلنا، نوحي) بصيغة الجمع الدالة على العظمة، وذلك لكي لا تكون شبهة لهم فينكروا من خلالها التوحيد [٥].

---

(١) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٤٠٤/٣).

(٢) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٣٨/٢).

(٣) التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٥٧٥).

(٤) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٤١/٢).

(٥) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٤٠٧/١٢).

- قوله تعالى: ﴿**فَاعْبُدُونِ**﴾ "جاء بالإفراد، وترك التصريح بالأمر بالتخصيص بالعبادة لفهمه من المقام والحال، فإنهم كانوا قبل ذلك يعبدونه ولكنهم يشركون تنبيهًا على أن كل عبادة فيها شوب شرك عدم"[١].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآية:

١) الأدلة العقلية على وجود الإله الواحد المدبر والمتصرف في هذا الكون كثيرة، قال تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩١]، والأدلة النقلية على وحدانية الله كثيرة جدًا في القرآن والسنة، والدليل إما معقول وإما منقول، وقال قتادة[٢]: لم يرسل نبي إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد[٣].

٢) "بيان أن هذا التوحيد هو أمر من الله، ووحي من عنده، والعرب يعرفون الله تعالى بأنه الخالق الذي يلجأون إليه في شدائدهم، ولا يعرفون غيره إذا أحيط بهم، فهو الذي أمرهم بالتوحيد على لسان كل الرسل فقال لهم: ﴿**لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥]" [٤].

٣) "إن الدعوات الإلهية جميعًا، جاءت لتبليغ دين الله تعالى، بكماله، وتمامه، ليعيش الناس به عبيدًا مخلصين، قال الأستاذ محمد قطب: إن (لا إله إلا الله) لم تكن عقيدة فقط، إنما كانت دائمًا إلى جانب العقيدة توجيهات ربانية تتناول جوانب الحياة المختلفة، فهي تارة توجيهات خلقية، وأخرى توجيهات نفسية، وثالثة اقتصادية.

إن هدف (لا إله إلا اله) إقامة أمة على نهج رباني، يقوم على العقيدة، ويتأسس بالعبادة والشريعة، ويجمل بمكارم الأخلاق ومحاسن السلوك.

والعقيدة الدينية أساسها توحيد الله تعالى، ولذلك فَصَّلَ الأنبياء في التعريف بها، وركزوا عليها" [٥].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٤٠٧/١٢).

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه، مولده: في سنة ستين، وعن ابن علية، قال: توفي قتادة سنة ثماني عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة، الذهبي، (٢٨٣/٥، ٢٧٠، ٢٦٩).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م، (٢٨٠/١١).

(٤) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٥١).

(٥) دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (٥٠٢/١).

المطلب الثاني: **نفي الولد وإثبات الشفاعة ومجازاة الظالمين**:

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ * وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [الأنبياء: ٢٦ -٢٩].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا**﴾ قالوا افتراءً: "اتخذ الله ولدًا من ملائكته، وعن قتادة قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجنّ، فكانت منهم الملائكة" (١).

٢) ﴿**مُكْرَمُونَ**﴾: يكرمهم الله بقربه وجواره، فهم كرام عليه ومنزلتهم عظيمة عنده(٢).

٣) ﴿**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ**﴾: "لا يقولون حتى يقول هو، وهذا شأن العبد لا يتقدم سيده بشيء" (٣).

٤) ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ "أي: ما قدموا وأخروا، وقيل: ما بين أيديهم هو الآخرة، وما خلفهم أعمالهم" (٤).

٥) ﴿**إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لمن قال لا إله إلا الله، وقال مجاهد: إلا لمن رضي الله عنه" (٥).

٦) ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ "أي: من خشية عذابه وهيبته خائفون وجلون" (٦).

ثانيًا: سبب النزول:

قال الزمخشري: "نزل قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمنُ وَلَدًا سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ**﴾ في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله، نزه ذاته عن ذلك، ثم أخبر عنهم بأنهم عباد والعبودية تنافى الولادة، إلا أنهم مُكْرَمُونَ مقرّبون عندي مفضلون على سائر العباد، لما هم عليه من أحوال وصفات ليست لغيرهم، فذلك هو الذي غرّ منهم من زعم أنهم أولادي، تعاليت عن ذلك علوًا كبيرًا" (٧).

---

(١) جامع البيان ت شاكر، الطبري، (٤٢٨/١٨).

(٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، (٣٠٧/١).

(٣) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٤٠٧/٣).

(٤) تفسير القرآن، السمعاني، (٣٧٦/٣).

(٥) معالم التنزيل- إحياء التراث، البغوي، (٢٨٦/٣).

(٦) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (٣٣٨/٧).

(٧) الكشاف، الزمخشري، (١١٢/٣).

ثالثًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

لمّا فرغ الله ﷻ من بيان باطل المشركين فيما اتخذوا من دون الله آلهة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾ [آية: ٢٤]، انتقل إلى بيان باطل آخر وهو اعتقادهم أن الله اتخذ ولدًا، فقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ**﴾ [آية: ٢٦]، وقد كانت خزاعة من سكان ضواحي مكة يزعمون أن الملائكة بنات الله من سروات الجن ومثلهم قريش(١).

رابعًا: المعنى الإجمالي:

يخبر ﷻ عن سفاهة المشركين المكذبين للرسول، وأنهم زعموا – قبحهم الله – أن الله اتخذ ولدًا فقالوا: الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم، وأخبر عن وصف الملائكة، بأنهم عبيد مربوبون مدبرون، ليس لهم من الأمر شيء، وإنما هم مكرمون عند الله، قد أكرمهم الله، وصيرهم من عبيد كرامته ورحمته، فهم لا يعصونه طرفة عين، ولا يكون لهم عمل بأهواء أنفسهم من دون أمر الله، ومع هذا، فالله قد أحاط بهم علمه، فعلم أمورهم الماضية والمستقبلة، فلا خروج لهم عن علمه، كما لا خروج لهم عن أمره وتدبيره.

وهم لا يسبقونه بالقول، ولا يشفعون لأحد بدون إذنه ورضاه، فإذا أذن لهم، وارتضى من يشفعون فيه، شفعوا فيه.

وأيضًا فهم لا حظ لهم، ولا بمجرد الدعوى، ومن يقول منهم: ﴿**إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ**﴾ على سبيل الفرض والتنزل ﴿**فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾ وأي ظلم أعظم من ادعاء المخلوق الناقص، الفقير إلى الله من جميع الوجوه مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوبية؟(٢)

خامسًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ**﴾ (بَلْ) جاءت إضرابًا وردًا على قولهم: ﴿**اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا**﴾، وهم ليسوا إلا كرام على الله تعالى وهم عباده(٣).
- قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ "إشارة إلى أنهم من الله بمنزلة من الطاعة، كمنزلة العبيد من مالكهم، لَا يسبقونه في أمر من أمور الشريعة أو الخلق والتكوين أو القول، بل هم تابعون خاضعون، ليس قول مع قوله سبحانه، فلا يتقدمون أمامه.

وتقديم الجار والمجرور (بِأَمْرِهِ) للاختصاص، والمعنى بأمره وحده لَا بأمر غيره يعملون، وفي ذلك تعريض ببطلان ما يفعلونه إذ يفرضون لآلهتهم المزعومة مطالب يؤدونها، وذلك من أوهامهم" (٤).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧/٥٠،٤٩)، بتصرف.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م، (ص٥٢١)، بتصرف.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/٤٨٥١).

(٤) المرجع السابق، (٩/٤٨٥٢) .

- قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ "تخصيص بالذكر لبعض ما شمله قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ**﴾ اهتمامًا بشأنه لأنه مما كفروا بسببه إذ جعلوا الآلهة شفعاء لهم عند الله ﷻ. وحذف مفعول ارتضى لأنه عائد صلة منصوب بفعل، والتقدير: لمن ارتضاه، أي ارتضى الشفاعة له بأن يأذن الملائكة أن يشفعوا له إظهارًا لكرامتهم عند الله أو استجابة لاستغفارهم لمن في الأرض، كما قال تعالى: ﴿...**وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ**..﴾ [الشورى: ٥]، وذلك الاستغفار من جملة ما خلقوا لأجله فليس هو من التقدم بالقول" (١).

سادسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد لأن الولد لابد له أن يكون شبيهًا بوالده ومشاركًا له في بعض الصفات والخصائص، والمشاركة تقتضي التركيب الذي لا يصح وصف الذات الإلهية به تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وكل مركب ممكن واتخاذه للولد يجعله ممكنًا غير واجب، وبهذا القول نضفي على الله صفات العباد عياذً بالله، وقد اتهم المشركون الله ﷻ بمصاهرة الجن، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا**﴾ [الصافات: ١٥٨] (٢).

٢) "ذكر الله خمس صفات للملائكة تدل على العبودية ونفي الولادة وهي:

أ- المبالغة في طاعة الله، فهم لا يقولون قولًا ولا يفعلون فعلًا إلا بأمر الله، وهذه صفات العبيد.

ب- إن الله تعالى يعلم أسرارهم، وهم لا يعلمون أسراره، فهو المستحق للعبادة، لا هم.

ج- إنهم لا يشفعون إلا بإذن الله ورضاه، ومن كان إلها لا يحتاج لإذن أحد.

د- إنهم أشد الخلق خوفاً من الله، وذلك من صفات العبيد.

هـ- الملائكة وإن أكرموا بالعصمة، فهم كسائر المكلفين مسئولون موجه لهم الوعد والوعيد، فلا يتصور كونهم آلهة، وهم معصومون ومتوعدون"(٣).

٣) للملائكة يوم القيامة شفاعة كبقية الشفعاء، وهي ثابتة بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، يقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾ [غافر: ٧]، ويقول: ﴿**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾ [النجم: ٢٦]، وغيرها من الآيات.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥١/١٧).

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (٤٧٨/١٣).

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، (٤١/١٧).

وجاء في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا: (... **شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون)**[١].

وجاء أيضًا في حديث أبي بكرة ﷺ عن النبي ﷺ: **(يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتقادع**[٢] **بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار قال: فينجي الله تبارك وتعالى برحمته من يشاء ثم يؤذن للملائكة والنبيين والشهداء أن يشفعوا فيشفعون ويخرجون ويشفعون ويخرجون...)**[٣].

٤) كتبت الشفاعة للعباد يوم القيامة فضلًا من الله وتكرمًا، وهي ليست شفاعة واحدة بل شفاعات من رب السماوات، وهذه الشفاعة من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، ومن شروطها وهي أن يكون الشافع قد أذن له بالشفاعة، وأن يكون المشفوع له من أهل التوحيد فأهل الشرك لا تنفعهم شفاعة الشافعين[٤].

٥) قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ فيه دليل لنا على إثبات الشفاعة لأهل الكبائر في الآخرة، قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك: (إلا لمن ارتضى) أي لمن قال لا إله إلا الله، وعلى هذا فأهل الكبائر من الموحدين تثبت لهم الشفاعة، ويؤيد ذلك حديث جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾، قال ﷺ: **(إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)**[٥]، وفي هذا رد على كلام المعتزلة بعدم ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر[٦].

٦) "يجزي الله تعالى بالنار كل من ادعى الشركة معه، ودعا إلى عبادة نفسه كإبليس، فكذلك يجزي الظالمين الواضعين الألوهية والعبادة في غير موضعهما" [٧].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه مطولًا، كتاب الإيمان، باب معرفة طرق الرؤية، (١٦٧/١)، ح رقم ١٨٣. وأخرجه أبي داود الطيالسي في مسنده مطولًا، (٦٢٩/٣)، ح رقم ٢٢٩٣.

(٢) يقول ابن الأثير في كتابه "النهاية في غريب الحديث والأثر" (٢٤/٤): (فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار) أي تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض، وتقادع القوم: إذا مات بعضهم إثر بعض.

(٣) كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت: ٢٨٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، ط: ١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، (٤٠٣/٢)، ح رقم ٨٣٧. وقال الألباني: إسناده حسن أو محتمل للتحسين رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير محمد بن أبان الواسطي وهو صدوق. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب ما ذكر فيما أعد لأهل النار وشدته، (٥٩/٧) برقم ٣٤١٩٣.

(٤) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٠٨/٣).

(٥) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، (٤١٤/٢)، ح رقم ٣٤٤٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح على شرط مسلم.

(٦) انظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الرازي، (١٣٥/٢٢).

(٧) التفسير المنير، الزحيلي، (٤١/١٧).

المطلب الثالث: **أدلة توحيد الله والتأمل طريق المعرفة والإيمان**:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠ – ٣٣].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ "الرتق: السد ضد الفتق، يقال رتقت الفتق أرتقته فارتتق أي التأم[١]، قال الفراء: فتقت السماء بالقطر والأرض بالنبات، وقال الزجاج: المعنى أن السموات كانت سماء واحدة مرتتقة ليس فيها ماء فجعلها غير واحدة؛ ففتق الله السماء فجعلها سبعًا، وجعل الأرض سبع أرضين، ويدل على أنه يراد بفتقها كون المطر قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ [الأنبياء: ٣٠]" [٢].

٢) ﴿**رَوَاسِيَ**﴾: جبالًا شوامخ تحفظ الأرض من الاضطراب[٣].

٣) ﴿**تَمِيدَ**﴾ "ميد: الميم والياء والدال أصلان صحيحان: أحدهما يدل على حركة في شيء، والآخر على نفع وعطاء.

فالأول الميد: التحرك، وماد يميد، ومادت الأغصان تميد: تمايلت، وهو المعنى المراد في الآية" [٤].

٤) ﴿**فِجَاجًا سُبُلًا**﴾ "فِجَاج: جَمع فَجٍّ، وهو كل منخرق بين جبلين، وسُبُلاً: طُرَقاً" [٥].

٥) ﴿**سَقْفًا مَحْفُوظًا**﴾: "حفظه الله من الوقوع على الأرض وقيل محفوظًا، أي محفوظًا بالكواكب" [٦].

٦) ﴿**فَلَكٍ**﴾: "الفاء واللام والكاف أصل صحيح يدل على استدارة في شيء. من ذلك فلكة المغزل بفتح الفاء، سميت لاستدارتها" [٧].

٧) ﴿**يَسْبَحُونَ**﴾ قال مجاهد: "يجرون كهيئة حديدة الرحى" [٨].

---

(١) التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، (٥٢٧/٢).

(٢) تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م، (٦٧/٩).

(٣) انظر: الكليات معجم في المصطلحات، أبو البقاء الحنفي، (ص ٤٨٤). وانظر: تفسير يحيى بن سلام، (٣٠٩/١).

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٩٧٩م، (٥/ ٢٨٨). وانظر: جامع البيان، القرطبي، (٢٨٥/١١).

(٥) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٣٩٠/٣).

(٦) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٧) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤٥٢/٤).

(٨) تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي (ت: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد أبو النيل، (ص ٤٧١).

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

مناسبة هذه الآيات لما قبلها، أن الآيات السابقة لها قد كشفت عن وجوه الضالين، من الكافرين والمشركين، وعرضت تصوراتهم المريضة، لجلال الألوهية وكمالها، حتى لقد بلغ بهم الإسفاف في ضلال العقل، وسخف النظر، ما أوردهم هذا المورد الذي ينزلون فيه إلى هذا المنحدر من الضلال، فيعبدون أحجارًا، وحيوانات، وأناسي، ويجعلونها آلهة، تخلق، وترزق، وتحيى، وتميت!

فجاء قوله ﷻ: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا...**﴾ ليلفت نظر هؤلاء الضالين إلى ما هم فيه من ضلال وشرود عن الله الواحد، المتفرد بالألوهية والملك والسلطان[١].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

يلفت الله ﷻ أنظار الخلائق للتدبر والتفكر في دلائل عظمته وقدرته ووحدانيته، ويستنكر على الكافرين غفلتهم وضياعهم، وأنهم لم يتفكروا في أن السماء كانت بلا مطر والأرض بلا نبات، ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات وما ينفع الناس، وجعل من الماء مصدرًا لا غنى عنه لحياتهم وحياة كل المخلوقات، فهل مَنْ أتقن وأبدع في الخلق والتدبير يكفر به!

ثم يسوق الله ﷻ مزيدًا من الأدلة والبراهين العظيمة على وحدانيته، فيقول بأنه أرسى الأرض بالجبال التي هي كالأوتاد تحفظ الأرض من الاضطراب، ومن حكمته أن جعل في تلك الجبال طرقًا سهلة لعل الكفار يهتدون من خلالها للوصول إلى المنافع في البلدان الأخرى، ويستدلون بذلك على وحدانيته.

ثم يذكرهم ﷻ بأنه خلق السماء لتكون سقفًا للأرض وحفظها من السقوط ومن استراق الشياطين للسمع، ورغم كل هذه الآيات إلا أنهم غافلون لاهون، وهو سبحانه وتعالى الذي خلق لهم الليل للراحة والنهار للسعي والعمل، وخلق الشمس والقمر والكواكب التي تدور في الأفلاك، فهل من ناظر ومفكر ومتدبر لكل هذه الدلائل والآيات الربانية العظيمة[٢].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ "استفهام إنكاري، أي أنهم لم يروا وكان حقهم أن يروا، والرؤية ليست رؤية البصر ولكن رؤية العلم والبصر والإدراك، لأنه لا يستطيع أحد أن يراهما رتقًا" [٣].
- قوله: ﴿**رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ "طباق بين الرتق والفتق، وفي قوله: ﴿**كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ التنكير للتعميم" [٤].

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (٩/ ٨٦٧)، بتصرف.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص ٥٢٢،٥٢٣).

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٥٥).

(٤) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢/٢٤٢،٢٤١).

- في قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا...**﴾ تكريرُ فعل (الجعل) لاختلاف الأشياء التي وقع عليها الفعل، ولتوفية مقام الامتنان حقَّه، فالله امتن على الخلق بالنعم الكثيرة[١].
- في قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا**﴾ تشبيه بليغ، حيث شبه السماء بالسقف ولكنه بلا عمد يمتد إليها من الأرض، وهذا دليل من أدلة القدرة الإلهية العظيمة[٢].
- في قوله: ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ "الجمع في الفعل باعتبار المطالع، قال سيبويه[٣]: إنه لما أخبر عنهن بفعل من يعقل، وجعلهن في الطاعة بمنزلة من يعقل، جعل الضمير عنهن ضمير العقلاء، ولم يقل يسبحن أو تسبح، وكذا قال الفراء" [٤].
- في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾ "التفات من المتكلم إلى الغائب بعد قوله: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ للفت النظر إلى النعم الجليلة والاعتناء بها" [٥].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) **من الأدلة** على وجود الإله الخالق الواحد الأحد والتي توحي بإتصافه بالقدرة الكاملة والسلطان العظيم، فتق السموات عن الأرض، وجعل طبيعة خاصة لكل منهما، وقال سيد قطب: "وهذا الشيء قد أخبر به القرآن الكريم منذ ألف أربعمائة عام، فلو تدبر الكافرون هذا الأمر لحملهم على الإيمان، وأما المسلمون فليسوا بحاجة إلى ما يكشفه العلم لأنهم يعتقدون بكل ما جاء به القرآن حتى وإن لم يوافق النظريات العلمية البشرية" [٦].

"والعلم الحديث قد اكتشف هذه الحقيقة التي تقول بأن السماوات والأرض كانت كتلة واحدة ملتصقة ببعضها البعض، وأطلق عليها نظرية (لابلاس) أو نظرية (السديم) عند علماء الفلك" [٧].

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٦٥/٦).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٥٨/١٧).

(٣) سيبويه، إمام أهل النحو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، أصله فارسي، طلب الفقه والحديث، ثم طلب العربية فبرع فيها وساد أهل زمانه، وصنف فيها كتابه الكبير الذي لم يصنف أحد بعده مثله. قيل: إنه توفي سنة تسع وسبعين ومائة، وقيل: سنة ثمانين ومائة، وهو أصح الأقوال، وأشهرها. انظر: تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، (٦٣٦/٤).

(٤) فتح القدير، الشوكاني، (٤٧٩/٣).

(٥) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٤٢/٢).

(٦) في ظلال القرآن، (٢٣٧٦/٤).

(٧) وهي ما تسمى نظرية "لابلاس" أو نظرية "السديم" عند علماء الفلك، الذي يثبتون أن الشمس والكواكب والأرض كانت قطعة واحدة، وأن الشمس كانت كرة نارية، وفي أثناء سيرها السريع انفصلت عنها أرضنا والكواكب السيارة الأخرى، ولكل من تلك الكواكب مدار حسب تأثير الجاذبية، وهي تجري في الفلك، وهي تسعة أفلاك دون السموات المطبقة التي يعيش فيها الملائكة، والفلك استدارة في السماء تدور بالنجوم مع ثبوت السماء، أو هو مجراها وسرعة سيرها. انظر: التفسير المنير، الزحيلي (٤٤/١٧)، ونحو تفسير موضوعي (ص ٢٥٣).

ومن الأدلة على قدرته تعالى وعظمته، جعل الماء سببًا للحياة، فالله ﷻ خلق كل شيء من الماء، وحفظ حياة كل شيء بالماء، وأوجد الإنسان من ماء الصلب.

روى أبو حاتم البستي[١] عن أبي هريرة ﷺ قال: **(قلت: يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي، وقرت عيني، أنبئني عن كل شيء قال ﷺ: كل شيء خلق من الماء)**[٢]، وما أروع لفت النظر بعد هذه الآية حين قال تعالى: **(أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)** أي أفلا يصدقون بما يشاهدون، وأن ذلك لم يكن بنفسه، بل لِمُكَوِنٍ كونه، ومدبرٍ أوجده، ولا يجوز أن يكون ذلك المكون محدثًا، بل لا بد من أن يكون أزليًا قديمًا لأن صفة الألوهية تقتضي عقلًا عدم المشابهة للحوادث[٣].

٢) بيان حكمة الخالق من خلقه للجبال رواسي أي جبالًا ثوابت، وذلك لتكون مثبتة للأرض، حتى لا تتحرك بمن عليها، وليتم القرار والاطمئنان عليها[٤].

٣) من عظيم قدرة الله أنه أوجد في الأرض وبين هامات الجبال مسالك وطرقًا واسعة، لتكون منافذ يسهل على الناس اختراقها وتجاوزها من مكان لآخر، ومن قطر إلى قطر أو إقليم إلى إقليم[٥].

٤) من رحمة الله بالخلق أن جعل السماء سقفًا للأرض، محفوظًا من الوقوع والسقوط عليها، ومحفوظ من الشياطين التي تحاول استراق السمع- سمع الأسرار الإلهية[٦].

٥) الله ﷻ خلق الليل والنهار، تذكيرًا للعباد بنعمة أخرى عليهم، فالله جعل لهم الليل ليسكنوا فيه، والنهار ليتصرفوا فيه وينطلقوا لمعايشهم، وجعل الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، لنعلم الشهور والسنون والحساب، وكل من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار يجرون ويسيرون بسرعة في فلك خاص، كالسابح في الماء[٧].

٦) "إعراض أكثر الناس عن آيات الله في الآفاق كإعراضهم عن آياته القرآنية هو سبب جهلهم وشركهم وشرهم وفسادهم" [٨].

---

(١) محمد بن حبان، أبو حاتم البستي الحافظ، صاحب الأنواع، ومؤلف كتابي الجرح والتعديل، وغير ذلك.
كان من أئمة زمانه، وطلب العلم على رأس الثلاثمائة، مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. انظر: ميزان الاعتدال، الذهبي (٥٠٦/٣)، والأعلام للزركلي (٧٨/٦).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب: ذكر إيجاب دخول الجنان للقائم في سواد الليل يتملق إلى مولاه، (٢٩٩/٦)، ح رقم ٢٥٥٩. قال الألباني: حديث ضعيف، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي ميمونة.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، (٤٨/١٧)، بتصرف.

(٤) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٤١٠/٣).

(٥) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط: ٧، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م، (٥٠٧/٢)، بتصرف.

(٦) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٥٧٨).

(٧) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٢٨/١٧)، بتصرف. وانظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٥٠/١٧).

(٨) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤١٠/٣).

المطلب الرابع: الموت نهاية كل حي:

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤ – ٣٥].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**الْخُلْدَ**﴾: "دوام البقاء في دار لا يخرج منها، وخلد يخلد خلدًا وخلودًا: بقي وأقام" [١].

٢) ﴿**ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾: "الذوق: هنا الإدراك والمراد من الموت مقدماته من الآلام العظيمة، والمدرك لذلك هي النفس المفارقة التي تدرك مفارقتها للبدن" [٢].

٣) ﴿**فِتْنَةً**﴾ الفتنة هي الابتلاء وقد يكون في الخير والشر، وجاءت هنا بمعنى امتحان أو اختبار[٣].

ثانيًا: سبب النزول:

قال القاسمي: "نزلت حين قالوا ﴿**نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**﴾ [الطور: ٣٠]، فكانوا يقدِّرون أنه سيموت، فيشمتون بموته، لما يأملون ذهاب الدعوة النبوية، وتبدد نظامها، بفقد واسطة عقدها، فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذه الآية، بما قضى أنه لا يخلد في الدنيا بشرٌ، لكونه مخالفًا للحكمة التكوينية" [٤].

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: نعي إلى النبي ﷺ نفسه، فقال: يا رب، فمن لأمتي؟ فنزلت: ﴿**وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ**﴾ الآية" [٥].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

قضى الله تعالى ألا يخلّد في الدنيا بشرًا ولا نفسًا، فلن يكتب الخلود لأحد، ولا أنت نخلّدك أيها النبي، وقد قدّر لك أن تموت كسائر الرسل المتقدمين قبلك، فهل إذا مت أيها الرسول يبقى هؤلاء المشركون بربهم؟ لا، بل الكل ميتون، فلا أمل في أن يعيشوا بعدك، وهذا رد على المشركين الذين كانوا يتمنون موت رسول الله ﷺ، وكانوا يقدّرون أنه سيموت، فيشمتون بموته، فلا محل لهذه الشماتة لأن الموت نهاية طبيعية لكل حي، لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ * وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ**﴾ [الرحمن: ٢٦– ٢٧].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، (١٦٤/٣). وانظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، (٢٧٥/٦).

(٢) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٢٨،٢٩/١٧).

(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام، (ص ٣١٢).

(٤) محاسن التأويل، القاسمي، (١٩٣/٧).

(٥) التفسير المنير، الزحيلي، (٥٢/١٧).

والحياة مسرح للابتلاء بالبلاء والنعمة، وبالشدة والرخاء، وبالشر والخير، وفي النهاية مرجعكم إلى حكم الله وحسابه وجزائه، فيجازيكم بأعمالكم، وفي هذا وعد بالثواب، ووعيد بالعقاب، وهذا إخبار من الله عز وجل عن الرجعة إليه، والقيام من القبور، بعد أن كانوا على أحوال مختلفة في الدنيا، كما قال الله في تقسيم أمة محمد ﷺ: ﴿**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ**﴾ [فاطر: ٣٢][١].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**﴾ "(الفاء) لترتيب ما بعدها مع قبلها، أي إذا كنت ستموت لَا محالة فهل هم خالدون؛ فالاستفهام الذي في حيزه الفاء مترتب على نفي الخلود عنه ﷺ، والاستفهام داخل على مضمون الشرطية، وهو استفهام إنكاري فيه نفي الوقوع، والجملة الشرطية محطها الجواب، والمعنى إن مت لا يخلدون بل ينتهون أيضًا، فلا يصح أن يتمنوا موتك، ولا يصح أن تشمتوا فالموت حق على كل نفس" [٢].
- في قوله: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ**﴾ ذكر الله النفس ولم يقل: كل إنسان أو كل بشر، وذلك لأن النفس هي التي تتذوق مرارة فراق الجسد، والنفس هي التي ينصب عليها الموت ابتداءً[٣].
- "في قوله: ﴿**ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ الذوق لا يمكن إجراؤه على ظاهره لأن الموت ليس من جنس المطعوم حتى يذاق بل الذوق إدراك خاص فيجوز جعله مجازًا عن أصل الإدراك" [٤].
- "الطباق بين الشر والخير في قوله ﷻ: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾" [٥].
- ﴿**وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ قدم الجار والمجرور لتقوية الخبر وتأكيده وهو البعث، وللرعاية على الفاصلة[٦].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) جاء قوله تعالى: ﴿**وَما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ**﴾ مسفهًا لمنطق المشركين الذي يمنون به أنفسهم وهو موت النبي ﷺ، وبموته تكون نهاية الإسلام، وجعلوا هذه الأمنية أداة من أدوات الغلب في أيديهم، ولكن الحقيقة أن الموت حكم قائم على كل نفس، فإذا مات النبي ﷺ، فليس وحده هو الذي يصير إلى هذا المصير، وإنما الناس جميعًا، صائرون إلى هذا المصير، فكيف يكون الموت أداة من أدوات المعركة بينهم وبين النبي؟[٧]

---

(١) التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٥٨٠، ١٥٨١)، بتصرف.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٦٠، ٤٨٦١).

(٣) المرجع السابق، (٩/ ٤٨٦١)، بتصرف.

(٤) التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، (١٤٣/٢٢).

(٥) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٤٢/٢).

(٦) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦٥/١٧).

(٧) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (٨٧١،٨٧٢/٩).

٢) "إبطال ما شاع من أن الخضر حي مخلد لا يموت لنفيه تعالى ذلك عن كل البشر" [١].

٣) الموت نهاية كل نفس، وهذا هو الناموس الذي يحكم الحياة، وهذه هي السنة التي ليس لها استثناء، فما أجدر الأحياء أن يحسبوا حساب هذا المذاق! إنه الموت نهاية كل حي، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض، وإلى الله يرجع الجميع[٢].

٤) العموم في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ من قبيل العموم المخصوص، فإنه تعالى له نفس تليق بجلاله لقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ [المائدة : ١١٦]، مع أن الموت لا يجوز عليه، وكذا الجمادات لها نفوس، وهي لا تموت، والعام المخصوص حجة، فيبقى معمولًا به فيما عدا هذه الأشياء[٣].

٥) قال صاحب الظلال: "والابتلاء بالشر مفهوم أمره، ليتكشف مدى احتمال المبتلى، ومدى صبره على الضر، ومدى ثقته في ربه، ورجائه في رحمته، فأما الابتلاء بالخير فهو بحاجة إلى بيان، إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر.

إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير، كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة، ويكبحون جماح القوة الهائجة في كيانهم الجامحة في أوصالهم.

وعن أبي الدرداء ﷺ، قال: **(خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نذكر الفقر ونتخوفه، فقال: آلفقر تخافون؟ والذي نفسي بيده، لتصبن عليكم الدنيا صبًا، حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه، وايم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء، قال أبو الدرداء ﷺ: صدق والله رسول الله ﷺ: تركنا والله على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء)**[٤].

فالنبي ﷺ ينكر على الصحابة خشيتهم من الفقر، وينبئهم بأن الدنيا ستصب خيراتها من فوقهم صبًا، وقد صدق رسول الله ﷺ في نبوئته، حتى أصبح الغنى أمرًا عجيبًا، وسادت الأمة مع الفقر وتخلفت مع الغنى، فالذي اقتتل الناس من أجله إنما هو المال، وهو الذي دمر كثيرًا من البيوت" [٥].

---

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤١٣/٣).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٧٧)، بتصرف.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، (٥٩/١٧)، بتصرف.

(٤) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة رسول الله، (٤/١)، ح رقم ٥.
وفي شرح محمد فؤاد عبد الباقي: (إلا هيه) هي ضمير الدنيا. والهاء في آخره للسكت. أي لا يميل قلب أحدكم إلا الدنيا.
(على مثل البيضاء) المعنى على قلوب بيضاء نقية عن الميل إلى الباطل لا يميلها عن الإقبال على الله تعالى السراء والضراء. قال الألباني: حديث حسن.

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٧٧).

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٣٦-٤٠)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** الاستهزاء مظهرٌ ملازم لأعداء الأنبياء.
- **المطلب الثاني:** عدم استعجال الانتقام والتعامل بالحكمة.
- **المطلب الثالث:** عقاب الجاحدين ومباغتتهم بالعذاب.

المطلب الأول: الاستهزاء مظهرٌ ملازم لأعداء الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦﴾ [الأنبياء: ٣٦].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**هُزُوًا**﴾ "الهُزْءُ: مزح في خفية، وقد يقال لما هو كالمزح، والمراد: الاستهزاء" [١].

٢) ﴿**يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ**﴾ "يريد: يعيب آلهتكم" [٢].

ثانيًا: سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم عن السدي[٣] قال: "مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان، وهما يتحدثان، فلما رآه أبو جهل ضحك، وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف، فغضب أبو سفيان، وقال: أتتكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي؟ فسمعنا النبي ﷺ، فرجع إلى أبي جهل، فوقع به، وخوفه، وقال: ما أراك منتهيًا حتى يصيبك ما أصاب عمك الوليد بن المغيرة، وقال لأبي سفيان: أما إنك لم تقل ما قلت إلا حمية، فنزلت الآية: ﴿**وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا**﴾" [٤].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

"ذكر الله ﷻ استهزاء بعض المشركين بالنبي ﷺ، كأبي جهل بن هشام وأمثاله، فليس لهم همّ إلا السخرية من النبي ﷺ، وقالوا تعجبًا واستنكارًا: أهذا الذي يعيب آلهتكم ويسفّه أحلامكم؟! والحال أنهم كافرون بالله الذي خلقهم وأنعم عليهم، وإليه مرجعهم، فهم يعيبون على النبي ﷺ ذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع، مع أنهم كافرون بالرحمن الذي هو المنعم الخالق، المحيي والمميت" [٥].

والاستهزاء والسخرية من المؤمنين عادة من عادات أعداء الله لا تنفك عنهم أبدًا، وذلك لأن أحشاءهم تحترق حقدًا على دين الله وأهله، ولذلك كشف الله هذا العداء لنبيه محمد ﷺ وأصحابه، ووردت آيات كثيرة في كتاب الله تبين موقف الأنبياء والرسل من هذا الخلق الرديء وأصحابه.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، (ص ٨٤١).

(٢) معاني القرآن، الفراء، (٢/٢٠٢).

(٣) السُّدِّيُّ، إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة، الإمام، المفسر، أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي، الأعور، السدي، أحد موالي قريش، قال خليفة بن خياط: مات إسماعيل السدي في سنة سبع وعشرين ومائة، انظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة، الذهبي، (٥/ ٢٦٤،٢٦٥).

(٤) لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، (ص١٣٣). وانظر: فتح القدير، الشوكاني، (٣/٤٨٣).

(٥) التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٥٨١).

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآية:

١) ذكر استهزاء المشركين بالنبي ﷺ، على هذه الصورة التي دلت على سفههم وحماقتهم تذكير للدعاة من بعده للتأسي به ﷺ في صبره وثباته، وعدم اكتراثه بحماقاتهم وضلالهم، والله سبحانه وتعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ [الحجر: ٩٥]، ولقد أحاطت بالمستهزئين عقوبة استهزائهم، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام: ٣٤][١].

٢) إنَّ المشركين وأعداء الإسلام على اختلاف دياناتهم وطوائفهم من يهود ونصارى ومجوس وغيرهم يبغضون محمدًا ﷺ ويستهزئون به ويسخرون منه في كل وقت وحين؛ بغضًا للدين الذي جاء به، وحقدًا يحملونه لأهله الذين آمنوا به، وقد تعددت أشكال الاستهزاء به ﷺ سواء كان المستهزئ فردًا أو مجتمعًا، أو صحيفة ملعونة حاقد كاتبها كما يحدث في هذه الأيام، ولكن الله سبحانه وتعالى لهم بالمرصاد، قال تعالى: ﴿**..وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [المائدة: ١٤].

٣) "إن الإيمان والكفر يتبديان من أول لقاء أو من أي لقاء، فإذا صحب اللقاء إقبال وتعرُّف سلك طريق تعرف الحق واهتدى، وإذا كان اللقاء إعراضًا، وسدًا لينابيع الإدراك، ومن أشد مظاهر الإعراض الاستهزاء والسخرية؛ لأن الاستهزاء يميع النفس، فلا تتجه إلى طلب المعرفة، وتحري الصواب، ولقد كان الاستهزاء شأن المشركين في لقاء النبي ﷺ" [٢].

المطلب الثاني: عدم استعجال الانتقام والتعامل بالحكمة:

قال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾ [الأنبياء: ٣٧ – ٣٨].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**عَجَلٍ**﴾: العجل والعجلة: طلب الشيء قبل أوانه، قال المُبَرِّد[٣]: "خلق الإنسان من عجل: أي إن من شأنه العجلة كقوله: ﴿**خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ**﴾ أي خلقكم ضعفاء" [٤].

٢) ﴿**سَأُرِيكُمْ آيَاتِي**﴾ الآيات: آيات النقم والعذاب التي هددهم الله بوقوعها فشاهدوها عيانًا يوم بدر[٥].

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٣٦/٥)، بتصرف.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٦٢).

(٣) المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد عام ٢٨٦هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، (١٤٤/٧).

(٤) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٣٢/١٧).

(٥) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١ – ١٤١٥ هـ،، (٢٢٦/٣).

ثانيًا: سبب النزول:

"نزل قوله تعالى: ﴿**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾ في استعجالهم العذاب، وروي أن الآية نزلت في النضر بن الحارث، وهو القائل: ﴿**اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأنفال: ٣٢]" (١).

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

"مهدت الآية للرد على المشركين في استعجالهم العذاب، وطلبهم آية مقترحة، فهي مقرونة بعذاب مجهّز إن كفروا بعد ذلك، ومضمون الآية: أن الإنسان خلق متعجلًا للأمور، وكأن هذا جزء من تكوينه وفطرته، كما قال سبحانه: ﴿**وَكَانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا**﴾ [الإسراء: ١١]، أي في الأمور، فإن المشركين يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى الإيمان والإقرار بالعبودية، وبرسالة محمد ﷺ" (٢).

والعجلة صفة مذمومة، ولا يسلم منها إنسان؛ لأن النفس جبلت عليها، ووراء كل عجلة نفس متهورة ومندفعة، لا تعرف التأني والصبر، ولا تتأمل في النتائج والخواتيم، والعجلة تجعل الإنسان يائسًا حزينًا على حاله التي توصل إليها بسبب عجلته، ولذلك حذرنا منها المولى تبارك وتعالى.

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

في قوله تعالى: ﴿**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾ "بني الفعل (خُلق) للمفعول لأن المقصود بيان ما جبل عليه والخالق معروف" (٣).

"وفي الآية مبالغة في وصف الإنسان، وذلك لفرط استعجاله، فكأنه مخلوق من العجل نفسه، كقول العرب لمن لازم اللعب: هو من لعب" (٤).

"وفي الآية استعارة مكنية حيث شبه الإنسان بالعجل لكونه مطبوعًا عليه، بمادته" (٥).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) الحكمة من ذكر عجلة الإنسان أنه لما ذكر المستهزئين بالرسول ﷺ، وقع في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك، فقال الله تعالى: ﴿**خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾؛ لأنه تعالى يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، يؤجل ثم يعجل؛ ولهذا توعدهم الله بوقوع العذاب بهم فلا يستعجلوه(٦).

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، (٥٣/١٧).

(٢) التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٥٨٢).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٤٢٠/١٢).

(٤) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٤٢/٢). وانظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٥١/١٧).

(٥) محاسن التأويل، القاسمي، (١٩٤/٧).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق سامي سلامة، (٣٤٣/٥).

٢) التعجل من مقتضى الشّهوة، فلذلك صار مذمومًا في عامّة القرآن حتّى قيل: العجلة من الشّيطان.
ومن مضار العجلة:[١]
أ- دليل السّفه وخفّة الحلم وضعف العقل.
ب- كثرة الزّلل والوقوع في الخطأ.
ت- النّدم على ما وقع لا ينفع في الغالب الأعمّ.
ث- العجول محروم من السّيادة ومواقع القيادة والرّيادة.
ج- صاحبها محروم من خير كثير ويجلب لنفسه ضررًا عظيمًا.
٣) الله ﷻ يملي للكافرين ويعطيهم الفرص تلو الفرص، وفي ذلك استدراج لهم وتمحيص للمؤمنين واختبارًا لصبرهم، ولتعليم الأمة أن انتظار الانتقام الرباني من الكافرين يحتاج إلى تريث وعدم استعجال، فعن أبي موسى ﷺ، قال: قال رسول ﷺ: **(إن الله عز وجل يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذا أَخَذَ الْقُرى وَهِيَ ظالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾)**[٢].
٤) التربية الحسنة لها دور كبير في تقويم سلوك الفرد، فمن يستطيع أن يغير أطباعه من خلال تربية نفسه وتعوديها على الصبر والأناة وعدم الاستعجال كان من أكمل الناس وأشرفهم[٣].

المطلب الثالث: عقاب الجاحدين ومباغتتهم بالعذاب:

قال تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٩-٤٠].

أولًا: معاني المفردات:
١) ﴿**يَكُفُّونَ**﴾: "يَدْفَعُونَ" [٤].
٢) ﴿**بَغْتَةً**﴾: "بغتة فُجَاءَةً وهم غافلون عنها" [٥].
٣) ﴿**فَتَبْهَتُهُمْ**﴾: "أي تحيرهم، و(بهت) الباء والهاء والتاء أصل واحد، وهو كالدهش والحيرة" [٦].
٤) ﴿**يُنْظَرُونَ**﴾ "الإنظار: الإمهال، وأنظرني: أي أمهلني واصبر عليَّ" [٧].

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط : ٤، (١٠/ ٤٩٤٢، ٤٩٥٤).
(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (٤/ ١٩٩٧)، ح رقم ٢٥٨٣.
(٣) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٤١٣/٣).
(٤) تفسير القرآن، السمعاني، (٣٨١/٣).
(٥) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٣٩٢،٣٩٣/٣).
(٦) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣٠٧/١).
(٧) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، (٦٦٥٥/١٠).

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

جاء قوله تعالى: ﴿**لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ...**﴾ [آية: ٣٩] للبيان، لأن المسلمين يترقبون من حكاية جملة ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [آية: ٣٨]، ماذا يكون جوابهم عن تهكمهم، وحاصل الجواب أنه واقع لا محالة ولا سبيل إلى إنكاره(١).

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار، وهم فيها كالحون، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها، ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم وما لهم ناصر ينصرهم، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ﷻ، ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء.

ولا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتغشاهم فجأة، وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه، فلا يستطيعون حماية أنفسهم من لهيبها وحرارتها، ولا هم يأخذون مهلة للتفكير بالرجوع والتوبة إلى الله ﷻ لأن ذلك الوقت ليس للعمل والتوبة والإنابة، بل هي ساعة مجازاة وإثابة(٢).

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**لَوْ يَعْلَمُ الذين كَفَرُواْ**﴾ "جواب لو محذوف لدلالة الكلام عليه، وحذفه أبلغ وأهيب من النص عليه فقدره ابن عطية لما استعجلوا ونحوه، وقدره الزمخشري لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال، وقيل: لعلموا صحة البعث، وقيل: لعلموا صحة الموعود" (٣).
- في قوله: ﴿**حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ**﴾ "خص الله الوجوه والظهور بالذكر، لكونهما أظهر الجوانب، ولبيان أن العذاب سيغشاهم من الأمام والخلف دون أن يملكوا له دفعًا" (٤).
- في قوله: ﴿**بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً**﴾ قال ابن عطية: "استدراك مقدر قبله نفي تقديره إن الآيات لا تأتي بحسب اقتراحهم" (٥).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧٠/١٧)، بتصرف.

(٢) جامع البيان، الطبري، تحقيق أحمد شاكر، (١٨/ ٤٤٥)، بتصرف.

(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ، (٤٣٢/٧،٤٣١).

(٤) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، (٢١١/٩).

(٥) المحرر الوجيز، (٨٣/٤). وانظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٤٣٢/٧).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) الله عز وجل يتوعد الكفار بالعذاب في النار يوم القيامة، فلا يستطيعون رد هذا العذاب عن وجوههم التي رأت الهدى ولم تسلك سبيله ولا عن ظهورهم التي أدبرت عن دعوة الأنبياء والرسل.

٢) يوم القيامة والحساب والعقاب محقق وواقع لا ريب فيه، ولكن لا أحد يعلم بالتحديد متى سيكون هذا اليوم الموعود إلا الله سبحانه وتعالى، فهو القائل: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٧] ولن تأتي الساعة إلا فجأة فتحير الناس وتخوفهم، فمن عمل صالحًا فسيجزى بمثله، ومن أساء فسوف يلقى حسابه عند ربه، ولا مجال للاعتذار والتوبة في وقت وحين مجيء الساعة[١].

فعن أبي موسى ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: **(إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)**[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(لا تقوم الساعة حتى... وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس – يعني آمنوا – أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها)**[٣].

٣) الله ﷻ لم يعلم المكلفين وقت الموت والقيامة لما فيه من المصلحة لأن المرء مع كتمان ذلك أشد حذرًا وأقرب إلى التلافي، فيعمل المؤمن من أجل هذا اليوم الذي سيحاسب فيه على كل ما قدم من الأعمال[٤].

إذن أخفى الله سبحانه وتعالى أمر الساعة ووقتها، كما أخفى وقت موت كل إنسان فلا يعلم متى يحل أجله، وذلك ليخاف الناس ويحملهم الخوف على مراقبة الله في كل الأوقات والأحوال، فيتحروا الخير ويجتنبوا الشر والمعاصي، وذلك كله في مصلحة العباد في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٥٩/١٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت، (٤/ ٢١١٣)، ح رقم ٢٧٥٩.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، (٥٩/٩)، ح رقم ٧١٢١. وفي حاشية الصفحة شرح الدكتور مصطفى البغا: (فذلك) أي فهذا الوقت. (كسبت في إيمانها خيرا) آمنت إيمانا صادقًا وعملت بمقتضاه فلم ترتكب الكبائر وتصر عليها. (فلا يتبايعانه) لا يتمكنان من إمضاء عقد البيع. (لقحته) الناقة الحلوب. والقريبة العهد بالولادة. (يليط) يطين ويصلح. (أكلته) لقمته.

(٤) انظر: التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، الرازي، (١٤٦/٢٢).

المبحث الثالث:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤١-٤٤)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** تسلية محمد ﷺ بذكر أحوال من قبله من الأنبياء.
- **المطلب الثاني:** طلب النصر والمدد ممن يستطيع تحقيقه.
- **المطلب الثالث:** الابتلاء بالنعمة يستدعي مراقبة النفس ومحاسبتها.

المطلب الأول: **تسلية محمد ﷺ بذكر أحوال من قبله من الأنبياء**:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٤١ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ۝٤٢﴾ [الأنبياء: ٤١-٤٢].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**فَحَاقَ**﴾: "نزل ووجب ووقع وأمثاله، وقال بعض أهل المعاني: الحيق: هو ما اشتمل على الإنسان من مكروه، أي: بفعله؛ كقوله: ﴿**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال بعضهم: حاق، أي: رجع عليهم وأحاط بهم" [١].

٢) ﴿**يَكْلَؤُكُمْ**﴾ "يحرسكم ويحفظكم، والكلاءة الحراسة والحفظ، كلأه الله كلاء (بالكسر) أي حفظه وحرسه، يقال: اذهب في كلاءة الله، واكتلأت منهم أي احترست" [٢].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا ...**﴾ [آية: ٤١]، جاء معطوفًا على قوله: ﴿**وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا**﴾ [آية: ٣٦]، وذلك لتسلية النبي ﷺ وتأسيته بغيره من الرسل[٣].

"وبعد أن أبان سبحانه في قوله: ﴿**... حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ**﴾ [آية: ٣٩] أن الكافرين في الآخرة لا يستطيعون أن يمنعوا عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم، وأنه سيكون لهم من الأهوال ما لم يكن يخطر لهم ببال، أعقبه ببيان أنه لولا أن الله ﷻ قدَّرَ لهم السلامة في الدنيا وحرسهم إلى حين لما بقوا سالمين، وأنه مع إنعامه عليهم ليلًا ونهارًا بالحفظ والحراسة هم معرضون عن الدلائل الدالة على أنه لا حافظ لهم سواه" [٤].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

في الآية الكريمة تسلية للنبي ﷺ بأن إخوانه من الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم استهزأ بهم الكفار، كما استهزءوا به ﷺ فما له إلا أن يصبر كما صبروا، وله العاقبة الحميدة، والنصر النهائي كما كان لهم.

---

(١) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، أبو منصور الماتريدي، (٣٤٦/٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٩١/١١).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٤٢٣/١٢)، بتصرف.

(٤) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٣٥/١٧).

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من ذلك جاء موضحًا في مواضع من كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿**مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ..**﴾ [فصلت: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ [هود: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [الأنعام: ٣٤][١].

والمشركون، بالرغم من وجود الأدلة الكثيرة العقلية والمذكورة في القرآن الدالة على فضل الله ونعمته بالحفظ والكلاءة في الليل والنهار، فهم معرضون عن تلك الأدلة، ولا يتفكرون فيها، ولا يعترفون بنعمة الله عليهم وإحسانه إليهم[٢].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ**﴾ تأكيد من الله سبحانه وتعالى بـ(اللام) و(قد) لصفة الاستهزاء؛ ليفيد أنها صفة ملازمة لهم ولا تنفك عنهم أبدًا، ونكرت (رسل) لكثرتهم ومقامهم من الله[٣].
- في قوله تعالى: ﴿**فَحَاقَ**﴾ "(الفاء) تدل على أن ما بعدها مسبب لما قبلها، وقد صرح بهذه السببية، فخص سبحانه وتعالى نزول العذاب أو العقاب بالذين سخروا منهم، فذكر الموصول دليل على أن الصلة سبب الحكم، وكان الإظهار في مقام الإضمار، لبيان هذه السببية" [٤].

"ومادة حاق يائية العين، بدليل قوله في المضارع: ﴿**وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ ...**﴾[فاطر: ٤٣]، ولا تستعمل هذه المادة إلا في إحاطة المكروه خاصة، فلا تقول: حاق به الخير بمعنى أحاطه به" [٥].

- قوله تعالى: ﴿**مِنَ الرَّحمنِ**﴾ "متعلق ب (**يَكْلَؤُكُمْ**) على حذف مضاف أي من أمر الرحمن أو بأسه كقوله: ﴿**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾ [الرعد: ١١]، وخص ها هنا اسم الرحمن بالذكر تلقينًا للجواب حتى يقول العاقل أنت لكالئ يا إلهنا لكل الخلائق برحمتك كما في قوله: ﴿**مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ [الانفطار: ٦]، فخص اسم الكريم تلقينًا" [٦].
- في قوله: ﴿**قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ "ذكر الليل والنهار لاستيعاب الأزمنة كأنه قيل: من يكلؤكم في جميع الأوقات، وقدم الليل لأنه زمن المخاوف لأن الظلام يعين أسباب الضر على الوصول إلى مبتغاها من إنسان وحيوان وعلل الأجسام، وذكر النهار بعده للاستيعاب" [٧].

---

(١) انظر: أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، (١٥٢،١٥٣/٤).

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٦٢/١٧).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٦٧).

(٤) المرجع السابق، (٩/ ٤٨٦٨).

(٥) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، (١٥٣/٤).

(٦) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (٥٠٦/١٣).

(٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧٣،٧٤/١٧).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) الابتلاء سنة إلهية يوقعها الله ﷻ على الأنبياء وأتباعهم، والصالحين من البشر، في كل زمان ومكان، **فعن عطاء بن يسار ﷺ، أن أبا سعيد الخدري ﷺ، دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك، عليه قطيفة، ووضع يده عليها فوجد حرارتها فوق القطيفة، فقال أبو سعيد: (ما أشد حر حماك يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر، ثم قال: يا رسول الله، من أشد الناس بلاء؟ قال: الأنبياء، قال: ثم من؟ قال: العلماء، قال: ثم من؟ قال: ثم الصالحون، كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها، ويبتلى بالقمل حتى تقتله، ولأحدهم كان أشد فرحًا بالبلاء من أحدكم بالعطاء)** [(١)].

٢) "إن الاستهزاء بالرسل ديدن الكفار من قديم الزمان حتى بعثة خاتم النبيين محمد ﷺ، فلا بد من الصبر، وسيلقى المستهزئون جزاء استهزائهم"[(٢)].

٣) يبين المولى تبارك وتعالى في كثير من الآيات أن استهزاء الكفار بأهل الحق عادة من عاداتهم القبيحة التي يحاولون من خلالها صد المؤمنين عن هذا الدين، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ**﴾ [المطففين: ٢٩-٣٠].

واستهزاء الكفار بأهل الحق استهزاء موقوت بوقته في الدنيا، أمّا استهزاء الله بهم فاستهزاء أبديّ لا نهايةَ له، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [البقرة: ١٥] [(٣)].

٤) على الرغم من إنعام الله تعالى على المشركين ليلًا ونهارًا بالحفظ والحراسة فهم عن ذكر ربهم الذي له الدلائل العقلية والنقلية ولطائف القرآن معرضون، فلا يتأملون في شيء منها ليعرفوا أنه لا كالئ لهم سواه ويتركون عبادة الأصنام التي لا حظ لها في حفظهم ولا في الإنعام عليهم[(٤)].

٥) المؤمن الذي يتدبر الآيات ييقن بأن الله ﷻ عدل قاهر قادر على كل شيء، فمن كرمه على العباد أنه يحفظهم ويكرمهم وينعم عليهم بالليل والنهار، فإذا قابل العبد هذا الكرم والإحسان بالشكر وإرجاع الفضل لله وحده كوفئ على ذلك بمزيد من التفضل عليه، وأما إذا ما قابل العبد هذه النعم بالجحود والتكبر والاستهزاء وعدم التأمل، فالعذاب مصيره في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، (٩٩/١)، ح رقم ١١٩، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، (٦٠/١٧).

(٣) انظر: تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، (٩٥٤٤/١٥، ٩٥٤٥).

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، (١٤٧/٢٢)، بتصرف.

المطلب الثاني: **طلب النصر والمدد ممن يستطيع تحقيقه**:

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣].

أولًا: معاني المفردات:

﴿**يُصْحَبُونَ**﴾: "أصحب فلانًا: حفظه، كاصطحبه. امض مصحوبًا ومصاحبًا: مسلمًا ومعافى. وتقول عند التوديع: معانًا مصاحبًا. وأصحب فلانًا: منعه" [١].

وقال الطبري: اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿**وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ**﴾:

فقال بعضهم: عنى بذلك الآلهة، وأنها لا تصحب من الله بخير، وهو قول قتادة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك ولا هم منا ينصرون، وعن مجاهد قال: لا ينصرون.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، **قوله** ﴿**وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ**﴾ يقول: ولا هم منا يجارون، وهو قوله: ﴿**وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ**﴾ [المؤمنون: ٨٨] يعني الصاحب، وهو الإنسان يكون له خفير مما يخاف، فهو قوله يصحبون.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن (هُمْ) من قوله (ولا هُمْ) من ذكر الكفار، وأن قوله (يُصْحَبُونَ) بمعنى: يجارون يصحبون بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب، بمعنى: أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا[٢].

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

الله عز وجل يقول لنبيه الكريم: اسألهم يا محمد ألهم آلهة تجعلهم في منعة وعز من أن ينالهم مكروه من جهتنا، وهذا السؤال يأتي على وجه الاستنكار والتقريع والتوبيخ لهم ولآلهتهم، ثم استأنف الإخبار عن آلهتهم فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره[٣].

"والحاصل أن من لا يكون قادرًا على دفع الآفات ولا يكون مصحوبًا من الله بالإعانة والنصرة كيف يتوقع منه دفع ضر أو جلب نفع" [٤].

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، (١٨٧/٣).

(٢) جامع البيان، (٤٤٨/١٨،٤٤٧)، بتصرف.

(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٤٣٣/٧).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، (٢٢/٥).

ثالثًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ**﴾ إضراب بـ (أم) المنقطعة التي هي أخت (بل) مع دلالتها على الاستفهام لقصد التقريع فقال: أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا، أي بل ألهم آلهة[١].
- ﴿**أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا**﴾ "في الآية تقديم وتأخير، تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم" [٢].

"وقوله تعالى: (من دُونِنَا) فيه وجهان:

أحدهما: أنه متعلق بـ (تَمْنَعُهُمْ)، والمعنى: ألهم آلهة تجعلهم في منعة وعز، وإلى هذا ذهب الحوفي.

والثاني: أنه متعلق بمحذوف، لأنه صفة لـ (آلهة)، أي آلهة من دوننا تمنعهم، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما إن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا" [٣].

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآية:

١) مطالبة المشركين الذين لجّوْا في ضلالهم وطغيانهم، أن يأتوا بمن يمنعهم من دون الله، ويدفع عنهم بأسه إن جاءهم، والله تعالى قال: ﴿**لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ**﴾ فهذا رد من الله على هذا السفه، وإبطال لهذا الباطل، فإن هذه الآلهة من المخلوقات الضعيفة التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها، ولا رد السوء إذا وقع بها، فكيف تنصر غيرها، وتدفع السوء عنه؟[٤]

٢) المزاعم والافتراءات الباطلة للمشركين كاصطحاب الآلهة لهم أينما حلوا وذهبوا، وهذه المزاعم ورثوها عن آبائهم وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الأعراف: ٧٠]، وكل هذه المزاعم الباطلة تعود إلى الجهل، والكبرياء والاستغراق في الهوى، وحب الشهوة، وحب السيطرة والاستعلاء[٥].

٣) طلب النصر والتمكين لا يكون إلا ممن يستطيعه، فلو تفكر العاقل قليلًا ولم يشغل عقله الهوى والإتباع الأعمى، لوجد أن الله وحده هو القادر على جلب النصر أو دفعه، فلا يلجأ إلا لله وحده فهو الناصر والمعين والنافع والضار، فقد دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: **(اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ)**[٦].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧٤/١٧).

(٢) التفسير الوسيط، الواحدي، (٢٣٨/٣).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (٥٠٧/١٣).

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (٩٠٢/٩).

(٥) انظر: دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد غلوش، (ص ٥٠٦).

(٦) صحيح البخاري، باب الدعاء على المشركين، (٤٤/٤)، ح رقم ٢٩٣٣، وأخرجه مسلم، باب استحباب الدعاء بالنصر، (١٣٦٣/٣)، ح رقم ١٧٤٢.

المطلب الثالث: **الابتلاء بالنعمة يستدعي مراقبة النفس ومحاسبتها**:

قال تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنبياء: ٤٤].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**مَتَّعْنَا**﴾ "أَي: أملينا وأمهلنا، وَيُقَال: متعنَا أَي: أعطيناهم النِّعْمَة" [١].

٢) ﴿**طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ**﴾ أي: مكثوا زمنًا طويلًا من غير رسل حتى جاءهم محمد ﷺ [٢].

٣) ﴿**الْغَالِبُونَ**﴾: "(غلب) الغين واللام والباء أصل صحيح يدل على قوة وقهر وشدة. من ذلك: غَلَبَ الرَّجُلُ غَلْبًا وَغَلَبًا وَغَلَبَةً"[٣].

والمعنى المراد في الآية: أن المشركين ليسوا بغالبين، ولكن رسول الله ﷺ هو الغالب.

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

"يبين ﷻ أنه أَمَدَّ الكفار بالأموال والبنين، وأطال في أعمارهم، فاشتغلوا بالتمتع بها، ولهوا بها، عما له خلقوا، وطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وعظم طغيانهم، وتغلظ كفرانهم، فلو لفتوا أنظارهم إلى من عن يمينهم، وعن يسارهم من الأرض، لم يجدوا إلا هالكًا ولم يسمعوا إلا صوت ناعية، ولم يحسوا إلا بقرون متتابعة على الهلاك، وقد نصب الموت في كل طريق لاقتناص النفوس الأشراك، ولهذا قال: ﴿**أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا**﴾ أي: بموت أهلها وفنائهم، شيئًا فشيئًا، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فلو رأوا هذه الحالة لم يغتروا ويستمروا على ما هم عليه.

(أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) الذين بوسعهم، الخروج عن قدر الله؟ وبطاقتهم الامتناع عن الموت؟ فهل هذا وصفهم حتى يغتروا بطول البقاء؟ أم إذا جاءهم رسول ربهم لقبض أرواحهم، أذعنوا، وذلوا، ولم يظهر منهم أدنى ممانعة؟" [٤]

ثالثًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿**نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا**..﴾ "فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين، وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها، ناقصة من أطرافها" [٥].

---

(١) تفسير القرآن، السمعاني، (٣٨٢/٣).

(٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام، (٣١٥/١).

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣٨٨/٤).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص ٥٢٤).

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (١١٩/٣).

- في قوله تعالى: ﴿**أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ الهمزة للاستفهام الذي يفيد النفي لكونهم غالبين و(الفاء) فصيحة تفصح عن شرط مقدر، تقديره إذا كان الله هو الذي ينقص الأرض من أطرافها أفهم الغالبون[١].

"واختيار الجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿**أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ دون الفعلية لدلالتها بتعريف جزأيها على القصر، أي ما هم الغالبون بل المسلمون الغالبون، إذ لو كان المشركون الغالبين لما كان عددهم في تناقص، ولما خلت بلدتهم من عدد كثير منهم" [٢].

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآية:

١) يمد الله ﷻ الكفار بالنعم والخيرات في الدنيا من أجل استدراجهم وإيقاع العذاب المحقق بهم، والله سبحانه وتعالى لا يغفل عما يعمل الظالمون ولو طال الزمان بهم ومكثوا كثيرًا في الأرض، والإنسان قد يظن ويحسب أن كل ما ينعم به الله عليه هو حب له ورضا عنه، فهذا أمر خطير قد يؤدي به إلى الغرور ثم الهلاك، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: **(كان رسول الله ﷺ إذا كان البرد والريح والغيم عرف ذلك في وجهه، وأقبل وأدبر فإذا مطرت سري عنه وذهب ذلك عنه، قالت: فسألته فقال: إني خشيت أن يكون عذابًا سلط على أمتي، ويقول إذا رأى المطر: رحمة)**[٣].

فالناس حين يروا الريح والغيم يستبشروا ويفرحوا، والنبي ﷺ وهو أخشى وأتقى الناس، كان يخشى من وقوع العذاب بأمته، فيحذر الناس من الاغترار وكفر النعمة بالذنوب والمعاصي.

٢) "اختلف العلماء والمفسرون في المعنى المراد بقوله ﷻ: ﴿**نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا**﴾ على عدة أقوال:

أحدها: ننقصها من أطرافها عند الظهور عليها أرضًا بعد أرض وفتحها بلدًا بعد بلد، قاله الحسن.

الثاني: بنقصان أهلها وقلة بركتها، قاله ابن أبي طلحة.

الثالث: بالقتل والسبي، حكاه الكلبي[٤].

الرابع: بموت فقهائها وعلمائها، قاله عطاء، والضحاك.

ويحتمل خامسًا: بجور ولاتها وأمرائها" [٥].

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٧٢).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧٧/١٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، (٦١٦/٢) ح رقم ٨٩٩. ومستخرج أبي عوانة، كتاب الاستسقاء، باب ذكر الخبر المبين أن المطر رحمة، (١١٦/٢) ح رقم ٢٥٠٢.

(٤) الكلبي: هو أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي، الإمام، الحافظ، الحجة، المجتهد، مفتي العراق، أبو ثور الكلبي، البغدادي، الفقيه، ويكنى أيضًا: أبا عبد الله، ولد: في حدود سنة سبعين ومائة، ذكره الخطيب، وأثنى عليه، وقال: توفي في صفر، سنة أربعين ومائتين، انظر: سير أعلام النبلاء، ط الرسالة، الذهبي، (٧٢،٧٣/١٢).

(٥) النكت والعيون، الماوردي، (٤٤٩/٣).

وقال الحجازي: "هذه السورة مكية، وحالة المسلمين في مكة كانت شديدة، فهل لنا أن نفهم أن المراد بالأرض أرض الكفر، ومعنى نقص أطرافها دخول الناس في الإسلام شيئًا فشيئًا، واتساع نفوذ الإسلام شيئًا فشيئًا على حساب أرض الكفار ونفوذهم، وهذا فهم يصح أن يكون إذا تجاوزنا في فهم نقصان الأطراف نوعًا ما أو نقول إن هذا من باب الإخبار بالغيب.

وبعض العلماء يقول: هذه آية سيقت للدلالة على قدرة الله ﷻ حتى لا يفهم المشركون أن تركهم بدون إيقاع العذاب بهم عن عجز أو تقصير، لا: بل هي الحكمة الإلهية، والترتيب الرباني للمسلمين، فيكون المعنى أفلا يرى الكفار أنا نأتي الأرض أي الكرة الأرضية ننقصها من أطرافها أي: في الشمال والجنوب فعلماء الطبيعة يقولون: إن الأرض ليست تامة التكوير والاستدارة بل منبعجة[١] في الوسط مفرطحة[٢] من جهة القطب الشمالي والجنوبي وهذه آية كونية يفسرها العلم الحديث بعد نزولها بثلاثة عشر قرنًا" [٣].

والباحث يرى أن قول الحسن البصري رحمه الله: أن نقص الأرض يكون بالظهور على الكفار وفتح بلادهم بلدًا بعد بلد هو الأقرب للسياق، وبالعموم فإن جميع الآراء ليس لها مرجح من الأثر، لذا فإن السياق أقوى وأقرب المرجحات، والسياق يؤيد هذا الرأي، وذلك عند تساؤله ﷻ عن كونهم غالبين بعد تسليط المسلمين على الكفار والظفر بهم وبأراضيهم، فكيف يكونوا غالبين بعد هذا!

ولو رجعنا إلى بداية الآية الكريمة عند قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾، نجد أن السياق يتحدث عن المشركين والخطاب موجه لهم، وهذا يدلل على أن المعنى يدخل فيه وصف حال المشركين وأن أراضيهم ستكون عرضة للنقص على يد جيش المسلمين.

وأيضًا لتطابق هذا المعنى مع الواقع من لدن محمد ﷺ إلى زمان الفتوحات الإسلامية وسيطرة المسلمين وهيمنتهم على العالم في أيام مجدهم وعزهم.

ولا مانع أن تشير الآية الكريمة إلى معنى علمي، فآيات القرآن زاخرة بالمعاني، والآية الواحدة قد تحمل الكثير من الدلالات والإشارات، والله تعالى أعلى أعلم.

---

(١) الأرض المنبعجة: هي التي تشوّهتْ وتغيَّر شكلُها بصورة غير منتظمة لوجود بروز أو تجويف بها. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، (٢٢٣/١).

(٢) مفرطح: عريض متسع، منبسط، يقال: صحن أو طبق مفرطح. انظر: المعجم الوسيط، (٦٨٤/٢).

(٣) التفسير الواضح، (٥٣٤/٢).

المبحث الرابع:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤٥-٤٧)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** الإنذار بالوحي وعقاب الظالمين.
- **المطلب الثاني:** وزن الأعمال يوم القيامة بالقسط ولا بخسٌ ولا ظلم.

المطلب الأول: **الإنذار بالوحي وعقاب الظالمين**:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنبياء: ٤٥ – ٤٦].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**أُنْذِرُكُمْ**﴾ "الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف، والاسم النُذَرُ، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**﴾ [القمر: ١٦]، أي إنذاري" [١].

٢) ﴿**بِالْوَحْيِ**﴾ "الوحي: الإشارة، يقال: وحيت لك بخبر كذا: أي أشرت وصوت به رويدًا، نقله الجوهري، وقال الراغب: الإشارة السريعة (والكتابة)، وبالوحي الكتابة والخط، يقال: وحيت الكتاب وحيًا فأنا واح، والوحي: (الرسالة)، أيضًا: (الإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك)، يقال: وحيت إليه الكلام، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه" [٢].

٣) ﴿**الصُّمُّ**﴾: الصمم يكون في الإذن، ويراد بالصم: الكفار والمكذبين الذين أعرضوا وصموا عن الهدى. وقال السدي: " صموا عن الإيمان، وقال قتادة: الكافر أصم عن كتاب الله، لا يسمعه ولا يعقله" [٣].

٤) ﴿**نَفْحَةٌ**﴾: "نفح الطيب فاح وله (نفحة) طيبة، و(نفحت) الناقة ضربت برجلها، ونفحت الريح هبت، قال الأصمعي[٤]: ما كان من الرياح له نفح فهو برد وما كان له لفح فهو حر، و (نفحة) من العذاب قطعة منه، وهذا المعنى المراد" [٥].

ثانيًا: القراءات:

قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ**﴾ قرأ ابن عامر[٦] بالتاء بلفظ المخاطبة (ولا تُسمِع)، ومعناه: أن لا تقدر أن تسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون، وقرأ الباقون (وَلا يَسْمَعُ) بالياء على وجه الحكاية عنهم[٧].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، (٨٢٥/٢).

(٢) تاج العروس، الزَّبيدي، (١٦٩/٤٠).

(٣) تفسير يحيى بن سلام، (٣١٧/١)، بتصرف.

(٤) الأصمعي: الإمام، العلامة، الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، ولد: سنة بضع وعشرين ومائة، قيل: مات سنة خمس عشرة ومائتين، وقال محمد بن المثنى، والبخاري: سنة ست عشرة، ويقال: عاش ثمانيًا وثمانين سنة رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء ط الرسالة، الذهبي، (١٧٥،١٧٦/١٠).

(٥) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، (٣١٥/١).

(٦) عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي، إمام أهل الشام في القراءة، توفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، (٤٢٣/١–٤٢٥).

(٧) انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (٣٢٣/٢). وانظر: بحر العلوم، السمرقندي، (٤٢٧/٢).

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

وظيفة ومهمة النبي ﷺ التبليغ والإنذار بالقرآن والله سبحانه وتعالى عليه الحساب، فهو الذي سيحاسب من صمت آذانهم عن الآيات وأعرضوا عنها، فأصبحوا لا يسمعون كلامًا ولا إنذارًا، لأنه ختم على قلوبهم وعلى أسماعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، فصارت قلوبهم مغلقة لا تستقبل خيرًا أبدًا، قال تعالى: ﴿.. **فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤١]، وأولئك الذين كفروا إذا مسهم شيء قليل من عذاب الله، تراهم يسارعون إلى لوم أنفسهم ويقولون: يا ويلنا لقد ظلمنا أنفسنا.

ويقولون ذلك من هول وشدة العذاب الذي يرونه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**﴾ [البروج: ١٢]، وإن الإنسان المسكين لفي خسر وخسارة، قال تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر: ٣]، وأنه سيعرف الحق يوم يرى الجزاء الحق يوم القيامة، وسيندم حين لا ينفعه ندم، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا**﴾ [سورة النبأ: ٤٠][١].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ**﴾ قال صاحب الكشاف: "فإن قلت: الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر، فكيف قيل (إذا ما يُنْذَرُونَ)؟ قلت: اللام في الصم إشارة إلى هؤلاء المنذرين، كائنة للعهد لا للجنس، والأصل: ولا يسمعون إذا ما ينذرون، فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدّهم أسماعهم إذا أنذروا" [٢].

  وفي قوله: ﴿**وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ**﴾ استعارة تصريحية حيث استعار الصم للكفار؛ وذلك لأنهم كالبهائم في طباعهم، لا يعملون عقلًا، ولا آذانهم تسمع للهدى[٣].
- في قوله: ﴿**وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ**﴾ فيه مبالغات، وهي ذكر المس الذي يكفي في تحققه أي اتصال وليس النفوذ والسيطرة، وأيضًا ما في النفحة من معنى القلة، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء، والبناء الدال على المرة، والتنكير، والمس والنفح يضج منهما المشركون ويخافون، فكيف بالعذاب الذي ينتظرهم عند الحساب![٤]

---

(١) التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، (٥٣٤/٢)، بتصرف.

(٢) الكشاف، الزمخشري، (١١٩/٣).

(٣) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٤٢/٢).

(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (١٩٨/٧).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) "إن مهمة النبي ﷺ إنذار الكفار وتحذيرهم بالقرآن الموحى إليه من عند الله، لا من قبله، ولكنهم إذا لم ينتفعوا بما سمعوا من الإنذار، صاروا كالصم الذين لا يسمعون أصلًا، وسيتغير حالهم إذا مسهم أدنى شيء من عذاب الله، فعندئذ يسمعون ويعتذرون ويعترفون حين لا ينتفعون، أي يعترفون بظلم أنفسهم وبكفرهم حين لا ينفعهم الاعتراف" [(١)].

٢) إن الكافر بالله لا يوجه همه إلى العظة بما في كتابه من المواعظ حتى يقلع عما هو عليه مقيم من الضلال، بل يعرض عن التفكر فيها كالأصم الذي لا يسمع ما يقال له حتى يعمل به[(٢)].

٣) حب الشيء يعمي صاحبه حتى لا يرى إلا ما أحبه ويصمه بحيث لا يسمع إلا ما أحبه، لذلك يجب على الإنسان العاقل أن يحب الأعمال التي ترضي ربه عنه، لكي لا يضل ولا يشقى[(٣)].

٤) بين الله سبحانه وتعالى سرعة تأثر الكفار من العذاب حين مجيئه إثر بيان عدم تأثرهم به حين مجيء خبره[(٤)].

٥) "تتكرر في آي القرآن الكريم إنذارات المشركين وتهديداتهم، لحملهم على الإيمان، ويكون الإنذار أحيانًا بالتذكير بإهلاك القرون والأمم الظالمة السابقة، وأحيانًا بقوارع الوحي والتهديد بالعذاب الشامل، وتارةً بالحساب الشديد على صغائر الأمور وكبائرها، ليعلم البشر أن الإله القادر محيط بكل شيء من أحوال الدنيا" [(٥)].

٦) يظلم الإنسان نفسه بالانحراف عن العدل، والعدل يجري مجرى النقطة من الدائرة فتجاوزها من جهة الإفراط عدوان وطغيان، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: ١٦٧]، والانحراف عنها في بعض جوانبها جور والظلم أعم الأسماء، ولما كان، الظلم ترك الحق الجاري مجرى النقطة من الدائرة صار العدول عنه إما قريبًا وإما بعيدًا، فمن كان عنه أبعد كان رجوعه إليه أصعب ولذلك قال تعالى: ﴿**وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء: ٦٠] تنبيهًا لأن الشيطان متى أمعن بهم في البعد من الحق، صعب عليهم حينئذٍ الاهتداء، ولأجل من فعل بهم الشيطان ذلك قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤٤] [(٦)].

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، (٦٧/١٧).

(٢) انظر: تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٣٩/١٧).

(٣) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤١٨/٣)، بتصرف.

(٤) انظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٥) التفسير الوسيط، الزحيلي، (١٥٨٥/٢).

(٦) الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م، (ص ٢٥٣)، بتصرف.

"**وأنواع الظّلم:**

قال بعض الحكماء: الظّلم ثلاثة:

الأوّل: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشّرك والنّفاق، ولذلك قال: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣] وإيّاه قصد بقوله: ﴿**أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: ١٨].

والثّاني: ظلم بينه وبين النّاس، وإيّاه قصد بقوله ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ**﴾ إلى قوله: ﴿**إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [الشورى: ٤٠] وبقوله: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**﴾ [الشورى: ٤٢].

والثّالث: ظلم بينه وبين نفسه، وإيّاه قصد بقوله: ﴿**فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ [فاطر: ٣٢] وقوله: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**﴾ [القصص: ١٦]، وكلّ هذه الثّلاثة في الحقيقة ظلم للنّفس" [(١)].

المطلب الثاني: وزن الأعمال يوم القيامة بالقسط ولا بخسٌ ولا ظلم:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**القِسْطَ**﴾ "بِكَسْر الْقَاف: الْعدْل والفعل منهُ أقسط بِالْألف" [(٢)].

٢) ﴿**مِثْقَالَ**﴾ "مثقال الشَّيء: ما آذن وزنه، فثقل ثقله، وفي التَّنزيل: ﴿**يَا بني إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَال حَبَّة من خَرْدَل**﴾ [لقمان: ١٦] برفع مثْقَال، مع علامة التأنِيث فِي (تَكُ) لِأَن مِثْقَال حَبَّة راجع إِلَى معنى الحبَّة، فكأنه قَال: إِن تَكُ حَبَّة من خَردَل، والمعنى: أَن فعلة الإِنسان وَإِن صغرت فهيَ في علم الله تعالَى يأتِي بهَا" [(٣)].

٣) ﴿**خَرْدَلٍ**﴾ "الخُرْدُولة: العضو الوافرُ من اللَّحم، وخَرْدَلَ اللحمَ: قَطَّع أَعضاءَه وافرة، وقيل: خَرْدَلَ اللحمَ قطَّعه صِغارًا، وقيل: خَرْدَلَ اللحم قطَّعه وفَرَّقه، والذالُ فيه لغَة، والخرْدَل: ضَرْبٌ من الحرف معروف، الواحدة خَرْدَلَة، وفي قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ**﴾ أَي زِنَة خَرْدَل" [(٤)].

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، (٤٨٧٣/١٠).

(٢) تهذيب اللغة، أبو منصور الهروي، (٢٩٨/٨).

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (٣٥٤/٦).

(٤) لسان العرب، ابن منظور، (٢٠٣/١١).

ثانيًا: القراءات:

"قرأ الجمهور ﴿**مِثْقَالَ**﴾ بالنصب على أنه خبر كان وأن اسمها ضمير عائد إلى (شيئًا)، وجواب الشرط محذوف دل عليه الجملة السابقة، وقرأ نافع[١] وأبو جعفر[٢](مثقالُ) مرفوعًا على أن (كان) تامة ومثقال فاعل" [٣].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

"ذكر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أنه يضع الموازين القسط ليوم القيامة، فتوزن أعمال الخلق وزنًا في غاية العدالة والإنصاف، فلا يظلم الله أحدًا شيئًا، وأن عمل الإنسان من الخير والشر وإن كان في غاية القلة والدقة كمثقال حبة من خردل، فإن الله يأتي به؛ لأنه لا يخفى عليه شيء، وكفى بالله حاسبًا؛ لإحاطة علمه بكل شيء.

وبين في غير هذا الموضع أن الموازين عند ذلك الوزن منها ما يخف، ومنها ما يثقل، وأن من خفت موازينه هلك، ومن ثقلت موازينه نجا، كقوله تعالى: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٨ – ٩] وقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠١ – ١٠٣] إلى غير ذلك من الآيات" [٤].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ**﴾ "أفرد القسط مع كونه صفة الجمع لـ (الْمَوَازِينَ) لأنه مصدر ووصف به مبالغة، ويجوز أن يكون على حذف مضاف أي ذوات القسط" [٥].
- قوله تعالى: ﴿**مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ**﴾ فيه كناية عن إحصاء جميع الأعمال حقيرها وكبيرها[٦].

---

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني، كان أسود، شديد السواد، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعابة، وأصله من أصبهان، وأقرأ الناس نيفًا وسبعين سنة، وتوفي في عام ١٦٩هـ. انظر: مشاهير علماء الأمصار، ، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ص ٢٢٤).

(٢) أبو جعفر: يزيد بن القعقاع، أبو جعفر المدني، مقرئ المدينة، ومنهم من يسميه فيروز، أقرأ الناس دهرًا طويلًا، قيل: توفي سنة ثمان وعشرين ومائة، وقيل: سنة ثلاثين، وقيل غير ذلك. انظر: تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي، (٣/ ٥٦٦).

(٣) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (٣٢٤/٢). وانظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٨٥/١٧).

(٤) أضواء البيان، الشنقيطي، (١٥٨،١٥٩/٤).

(٥) روح المعاني، الآلوسي، (٥٣/٩).

(٦) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٤٢/٢). وانظر: روح المعاني للآلوسي، (٥٣،٥٤/٩).

- قوله تعالى: ﴿**وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ قال الخازن[١]: "الغرض منه التحذير فإن المحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشتبه عليه شيء، وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل أن يكون على أشد الخوف منه" [٢].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) يخبر الله ﷻ عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها الحسنات والسيئات، فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ مسلمة أو كافرة شَيْئًا بأن تنقص من حسناتها، أو يزاد في سيئاتها ولو كان شيئًا قليلًا جدًا وتافهًا[٣].

٢) "جمهور العلماء على أن ثمة ميزانًا توزن به الأعمال، واختلفوا في الميزان هل هو واحد أو أكثر، فالأشهر أنه ميزان واحد لجميع الأمم، ولجميع الأعمال كفتاه كأطباق السماوات والأرض" [٤].

وعن سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **(يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعهن، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك)**[٥].

وإن كان ميزانًا أو أكثر من ذلك، فإن الذي يريده الله من العباد هو العمل من أجل أن يكون للعبد حظًا ونصيبًا يوم الحساب فترجح أعماله الصالحة ويفوز بالجنة بإذنه تبارك وتعالى، فما وضع الميزان إلا ليستنفر العباد إذا ما سمعوا به، ويقبلوا على ربهم بالطاعات والقربات.

٣) الله عز وجل أكد حقيقة البعث والحساب، وأنه سيخرج الناس من قبورهم ليمثلوا أمامه فيحاسبهم على كل ما قدموا من الأعمال، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾ [الحج: ٧][٦].

---

(١) الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم الشيحيّ علاء الدين المعروف بالخازن: عالم بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية، بغدادي الأصل، نسبته إلى " شيحة " بالحاء المهملة، من أعمال حلب، ولد ببغداد، وسكن دمشق مدة، وكان خازن الكتب بالمدرسةُ السميساطية فيها، وتوفي بحلب سنة ٧٤١هـ . انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، (٥٤/١١٥،١١٦).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، (٣/٢٢٧). وانظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢/٢٤١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص ٥٢٤)، بتصرف.

(٤) انظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط: ٢، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م، (٢/ ١٨٦).

(٥) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الأهوال، (٤/٦٢٩) ح رقم ٨٧٣٩، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٦) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٣/٤١٨).

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الثالث من الحزب الثالث والثلاثين

الآيات (٤٨-٩١)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤٨-٦٣)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٦٤-٧٧)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٧٨-٩١)

المبحث الأول:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤٨-٦٣)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** إبراز العلاقة المشتركة بين التوراة والقرآن.
- **المطلب الثاني:** أسلوب الحوار من الأساليب المهمة في إيصال كلمة الحق.
- **المطلب الثالث:** الثورة والغضب على الطغيان والكفر من أجل الله.

المطلب الأول: إبراز العلاقة المشتركة بين التوراة والقرآن:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[الأنبياء: ٤٨-٥٠].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**الْفُرْقَانَ**﴾: "ما يفرق به بين الحق والباطل من كلام أو فعل، وقد سمى الله تعالى يوم بدر يوم الفرقان لأن فيه كان مبدأ ظهور قوة المسلمين ونصرهم، فيجوز أن يراد بالفرقان التوراة كقوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ**﴾ [سورة الصافات: ١١٧]" [(١)].

٢) ﴿**مُشْفِقُونَ**﴾: الإشفاق: شدة الخوف، وهم خائفون من الحساب لأنهم يؤمنون به[(٢)].

٣) ﴿**ذِكْرٌ مُبَارَكٌ**﴾: "هذا القرآن المنزل عليك بركته كثرة منافعه وغزارة علومه" [(٣)].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

"بعد أن أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول لقومه: ﴿**إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ**﴾ أتبعه ببيان أن هذه سنة الله تعالى في أنبيائه، فقد أنزل الوحي عليهم ليكون ما تضمنه من الشريعة والأحكام سببًا لهداية البشر.

وبعد أن أبان تعالى أدلة التوحيد والنبوة والمعاد شرع في التذكير بقصص الأنبياء عليهم السلام تسلية لرسوله ﷺ فيما يناله من قومه، وتقوية لقلبه على أداء الرسالة والصبر عليها، وهذه هي القصة الأولى قصة موسى وهارون عليهما السلام" [(٤)].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

يخبر تعالى أنه آتى موسى وهارون الفرقان وهو الحق الذي فرق بين حق موسى وهارون وبين باطل فرعون، كما فرق بين التوحيد والشرك يوم بدر يوم الفرقان، وآتاهما التوراة ضياء يستضاء بها في معرفة الحلال والحرام والشرائع والأحكام وذكرًا أي موعظة للمتقين، ووصف المتقين بصفتين: الأولى أنهم يخشون ربهم أي يخافونه بالغيب، والثانية: أنهم مشفقون من الساعة أي مما يقع فيها من أهوال وعذاب، ويشير إلى القرآن الكريم ويصفه بالبركة فبركته لا ترفع، فكل من قرأه وعمل بما فيه نالته بركته، فهو هدى لمن استهدى، وشفاء لمن استشفى، ويوبخ به العرب الذين آمنوا بكتاب اليهود إذ كانوا يسألونهم عما في كتابهم، وكفروا بالقرآن الذي هو كتابهم فيه ذكرهم وشرفهم[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٨٨،٨٩/١٧).

(٢) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٤١٨/٣).

(٣) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، الرازي، (١٥١/٢٢).

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، (٦٨/١٧).

(٥) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤١٩/٣)، بتصرف.

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ**﴾ "افتتاح القصة بلام القسم المفيدة للتأكيد لتنزيل المشركين في جهل بعضهم بذلك وذهول بعضهم عنه وتناسي بعضهم إياه منزلة من ينكر تلك القصة" (١).
- في قوله تعالى: ﴿**وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ**﴾ "الضياء النور الهادي المرشد، وهو هنا المعجزات التسع التي بعث الله تعالى موسى عليه السلام بها، والتعبير عنها بالضياء من قبيل الاستعارة فشبهت بالضياء، لأنها مرشدة هادية معرفة كالضياء وهي نور، وهي ذات الضياء" (٢).
- في قوله تعالى: ﴿**وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ**﴾ "عدول عن الخطاب بالجملة الفعلية كما هو مقتضى السياق إلى الخطاب بالجملة الاسمية وإنما يعدل عن أحد الخطابين وإن كان السياق يقتضيه لضرب من التأكيد والمبالغة وقد جيء بها هنا تنويهًا بالخاص بعد العام فالخشية من الله ملازمة لهم ولكنها من الساعة أكثر ملازمة وأشد امتلاكًا لقلوبهم وأسرًا لجوارحهم، وتفادي كل ذنب خشية مواجهتها بما هم فيه، وأمر ثان هو الديمومة والاستمرار اللذان تفيدهما الجملة الاسمية أكثر مما تفيدهما الجملة الفعلية التي تتوزع على الأزمنة" (٣).
- قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ**﴾ في وصف المتقين بهذه الصفات تعريض باليهود، ونفي مثل هذه الصفات عنهم لأنهم ماديون لا يؤمنون بالغيب(٤).
- قوله تعالى: ﴿**أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ**﴾ "الاستفهام للإنكار لما وقع منهم من الإنكار، أي: كيف تنكرون كونه منزلًا من عند الله مع اعترافكم بأن التوراة منزلة من عنده؟" (٥)

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) يبرز القرآن الكريم صلة النبوة والوحي المشتركة بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ ويقرن كثيرًا ما بين كتابيهما؛ وذلك لتشابه التوراة الصحيحة مع القرآن الكريم في الأصول الشرائع، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأحقاف: ١٢]، فهذه الآية وغيرها توضح العلاقة المشتركة بين التوراة في أصلها الصحيح مع القرآن الكريم(٦).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٨٨/١٧).

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٧٨).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، (٣٢٧/٦).

(٤) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (٩١٠/٩).

(٥) فتح القدير، الشوكاني، (٤٨٥/٣).

(٦) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٦٩/١٧).

٢) الفرقان هو التوراة لأنها فرقت بين الحق والباطل، وبين قوم ليس لهم سلطان وقانون يحكمهم في ماضيهم وإن صاروا من بعدها لهم قانون يحكمهم وسلطانهم من أنفسهم، كما قال تعالى لهم على لسان نبيهم منعمًا عليهم: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ [المائدة: ٢٠].

وقال آخرون: إن الفرقان هو نجاتهم في البحر، إذ فرق الله البحر فصار كل فرق كالطود العظيم.

قال محمد أبو زهرة رحمه الله: إن الفرقان يشمل بعمومه كل فارق بين أمرين، فآتاه الله تعالى أن انفلق البحر بعصاه، وأخرج بني إسرائيل من الذل والهوان إلى العزة والقوة، وأن يطبقوها، ويتحملوا واجباتها وتبعاتها حتى اضطر موسى لأن يتركهم يتيهون في الأرض أربعين سنة ليتعودوا حياة البأس والقوة، ومهما يكن فإن الله تعالى آتى موسى كل ذلك، ولعل ذلك هو السر في قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ**﴾ ولم يقل تعالى: وأنزلنا الفرقان[١].

٣) التقوى صفة من صفات أهل الله يرزقها الله لمن يشاء من خلقه، وقد عرفها أهل العلم بأكثر من تعريف، قال الراغب: التقوى حفظ النّفس عمّا يؤثم وذلك بترك المحظور. وقال الجرجانيّ: التّقوى في الطّاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد بها التّرك والحذر. وورد لفظ التّقوى في القرآن الكريم على خمسة أوجه:[٢]

أ- الخوف والخشية كما في قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ**﴾ [الحج: ١].

ب- العبادة كما في قوله تعالى: ﴿**يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ**﴾ [النحل: ٢].

ت- ترك المعصية كما في قوله تعالى: ﴿**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٩] أي لا تعصوه.

ث- التّوحيد كما في قوله تعالى: ﴿**أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى**﴾ [الحجرات: ٣].

ج- الإخلاص كما في قوله: ﴿**ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج: ٣٢] .

ومن صفات المتقين التي ذكرتها الآيات:[٣]

أ- خشية الله في السر: فهم يخافون عذاب ربهم، فيأتمرون بأمره، وينتهون بنهيه، في حال الخفاء والسر والخلوات حيث لا يطلع عليهم أحد من الناس.

ب- الخوف من يوم القيامة: فهم من أهوالها وسائر ما يحدث فيها من الحساب خائفون وجلون.

---

(١) زهرة التفاسير، (٩/ ٤٨٧٨)، بتصرف.

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، (١٠٨٠/٤)، بتصرف.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، (٦٩/١٧).

٤) القرآن الكريم المنزل على النبي ﷺ تذكر وتذكير، وتدبر وعظة، وبركة وخير، فيه منافع كثيرة، وخيرات غزيرة، فأنَّى لكفار قريش وغيرهم من المشركين تكذيب هذا القرآن الذي نزل على محمد ﷺ وهو في غاية الوضوح والجلاء، ويشتمل على النظم العجيب والبلاغة العالية والشرائع والأحكام المختلفة، ورغم ذلك كله إلا أنهم يكذبون به ويعرضون عنه[١].

٥) ظهرت بركة القرآن الكريم على الأمة الإسلامية عندما تمسكت به وجعلته منهاجًا لها في كل الأمور، وذلك في وقت العهود الزاهرة لهذه الأمة، فما أحوجنا اليوم للرجوع إلى كتاب الله وهديه والتمسك بما فيه من الأوامر والتكاليف، لتشهد الأمة بركته وخيره في هذه الأيام العصيبة[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)** [٣].

المطلب الثاني: أسلوب الحوار من الأساليب المهمة في إيصال كلمة الحق:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأنبياء: ٥١ – ٥٦].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**رُشْدَهُ**﴾ "الرشد: هو الاهتداء إلى وجوه الصلاح في الدين والدنيا، والاسترشاد بالنواميس الإلهية" [٤].

٢) ﴿**التَّمَاثِيلُ**﴾: "واحدها تمثال وهو الصورة المصنوعة على شبه مخلوق من صنع الله كطير أو شجر أو إنسان والمراد بها هنا الأصنام، سماها بذلك تحقيرًا لشأنها" [٥].

٣) ﴿**عَاكِفُونَ**﴾: "عكَف على الكتاب وعكَف للكتاب: لزمه وأقبل عليه مواظبًا، تفرَّغ له" [٦].
"والمراد مقيمون على عبادتها، ملازمون لذلك" [٧].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٥٨٩).

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٤٢/٥).

(٣) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، (١٧٢/١)، ح رقم ٣١٩. صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٤٣/١٧).

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، (٢/ ١٥٣٦).

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص ٥٢٥).

٤) ﴿**أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ**﴾: "أي بالشيء الثابت في الواقع" [١].
٥) ﴿**فَطَرَهُنَّ**﴾ "الفطرة: الخلقة، والمعنى: خلقهن وأبدعهن" [٢].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

مناسبة ذكر إبراهيم عليه السلام بعدما ذكر الله ﷻ موسى وهارون عليهما السلام في الآيات السابقة، أنه صاحب دعوة ورسالة كموسى، وهارون، ومحمد عليهم السلام، ولأنه أبو هؤلاء الأنبياء، ومن جهة أخرى، فإن موقف إبراهيم من قومه، هو نفس الموقف الذي يقفه محمد ﷺ من قومه، وما يعبدون من أصنام[٣].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

أكرم الله ﷻ إبراهيم عليه السلام وتفضل عليه بهدايته منذ صباه، ووفقه الله لمعرفته وتوحيده، فهو عليه السلام يستحق ما أهل له، والمولى تبارك وتعالى قال: ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ولقد أنكر إبراهيم عليه السلام على قومه التقليد الأعمى للآباء في عبادة الأصنام وبينَّ لهم أن هذا التقليد لا يعتمد على منطق صحيح ولا فكر سليم، وقال لهم عليه السلام أنه: لا فرق بينكم وبين آبائكم في الضلال والعمى، فلما سمعوا منه هذا الكلام الذي لا يتماشى مع أهوائهم سألوه قائلين: هل أنت جاد في الحديث أم أنك تمازحنا؟ فردَّ عليهم الخليل عليه السلام أنه جاد في كلامه وأنه ناصح لهم ورافض لعبادتهم تلك الأصنام.

وأكد لهم أن الرب الحقيقي المستحق للعبادة هو الذي خلق الكون بما فيه من أرض وسماء ومخلوقات عجيبة تستحق النظر والتأمل[٤].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ**﴾ تأكيد الخبر عن إبراهيم عليه السلام بلام القسم لتنزيل العرب في مخالفتهم لشريعة أبيهم إبراهيم منزلة المنكر لكون إبراهيم أوتي رشدًا وهديًا، وكذلك الإخبار عن إيتاء الرشد إبراهيم عليه السلام بإسناد الإيتاء إلى ضمير الجلالة للتنبيه على تفخيم ذلك الرشد الذي أوتيه[٥].
- قوله تعالى: ﴿**مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**﴾ "استفهام تحقير لها وتوبيخ على العكوف على عبادتها، بأنها تماثيل صور بلا روح، مصنوعة لا تضر ولا تنفع، فكيف تعبد؟" [٦]

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، (٧٢/١٧).
(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥١٠/٤). وانظر: التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، (٥٣٩/٢).
(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (٩١١/٩)، بتصرف.
(٤) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٥٩١،١٥٩٠).
(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٩٢/١٧).
(٦) محاسن التأويل، القاسمي، (٧/ ٢٠٠).

- قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ "في الإتيان بـ (في) الظرفية دلالة على تمكنهم في ضلالهم، وأنه ضلال قديم موروث، فهو أبلغ من (ضالين)" [١].
- في قوله تعالى: ﴿**قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ إضراب عما قالوه من تقليد لآبائهم في عبادة الأصنام، وجاء هذا الإضراب للفت أنظار قوم إبراهيم عليه السلام إلى النظر في خلق السماوات والأرض للاستدلال على الإله الحق المستحق للعبادة[٢].
- في قوله تعالى: ﴿**الَّذِي فَطَرَهُنَّ**﴾ "الضمير في (فَطَرَهُنَّ) للسماوات والأرض، أو للتماثيل، وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم، وأثبت للاحتجاج عليهم" [٣].
- قوله تعالى: ﴿**وَأَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ "تذييل للجواب بما هو مقابل لقولهم: ﴿**أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ**﴾ من حيث الأسلوب وهو الكناية ومن حيث التركيب وهو بناء الخبر على الضمير كأنه قال: لست من اللاعبين في الدعاوى بل من العالمين فيها بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة كالشاهد الذي نقطع به الدعاوى" [٤].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) "لا تأتي النبوة لأحد إلا بعد إعداد وصقل وتوافر مقومات ومؤهلات تؤهل لها، فهذا إبراهيم الخليل عليه السلام وفقه الله لهدايته وللنظر والاستدلال على توحيد الله ﷻ بآيات الكون من قبل النبوة على الرأي الراجح، أو من قبل موسى وهارون كما قيل، وكان الله عالمًا بأنه أهل لإيتاء الرشد وصالح للنبوة" [٥].

٢) جاءت قصة إبراهيم عليه السلام بعد قصة موسى وهارون عليهما السلام ليؤكد لنا سبحانه وتعالى على أن الهدف الأسمى من بعث وإرسال الأنبياء والرسل للناس هو مقاومة الشرك بالحجج الواضحة والقوية، فإبراهيم عليه السلام كان هو المثل الأول قبل مجيء الإسلام في مقاومة الشرك إذ قاومه بالحجة وبالقوة وبإعلان التوحيد، وكانت قصته مع قومه شاهدًا على بطلان الشرك الذي كان مماثلًا لحال المشركين بمكة الذين جاء محمد ﷺ لقطع دابره، وفي ذكر قصة إبراهيم حجة على المشركين من أهل مكة إذ كانوا على الحالة التي نعاها جدهم إبراهيم على قومه، وكفى بذلك حجة عليهم، وأيضًا فإن شريعة إبراهيم أشهر شريعة بعد شريعة موسى[٦].

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، (٧/ ٢٠٠).

(٢) انظر: فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب القِنَّوجي، (٣٤٠/٨).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (١٢٢/٣).

(٤) روح المعاني، الآلوسي، (٥٨/٩).

(٥) التفسير المنير، الزحيلي، (٧٥،٧٦/١٧).

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٩٢/١٧)، بتصرف.

٣) "بدأ الحق سبحانه وتعالى تسليته لرسوله ﷺ بذكر طرف من قصة موسى عليه السلام، ثم ثنى بقصة إبراهيم عليه السلام، مع أن إبراهيم سابق لموسى، وذلك لأن موسى له صلة مباشرة باليهود وقريب منهم، وكان اليهود معه أهل جدل وعناد" [١].

٤) "يجوز لأصحاب الدعوات الربانية أن يجادلوا أهل الباطل ويقيموا عليهم الحجج الدامغة والبراهين الساطعة، قال ابن تيمية رحمه الله: والمذموم شرعًا ما ذمه الله ورسوله، كالجدل بالباطل، والجدل بغير علم، والجدل في الحق بعد ما تبين، فأما المجادلة الشرعية، كالتي ذكرها الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام وأمر بها، مثل قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا..**﴾ [هود: ٣٢]، وقوله: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ..**﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ..**﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقوله تعالى: ﴿.. **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..**﴾ [النحل: ١٢٥]، وأمثال ذلك، فقد يكون واجبًا أو مستحبًا، وما كان كذلك لم يكن مذمومًا في الشرع" [٢].

٥) "الأصل في العبادة أن يتوجه بها العبد إلى من هو أعلى من الإنسان وأعلم وأقوى، وأن يرفعها إلى مقام أسمى من مقام الإنسان وأسنى، فكيف يتوجه بها إذن إلى ما هو دون الإنسان، بل إلى ما هو في مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان، لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ضرًا ولا نفعًا" [٣].

٦) أسلوب الحوار في قصة إبراهيم مع أبيه وقومه ظاهر وواضح، فقد استخدم الخليل عليه السلام هذا الأسلوب ليصل بالقوم إلى التوحيد ويطهرهم من دنس الشرك، فوجَّه إليهم الأسئلة وانتظر منهم الجواب ثم رد عليهم بالأدلة المنطقية والعقلية الصحيحة التي تدحض شركهم وتنفيه، وبينَّ لهم أن الإيمان لا يكون بالتقليد الأعمى لمن سبق، فالعجب كل العجب ممن يرث عن أجداده الباطل والزيف والهوى.

٧) قول إبراهيم عليه السلام ﴿**وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ يدلل على أن الشهادة شرعت في الديانات السابقة كما شرعت في الإسلام؛ لأن لها فضل كبير في مواطن تعز فيها ويحتاج إليها[٤].

---

(١) تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، (٩٥٦٧/١٥).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط: ٢، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م، (١٥٦/٧).

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٣١١/٤).

(٤) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٢٢/٣)، بتصرف.

المطلب الثالث: **الثورة والغضب على الطغيان والكفر من أجل الله**:

قال تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء:٥٧-٦٣].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**لَأَكِيدَنَّ**﴾: "الكيد، المكر، والكيد: المعالجة. وكل شيء عالجته فأنت تكيده" [١].

"وأصل الكيد: الاحتيال في إيجاد ما يضر مع إظهار خلافه، وقد عبر به إبراهيم عن تكسير الأصنام وتحطيمها، لأن ذلك يحتاج إلى احتيال وحسن تدبير" [٢].

٢) ﴿**جُذَٰذًا**﴾: "أي فتاتًا، والجذ الكسر والقطع، جذذت الشيء كسرته وقطعته، والجذاذ ما كسر منه، والضم أفصح من كسره، قاله الجوهري، وقال الكسائي: ويقال لحجارة الذهب جذاذ، لأنها تكسر" [٣].

٣) ﴿**فَتًى**﴾: "الفتى: الشاب ، يكون اسمًا وصفة، وفي المصباح: الفتى في الأصل يقال للشاب الحديث ثم استعير للعبد وإن كان شيخًا مجازًا لتسميته باسم ما كان عليه" [٤].

٤) ﴿**يَذْكُرُهُمْ**﴾ أي: يتكلم عنهم بالتقبيح والتعييب والسب[٥].

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

أقسم إبراهيم عليه السلام قسمًا أمام بعض القوم، أنه سيحطم الأصنام التي تعبد من دون الله حين تلوح له الفرصة لفعل ذلك، فانتظر خروج قومه إلى عيدهم، فذهب إلى مكان تلك الأصنام وحطمها جميعها إلا كبيرها ليعلق الفأس على كتفه، فلما رجع القوم من عيدهم رأوا أصنامهم المحطمة، فغضبوا غضبًا شديدًا وقالوا: من الظالم الذي فعل هذا بإلهتنا؟ فقال من سمعه من القوم: سمعنا فتى اسمه إبراهيم يتوعد الآلهة بالنيل منها، فقال القوم وزعيمهم النمروذ: أحضروه على رؤوس الأشهاد لكي نعاقبه أشد العقاب وننتصر للآلهة، فأحضروه وسألوه فأنكر وردَّ عليهم بأن الذي حطمهم هو كبيرهم ولكم أن تسألوه إن كان يرد الجواب، وقال ذلك استهزاءً بهم وبأصنامهم التي لا تضر ولا تنفع[٦].

---

(١) مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، (٧٧٤/١).

(٢) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٢٢٣/٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٩٧/١١).

(٤) تاج العروس، الزَّبيدي، (٢٠٨/٣٩).

(٥) انظر: تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٤٧/١٧).

(٦) انظر: مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، (٥١٢/٢).

ثالثًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ**﴾ "التاء تختص بقسم على أمر متعجب منه وتختص باسم الجلالة، وسمَّى تكسيره الأصنام كيدًا على طريق الاستعارة أو المشاكلة التقديرية لاعتقاد المخاطبين أنهم يزعمون أن الأصنام تدفع عن أنفسها فلا يستطيع أن يمسها بسوء إلا على سبيل الكيد، وأجري على الأصنام ضمير جمع العقلاء في قوله (أصنامكم) محاكاة لمعنى كلام إبراهيم لأن قومه يحسبون الأصنام عقلاء، ومثله ضمائر قوله بعده: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ**﴾" [١].
- قوله: ﴿**لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ**﴾ تعبير غرضه السخرية والتهكم بهم وبأصنامهم التي لا تبصر ولا تسمع فكيف ترد عليهم إذا رجعوا إليها[٢].
- قوله تعالى: ﴿**قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ "وصفوا الفاعل بالظلم لجرأته على إهانة الأصنام وهي الجديرة عندهم بالتعظيم، أو لإفراطه في التجذيذ والحطم، وتماديه في الاستهانة بها، أو بتعريض نفسه للهلكة، والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتشنيع" [٣].
- قوله: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ**﴾ "إضراب عن جملة محذوفة تقديره: لم أفعله إنما الفاعل حقيقة الله تعالى، وإسناد الفعل إلى (كَبِيرُهُمْ) من أبلغ التعاريض" [٤].

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) التخطيط الجيد والعمل الجاد للنيل من أعداء الله واجب، وذلك للسير قدمًا نحو هداية الناس إلى الله الواحد الأحد، الذي خلق الكون وأبدعه، وهو الذي يدبر الأمور كلها فبيده وحده النفع والضر، والآلهة التي يعبدها أهل الكفر والضلال آلهة ضعيفة وهزيلة لا تملك نفعًا ولا ضرًا لنفسها ولا لغيرها.

٢) تحديد الوقت المناسب للنيل من العدو وإظهار الغضب لأجل الله، ليضمن صاحب الدعوة الربانية النتائج التي يصبوا إليها ويحقق ما يرجوه، ويدفع الضرر عن نفسه، وإبراهيم عليه السلام اختار وقتًا مناسبًا للانقضاض على الآلهة التي يعبدها قومه من دون الله، وهو يوم عيدهم.

٣) يجب على المؤمن أن يغير المنكر بيده وذلك إن وجد في نفسه قدرة على ذلك، وإن لم يستطيع فبلسانه، فهذا إبراهيم عليه السلام بادر لتغيير المنكر بيده وذلك من عزمه لأن المبادرة في تغيير المنكر مع كونه باليد مقام عزم وهو لا يتمكن من ذلك مع حضور عبدة الأصنام فلو حاول كسرها بحضرتهم لكان عمله باطلًا، وتغيير المنكر: إزالته بقدر الإمكان، ولذلك فإزالته باليد لا تكون إلا مع المكنة" [٥].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٩٨،٩٧/١٧).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٨٥).

(٣) محاسن التأويل، القاسمي، (٢٠١/٧).

(٤) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (٥٣١/١٣).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٩٧/١٧). وانظر: أيسر التفاسير، الجزائري،(٤٢٢/٣).

٤) يجب على الدعاة إلى الله ﷻ أن يستخدموا الحجج القوية والبراهين الساطعة لإثبات صحة ما يدعون إليه، ولإثبات بطلان معتقدات أهل الكفر والضلال والانحراف.

٥) "لم يدرك قوم إبراهيم عليه السلام أن تلك المواجهة معه أمام الناس في غير صالحهم، فقد كان إبراهيم قوي الحجة، وأراد تنبيه الأفكار إلى عبث عبادتهم، وقلة عقلهم، وكثرة جهلهم، فسألوه عمن فعل تلك الفعلة، فأجابهم بأن الفاعل هو كبيرهم، تعريضًا بأن عبادتهم له وتعظيمهم إياه سبب للغيظ والغضب، مما حمله على تكسيرها، وتنبيهًا لهم بأن من لا يتكلم ولا يعلم لا يستحق أن يعبد، وكان قوله من المعاريض، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب" [(١)].

عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال ﷺ: **(إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ)**[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: **(إن إبراهيم لم يكذب إلا في ثلاث، ثنتين في ذات الله، قوله (إِنِّي سَقِيمٌ) [الصافات: ٨٩] وقوله (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) [الأنبياء: ٦٣]، قال: وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة إذ نزل منزلًا، فأتى الجبار رجل فقال: إنه قد نزل هاهنا في أرضك رجل معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه، فقال: ما هذه المرأة منك؟ قال: هي أختي، قال: اذهب فأرسل بها قال: فانطلق إلى سارة، فقال لها: إن هذا الجبار سألني عنك، فأخبرته: أنك أختي فلا تكذبيني عنده ...)**[(٣)].

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، (٨١/١٧).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب من الشعر حكمة، (ص ٢٩٧) برقم ٨٥٧، وقال الشيخ الألباني: صحيح موقوفًا. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب: المعاريض فيها مندوحة عن الكذب، (٣٣٦/١٠)، ح رقم ٢٠٨٤٣، وقال المحقق: صحيح موقوفًا. وفي شرح الإمام البغوي للحديث قال: (المعاريض): ما يعرض به ولا يصرح. (مندوحة): أي سعة وفسحة، أي: فيها ما يستغني به الرجل عن الاضطرار إلى الكذب، يقال: ندحت الشيء ندحا: إذا وسعته. انظر: شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (١٥٦/١٣).

(٣) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]، (١٤٠/٤)، ح رقم ٣٣٥٧، وفي كتاب النكاح برقم ٥٠٨٤. وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، (١٨٤٠/٤)، ح رقم ٢٣٧١.

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٦٤-٧٧)

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** إهانة أهل الباطل وإفحامهم بالبراهين الدامغة.
- **المطلب الثاني:** الكفار يستخدمون القوة والبطش لإسقاط الحق وأهله، وتأييد الله لأنبيائه.
- **المطلب الثالث:** الفوز والنجاة لأهل الحق ولمن لجأ إلى الله بصدق.
- **المطلب الرابع:** العلم شرف عظيم وسبب للنجاة والصلاح.
- **المطلب الخامس:** اللجوء إلى الله ﷻ بالدعاء والصبر عند البلاء.

المطلب الأول: **إهانة أهل الباطل وإفحامهم بالبراهين الدامغة**:

قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٤ – ٦٧].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**فَرَجَعُواْ إِلَى أَنفُسِهِمْ**﴾: "أي فكروا تفكير الراجع عن رأيه، المتبصر في حجة خصمه، المؤيد لها"[١].

٢) ﴿**نُكِسُوا**﴾ "الانتكاس أصله قلب الشيء أسفله أعلاه، وقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ**﴾ له عدة معاني:

أحدها: أي استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة، ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك الحالة، فأخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة.

وثانيها: أنهم انتكسوا عن كونهم مجادلين لإبراهيم مجادلين عنه، حين نفوا عنها القدرة على النطق.

وثالثها: أنهم قلبوا على رؤوسهم حقيقة، لفرط إطراقهم خجلًا وانكسارًا وانخزالًا مما بهتهم به إبراهيم عليه السلام، فما أحاروا جوابًا إلا ما هو حجة عليهم" [٢].

٣) ﴿**أُفٍّ**﴾: "اسم فعل دال على الضجر، وهو منقول من صورة تنفس المتضجر لضيق نفسه من الغضب، وتنوين (أف) يسمى تنوين التنكير والمراد به التعظيم، أي ضجرًا قويًا لكم" [٣].

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

رجع قوم إبراهيم عليه السلام إلى أنفسهم فتفكروا ورجعوا إلى عقولهم فقالوا ما نراه إلا كما قال إنكم أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤالكم إياه، وهذه آلهتكم التي فعل بها ما فعل حاضرة فسلوها، وقيل: إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم الأوثان الصغار مع هذا الكبير.

ثم نكسوا على رؤوسهم متحيرين مثبورين وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش، فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون، فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليهم قال لهم منكرًا ومستقذرًا ومعيبًا عليهم عبادة هذه الأصنام التي لا تنفعهم شيئًا ولا تضرهم، قبحًا وتعسًا لكم على جهلكم وحقارة تفكيركم[٤].

---

(١) أوضح التفاسير، محمد الخطيب، (ص ٣٩٤).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، (١٢٥/٣).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٠٤/١٧).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م، (٢٨٠/٦)، بتصرف.

ثالثًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ "الجملة مفيدة للحصر، أي أنتم ظالمون لا إبراهيم لأنكم ألصقتم به التهمة بأنه ظلم أصنامنا مع أن الظاهر أن نسألها عمن فعل بها ذلك، ويظهر أن الفاعل هو كبيرهم" [(١)].
- قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ**﴾ شبه عودهم إلى الباطل بحال من يمشي على رأسه[(٢)].

"وفيه أيضًا تمثيلٌ لتغير رأيهم عن الصواب كما قالوا إنكم أنتم الظالمون إلى معاودة الضلال بهيئة من تغيرت أحوالهم من الانتصاب على الأرجل إلى الانتصاب على الرؤوس منكوسين، فهو من تمثيل المعقول بالمحسوس والمقصود به التشنيع" [(٣)].

- قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ "الاستفهام إنكاري لإنكار الواقع، وإنكار الواقع توبيخ، وهم به جديرون، فأي عاقل يعبد ما دونه، وهو حي وهذا جماد لا يضر ولا ينفع" [(٤)].
- قوله تعالى: ﴿**مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ**﴾ "طباق بين ينفعكم ويضركم"[(٥)].
- قوله تعالى: ﴿**أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ أظهر اسم الجلالة في سياق الذم والتوبيخ لتشنيع عبادة غيره وتقبيحها وتقبيح من يعبد غيره، وفيه إظهاره أيضًا زيادة بيان[(٦)].

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) رجوع أهل الكفر والضلال إلى غيهم وظلمهم لأنفسهم بعد ظهور الحق لهم ومعاينتهم له، والسبب في ذلك الرجوع الجحود والاستكبار والهوى والتقليد الأعمى، فعندما أفحمهم إبراهيم عليه السلام وألزمهم بالحجة والبرهان وأظهر لهم حقيقة الآلهة التي يعبدونها من دون الله قالوا: ﴿**إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ فكانت بادرة خير أن يستشعروا ما في موقفهم من سخف، وما في عبادتهم لهذه التماثيل من ظلم، ولكنها لم تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام، وإلا خفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلى الخمود، قال الله ﷻ: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [النمل: ١٤][(٧)].

٢) حريٌّ بالعقلاء أن يتدبروا ويمعنوا النظر في الموجودات والمخلوقات وذلك للاستدلال على الخالق المتعال ﷻ، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له في ملكه وخلقه، والتدبر: هو النظر في نتائج

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٠٣/١٧).

(٢) انظر: تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت: ٩٠٥هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م، (٢٥/٣).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٠٣،١٠٤/١٧).

(٤) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٨٩).

(٥) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٤٧/٢).

(٦) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٠٥/١٧).

(٧) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٣٨٧/٤)، بتصرف.

وعواقب الأمور ومعناه قريب من التفكر وكلاهما مطلوب للاستدلال على قدرة الله وعظمته ووحدانيته[١].

وقال الشافعي: "صحّة النّظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرّأي سلامة من التّفريط والنّدم، والرّؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة، ومشاورة الحكماء ثبات في النّفس وقوة في البصيرة، ففكّر قبل أن تعزم، وتدبّر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم" [٢].

"ومن الفوائد التي تعود على الإنسان إذا ما تدبر في خلق الله وآلائه:

أ- يفضي إلى رسوخ الإيمان في القلب.

ب- يجعل الإنسان راغبًا راهبًا.

ت- النّجاة من الغرور.

ث- الحزم والفطنة من ثمراته.

ج- دقّة التّمييز بين الطّيّب والخبيث والفاسد والصّحيح" [٣].

٣) مشروعية توبيخ أهل الباطل وتأنيبهم والتهكم بما يُعبَدُ من دون الله من الآلهة والأوثان وإظهار الغضب والضجر انتصارًا لله ولدينه وتوبيخًا وتقريعًا لأهل الضلال ولما يعبدون، فهذا إبراهيم عليه السلام أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم، وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل، فتأفف بهم وبعبادتهم لتلك الأحجار الصماء[٤].

والقرآن استخدم أسلوب التوبيخ كثيرًا كدواء لمن أخطأ وأصرَّ على الخطأ؛ وذلك لإقامة الحجة والبرهان على المخطئ والمعارض والمكذب، لكي لا يتنصل فيما بعد من مواقفه وتكون خزيًا له في الدنيا ويوم الحساب، واستخدام هذا الأسلوب يأتي غالبًا بعد فضح وتبكيت أصحاب المواقف الباطلة والمهترئة؛ وذلك لتنبيه الآخرين وتحذيرهم من الوقوع في نفس الخطأ الذي وُبِّخَ عليه غيرهم.

---

(١) انظر: التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م،(ص ٥٤).

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، (٤/٤٢٥).

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، (٣/٩١٥).

(٤) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٣/٤٢٧).

المطلب الثاني: الكفار يستخدمون القوة والبطش لإسقاط الحق وأهله، وتأييد الله لأنبيائه:

قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝٦٨ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾ [الأنبياء: ٦٨ – ٧٠].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**حَرِّقُوهُ**﴾ "التحريق المبالغة في الإحراق وإكثار حطبه" [١].

٢) ﴿**بَرْدًا وَسَلَامًا**﴾: "لا ضرر فيها على إبراهيم" [٢].

٣) ﴿**الْأَخْسَرِينَ**﴾ "الأخسر: مبالغة في الخاسر، فهو اسم تفضيل مسلوب المفاضلة" [٣].

وخسارتهم في الدنيا بأنهم لم ينالوا من إبراهيم ولم يفوزوا بقتله، وخسرانهم الأعظم والأكبر في الآخرة.

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

لما سمع القوم من إبراهيم عليه السلام التعيير والتشنيع الشنيع قد ثارت نار حميتهم واشتد غيظهم، حيث قالوا بعد ما شاوروا كثيرًا في كيفية إهلاكه والانتقام منه (حَرِّقُوهُ) إذ لا عذاب أهول وأفزع منه وانصروا آلهتكم بتحريق هذا الظالم، ولما كان تعذيبهم إياه لأجل آلهتهم لذلك اختاروا تعذيبه بالنار لأن التعذيب بالنار مخصوص بالإله، قلنا حينئذ مخاطبين للنار منادين لها لحفظ خليلنا عليه السلام يا نار المجبولة المطبوعة بالإحراق والإهلاك كوني بردًا واتركي طبع الحرق والحرارة ولا تضري بخليلنا بالبرودة المفرطة أيضًا، بل صيري سلامًا معتدلةً ذات سلام وسلامة على إبراهيم ولا تضري به، وبعد ما علموا وشاهدوا أن النار لا تضره بل قد صارت له بردًا وسلامًا روحًا وريحانًا أفحموا وألزموا، وكيف لا يفحمون وقد أرادوا به كيدًا ومكرًا لينتقموا منه ويبطلوا دعواه إلى التوحيد فعاد عليهم الإلزام والوبال والإبطال فغلبوا هنالك فجعلناهم الأخسرين فيما قصدوا له وانقلبوا من مجمعهم خاسرين خسرانًا مبينًا وخيبةً عظيمةً[٤].

ثالثًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ**﴾ أسند الأمر بتحريق إبراهيم عليه السلام إلى جميع القوم، وذلك لأنهم موافقون بالكلية وبمشاورة زعيمهم النمروذ على قتله[٥].

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٩٠).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، (ص ٤٨١).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٠٧/١٧).

(٤) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، الشيخ علوان، (١/ ٥٣٧،٥٣٨)، بتصرف.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٠٥/١٧).

- قوله تعالى: ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لو لم يقل سلامًا لمات إبراهيم عليه السلام من بردها، وفي بعض الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم، ولو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبدًا" [١].

وفي الكلام حذف، يدلل عليه السياق، والتقدير: فأوقدوا له نارًا وألْقوه فيها، فقلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا[٢].

- قوله تعالى: ﴿**كُونِي بَرْدًا**﴾ "مجاز مرسل من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل، أي ذات برد" [٣].
- في قوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**﴾ استعارة تصريحية حيث شبه الله عز وجل خيبة الكفار بالنيل من إبراهيم عليه السلام بخسارة التاجر في تجارته[٤].

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) الكفار على مر الزمان أحوالهم لا تتغير ولا تتبدل، وديدنهم البطش والتنكيل بمن يجادلهم ويظهر عيوبهم وعيوب آلهتهم المزعومة، فقوم إبراهيم عليه السلام لمَّا أعيتهم الحيل كلها في إبراهيم وإسكاته، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، أحرقوه بالنار.

ولكن الله عز وجل الذي تكفل لعباده وخاصة الأنبياء بالحفظ والرعاية والكلاءة والمعونة، أَبَى إلا أن ينصر إبراهيم ويحفظه من النار التي تذيب الحديد، وتصهر المعدن والفولاذ.

وهكذا تكون عناية الله ورعايته للأنبياء والأولياء والصالحين من عباده، فقريش جمعت جموعها، وتشاورت في أمرها، واتفقت فيما بينها على أن تقتل محمدًا، ولكن أنَّى لهم هذا! والله تعالى يقول: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧][٥].

٢) اختار قوم إبراهيم عليه السلام معاقبته بالنار لأنها أهول ما يعاقب به وأفظعه، وقد روي عن النبي ﷺ أنه نهى عن القتل بالنار، فعن محمد بن حمزة الأسلمي، عن أبيه: **(أن رسول الله ﷺ أمره على سرية، فخرج فيها فقال له ﷺ: إن أخذتم فلانًا فأحرقوه بالنار، يقول فلما وليت ناداني، فقال: إن أخذتموه فاقتلوه، فإنه لا يعذب بالنار، إلا رب النار)**[٦].

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، (٢٣٠/٣).

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي ابن أبي طالب، (/٧ ٤٧٧٤)، بتصرف.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، (٨٣/١٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٠٧/١٧).

(٥) انظر: التفسير الواضح، الحجازي محمد محمود، (٥٤٢،٥٤٣/٢).

(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م، (/٢٥ ٤٢١)، ح رقم ١٦٠٣٤. وقال المحققون: حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

٣) "قوة التوكل على الله كانت سبب تلك المعجزة إذ قال إبراهيم عليه السلام حسبي الله ونعم الوكيل، فقال الله تعالى للنار: ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ فكانت، وكفاه ما أهمه بصدق توكله عليه" [(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ﴾** [آل عمران: ١٧٣] **)**[(٢)].

وموقف إبراهيم عليه السلام في التوكل على الله دأب الأنبياء والرسل جميعًا، والتوكل على الله خلق عظيم أمر الله به العباد فقال تعالى: ﴿...**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿...**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [الطلاق: ٣]، وفي كتاب الله آيات كثيرة تحث المؤمنين على ملازمة هذا الخلق، الذي يجعل المؤمن واثقًا بربه ويرضى بما كتبه له في الدنيا، ويصبر ويحتسب الأجر عند الله.

٤) النهاية السعيدة والعاقبة الحميدة لأولياء الله والدعاة إلى الحق، فمهما كاد الكائدون وخطط المخططون للنيل من الحق وأهله فستكون النهاية والغلبة لأهل الحق، والله عز وجل يقول: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ [الأنفال: ٣٠].

٥) "في هذه الآيات عبرة لمن اعتبر، فهي تمثل موقف المجاهد الصابر في سبيل دعوته إلى التوحيد والحق والفضيلة، وموقف المعادي الجاهل المناصر للباطل والشرك والوثنية" [(٣)].

وفرق كبير بين من يسخر عقله وقوته من أجل دين الله ودعوته، وبين من يسخر إمكانياته في سبيل الطاغوت والكفر والمعصية، فالأول مؤيد بنصر الله وعونه لأن الحق تبارك وتعالى قال: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة: ٥٦]، وأما الآخر فهو عدو لنفسه قبل أن يكون عدوًا لله ورسله وأنبيائه، ومصيره إلى الخيبة والخسران المبين، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ**﴾ [الزمر: ٣٢].

---

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٢٧/٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ}، (٣٩/٦)، ح رقم ٤٥٦٣.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، (٨٥/١٧).

المطلب الثالث: **الفوز والنجاة لأهل الحق ولمن لجأ إلى الله بصدق**:

قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧١ – ٧٣].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**الْأَرْضِ**﴾: "أرض الشّام، وبركتها أنّ أكثر الأنبياء منها، وهي أرض خصيب يطيب فيها عيش الغنيّ والفقير" [١].

٢) ﴿**نَافِلَةً**﴾: "أي زيادة، لأنه دعا في إسحاق وزيد يعقوب من غير دعاء فكان ذلك نافلة، أي زيادة على ما سأل" [٢].

٣) ﴿**أَئِمَّةً**﴾: "قادة يُقتدى بهم في الدين" [٣].

٤) ﴿**يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ " أي: يَدْعون الناس إلى ديننا بأمرنا إيَّاهم بذلك " [٤].

٥) ﴿**عَابِدِينَ**﴾: "مُطِيعِينَ"[٥].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

فيما سبق من الآيات ذكر الله سبحانه وتعالى قصة نجاة إبراهيم الخليل عليه السلام من النار، وفي هذه الآيات يذكر الله عز وجل تفضله وإنعامه على إبراهيم ولوط عليهما السلام بمزيد من النعم، وقد قرنهما الله ببعضهما وذكرهما في نفس السياق؛ لأن لوط عليه السلام تجمعه بإبراهيم عليه السلام صلة قرابة فهو ابن أخيه، ولاشتراكهما في النبوة والدعوة إلى الله تعالى[٦].

---

(١) إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: ١ – ١٤١٥ هـ، (٥٦١/٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٠٥/١١).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٤١٣/٢).

(٤) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ، (٢٠١/٣).

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٨٨/١٧).

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

"نَجَّا الله ﷻ إبراهيم وابن أخيه لوط عليهما السلام إلى الأرض المباركة وهي أرض الشام التي هاجروا إليها، فكانت مهبط الوحي فترة طويلة، ومبعث الرسل من نسل إبراهيم، وفيها الأرض المقدسة، وثاني الحرمين، وفيها بركة الخصب والرزق، إلى جانب بركة الوحي والنبوة جيلًا بعد جيل، ولقد ترك إبراهيم عليه السلام وطنًا وأهلًا وقومًا، فعوضه الله الأرض المباركة وطنًا خيرًا من وطنه، وعوضه ابنه إسحاق وحفيده يعقوب أهلًا خيرًا من أهله، وعوض من ذريته أمة عظيمة العدد قومًا خيرًا من قومه.

وجعل من نسله أئمة يهدون الناس بأمر الله وأوحى إليهم أن يفعلوا الخيرات على اختلافها، وأن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وكانوا طائعين لله عابدين، فنعم العوض ونعم الجزاء، ونعمت الخاتمة التي قسمها الله لخليله عليه السلام، لقد ابتلاه بالضراء فصبر، فكانت الخاتمة الكريمة اللائقة بصبره الجميل" [١].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا**﴾ "دليل على أن إبراهيم كان كالمشرف على الهلاك؛ لأن لفظة (النجاة) لا تقال إلا فيما كان هنالك إشراف على الهلاك، وفيه أن لوطًا كان معه وإن كان إبراهيم هو الممتحن في ذلك وهم كانوا يقصدون قصد إهلاك الرسل والأتباع جميعًا" [٢].
- في قوله تعالى: ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ**﴾ التكلم من الله تعالى العلي الأعلى بضمير المتكلم المعظم، لبيان أنها كبيرة تليق بكبر المتكلم، فإخراج ابراهيم من النار أو جعلها عليه باردة وجعلها أمنًا لا فزع منها، وإهلاك قرية الفسق –قرية لوط– بجعل عاليها سافلها، وإرسال عليها حجارة من سجيل منضود، لهي أفعالٌ عظيمة لا يقدر عليها إلا عظيم كبير متعال[٣].
- في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ**﴾ عطف الله سبحانه وتعالى ذكر الصلاة والزكاة على أفعال الخير وخصهما بالذكر من دون العبادات الأخرى تنبيهًا منه لعظيم الفضل والأجر المترتب على كل منهما، وهذا من عطف الخاص على العام[٤].
- إعادة فعل (جعل) في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ**﴾ دون أن يقال: وأئمة يهدون، بعطفها على صالحين، اهتمامًا بهذا الجعل الشريف، فأعيد الفعل ليكون له مزيد استقرار، وإعادة الفعل فيه مزيد اعتناء (كالإظهار في مقام الإضمار) فذكر الفعل وسيلة لإعادة ذكر المفعول الأول[٥].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٨٨).

(٢) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (٣٥٩/٧).

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٨٩٣/٩)، بتصرف.

(٤) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٤٧/٢).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٠٩/١٧).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) فضل الله ونعمه على أنبيائه وأوليائه لا حدود لها، والله ﷻ ينعم عليهم بالخيرات الكثيرة وينجيهم من كيد ومكر أقوامهم، وذلك جزاءً لهم لصبرهم على البلاء، فالجزاء من جنس العمل، فمن يعمل صالحًا وينفع الناس يمكث في الأرض ويستخلف عليها، قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...**﴾ [النور: ٥٥].

٢) بيان إنعام الله على إبراهيم عليه السلام بأن نجاهُ وبعث معه لوط عليه السلام كما جرت العادة الإلهية بتأييد الأنبياء بعضهم لبعض كما كان من موسى وهارون، فنجَّا الله إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الأرض التي بارك الله فيها، وقيل: إنها مكة وقيل أرض الشام لقوله تعالى: ﴿**...إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ [الإسراء: ١] والسبب في بركتها، أما في الدين فلأن أكثر الأنبياء عليهم السلام بعثوا منها وانتشرت شرائعهم وآثارهم الدينية فيها، وأما في الدنيا فلأن الله بارك فيها بكثرة الخيرات والنعم[١].

٣) الشام بلاد لها مكانة خاصة في الإسلام، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال: **(طوبى للشام، قيل: ولم ذلك يا رسول الله؟ قال: إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها)**[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: ذكر النبي ﷺ قال: **(اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان)**[٣].

٤) الله ﷻ جعل ذرية الأنبياء بعضها من بعض، قال تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣٤]، فالأنبياء يصطفيهم الله ليكونوا دعاة إلى توحيده، وأشرف الوظائف وأعلاها، الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال سبحانه: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠].

وبنو آدم درجات: فمنهم العاقل والمجنون، والرشيد والسفيه، والمؤمن والكافر، وأعلاهم درجات الرسل ثم أتباعهم، ومهمة الأعلى أن يأخذ بيد الأدنى، فالأنبياء والرسل أرسلهم الله ﷻ ليرفعوا البشرية من المعصية والرذيلة، إلى الأخلاق والفضيلة، ويحذروا الناس من الانزلاق في مسالك الشيطان[٤].

---

(١) التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، الرازي، (١٦٠/٢٢)، بتصرف.

(٢) مسند الإمام أحمد – ط الرسالة، مسند الأنصار، (٣٥/ ٤٨٤)، ح رقم ٢١٦٠٨، وقال المحققون: إسناده حسن من أجل يحيى بن أيوب، وهو الغافقي. وانظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، كتاب المناقب، باب ما جاء في الشام وأهله، (٥٧٤/١)، ح رقم ٢٣١١.

(٣) صحيح البخاري، أبواب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، (٣٣/٢)، ح رقم ١٠٣٧. وأخرجه أيضًا في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «الفتنة من قبل المشرق»، (٥٤/٩)، ح رقم ٧٠٩٤.

(٤) انظر: موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، (٢٠٩١/٣، ٢٠٩٢).

٥) قال أبو القاسم الأنصاري: "الصلاة أشرف العبادات البدنية وشرعت لذكر الله ﷻ، والزكاة أشرف العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله، واعلم أنه سبحانه وصفهم أولًا بالصلاح لأنه أول مراتب السائرين إلى الله تعالى ثم ترقى فوصفهم بالإمامة، ثم ترقى فوصفهم بالنبوة والوحي، وإذا كان الصلاح الذي هو العصمة أول مراتب النبوة دل ذلك على أن الأنبياء معصومون فإن المحروم عن أول المراتب أولى بأن يكون محرومًا عن النهاية" [١].

المطلب الرابع: العلم شرف عظيم وسبب للنجاة والصلاح:

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنبياء: ٧٤ – ٧٥].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**حُكْمًا**﴾ "فيه قولان: أحدهما: أنه النبوة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، والثاني: الفهم والعقل، قاله مقاتل" [٢].

٢) ﴿**الْخَبَائِثَ**﴾: "خبث الشيء خبثًا من باب قَرُبَ خلاف طَابَ والاسم الخباثة فهو خبيث والأنثى خبيثة ويطلق الخبيث على الحرام كالزنا" [٣].
والمراد في الآية اللواط.

٣) ﴿**فاسِقِينَ**﴾: "فسق فسوقًا من باب قعد خرج عن الطاعة، والاسم الفسق ويفسق بالكسر لغة حكاها الأخفش فهو فاسق والجمع فساق وفسقة، ويقال أن أصل الفسوق: خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد، يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها" [٤].

٤) ﴿**فِي رَحْمَتِنَا**﴾: "في أهل رحمتنا، وقيل: في النبوة، وقيل: في الإسلام، وقيل: في الجنة إنه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى" [٥].

---

(١) التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، الرازي، (١٦١/٢٢).
(٢) زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (٢٠١/٣).
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس الحموي، (١٦٢/١).
(٤) المرجع السابق، (٤٧٣/٢).
(٥) فتح القدير، الشوكاني، (٤٩٢/٣).

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

"بعد بيان ما أنعم الله ﷻ به على إبراهيم عليه السلام، ذكر نعمه على لوط عليه السلام، لما بينهما من القرابة والاشتراك في النبوة، ولوط: هو لوط بن هاران بن آزر، كان قد آمن بإبراهيم عليه السلام واتبعه وهاجر معه، كما قال تعالى: ﴿**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [العنكبوت: ٢٦]" [(١)].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

آتى الله تبارك وتعالى لوطًا عليه السلام النبوة والحكمة والفهم والعلم، كغيره من الأنبياء والمرسلين، وهذه سنة الله مع أنبيائه ورسله إذ لا يبعث أحدهم إلا بالحكمة والفهم والعلم وغير ذلك من لوازم الرسالة والنبوة، وآتى الله لوطًا عليه السلام الحكم الذي هو حسن الفصل في الخصومات بين الناس، وكان لوط عليه السلام يرشد قومه وهم أهل سدوم[(٢)] إلى عبادة الله وتوحيده وإلى ترك فعل الفاحشة وهي اللواط، وكانوا جماعة سوء وقبح، خارجين عن جادة الطاعة لله ﷻ، منغمسين في الرذيلة والمعصية كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فاسِقِينَ**﴾ لا يسمعون ولا يطيعون ولا يقبلون نصيحة.

فخالفوه وكذبوه فعاقبهم الله بالدمار والهلاك، ونَجَّى لوطًا من العذاب الذي عذبهم به، ونجاه من فواحشهم وأنعم الله ﷻ عليه بدخوله في رحمته وجعله من أهل جنته، لأنه كان صالحًا طائعًا لله ممتثلًا لأوامره داعيًا إليه[(٣)].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ "قدم مفعول آتينا اهتمامًا به لينبه على أنه محل العناية إذ كان قد تأخر ذكر قصته بعد أن جرى ذكره تبعًا لذكر إبراهيم تنبيهًا على أنه بعث بشريعة خاصة، وإلى قوم غير القوم الذين بعث إليهم إبراهيم، وإلى أنه كان في مواطن غير المواطن التي حل فيها إبراهيم، بخلاف إسحاق ويعقوب في ذلك كله" [(٤)].
- في قوله تعالى: ﴿**وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا**﴾ "مجاز مرسل علاقته المحلية، أي أدخلناه في الجنة لأنها مكان تنزل الرحمات" [(٥)].

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، (٩٢/١٧).

(٢) قرية سدوم: قصبة قرى قوم لوط، وهي بين الحجاز والشام، كانت أحسن بلاد الله وأكثرها مياه وأشجارًا وحبوبًا وثمارًا، والآن عبرة للناظرين. وتسمى الأرض المقلوبة لا زرع بها ولا ضرع ولا حشيش، وبقيت بقعة سوداء. انظر: آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد القزويني (ت: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، (ص ٢٠٢،٢٠٣).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (١٦٠٠/٢).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١١١/١٧).

(٥) التفسير المنير، الزحيلي، (٩٢/١٧).

- قوله تعالى: ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ**﴾ "وُصفت بصفة أهلها وأُسندت إليها على حذف المضاف وإقامتها مُقامه كما يُؤذِن به قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فاسقين**﴾ فإنه كالتعليل له" [١].
- قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ ثناء من الله تبارك وتعالى على لوط عليه السلام لبيان استحقاقه للرحمة وفيه تشريف له[٢].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) خص الله تبارك وتعالى لوطًا عليه السلام بالذكر، ولم يذكر قومه لحقارتهم ومهانتهم وسوء أفعالهم، وخبيثة نفوسهم حتى انحطوا عن مرتبة الحيوانية في شذوذ الفطرة، وفي ذكر لوط منفردًا عن قومه تنويه بشأنه، ورفعة لذكره، وبيان أنه لا يضر النبي ﷺ أن يكون قومه مفسدين غير مهديين، فإنه جاء لهداية الضال وإصلاح الفاسد، فإن لم يصلحوا دمر الله عليهم وأنشأ قومًا آخرين[٣].

٢) نيل العلم ومعه الحكمة، شرف عظيم لا يحوزه إلا من شاء الله له أن يحوزه، فالأنبياء والرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بعثوا بالهدى والعلم، والعلم هو الطريق الذي يصل به الإنسان إلى الهدى.
عن أبي موسى، أن النبي ﷺ قال: **(إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى، والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا، فكانت منها طائفة طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)**[٤].

٣) أنعم الله تعالى على لوط عليه السلام بأربع نعم وهي:[٥]
   أ- إيتاؤه النبوة والحكم للفصل بين الخصوم.
   ب- تعليمه العلم النافع: وهو المعرفة بأمر الدين.
   ت- نجاته من العذاب الذي حل بالقرى التي أرسل إليها، لارتكاب أهلها خبائث الأعمال.
   ث- إدخاله في جنان الخلد التي هي متنزل الرحمات الإلهية لأنه من القوم الصالحين.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٧٨/٦).
(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٩٧).
(٣) المرجع السابق، (٩/ ٤٨٩٦).
(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، (١٧٨٧/٤)، ح رقم ٢٢٨٢، وفي شرح الحديث لمحمد فؤاد عبد الباقي: (أجادب) هي الأرض التي لا تنبت كلأ وقال الخطابي هي الأرض التي تمسك الماء فلا يسرع فيه النضوب، و(قيعان) جمع القاع وهو الأرض المستوية وقيل الملساء وقيل التي لا نبات فيها.
(٥) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (٩٣/١٧).

٤) العلم شرف عظيم وطريق للهداية والنجاة في الدارين، قال ابن تيمية في الفتاوى في مسألة المفاضلة بين العابد والعالم: "لا ريب أن الذي أوتي العلم والإيمان أرفع درجة من الذين أوتوا الإيمان فقط كما دل على ذلك الكتاب والسنة والعلم الممدوح الذي دل عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورثته الأنبياء، كما قال النبي ﷺ: **(إن العلماء ورثة الأنبياء؛ إن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ)**"[(١)].

"وهذا العلم ثلاثة أقسام:

أ- علم بالله ﷻ وأسمائه وصفاته وما يتبع ذلك وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص وآية الكرسي ونحوهما.

ب- العلم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية وما يكون من الأمور المستقبلة وما هو كائن الأمور الحاضرة وفي مثل هذا أنزل الله آيات القصص والوعد والوعيد وصفة الجنة والنار ونحو ذلك.

ت- والعلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها وأقوال الجوارح وأعمالها وهذا العلم يندرج فيه العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة وهذا العلم يندرج فيه ما وجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال الظاهرة" [(٢)].

٥) الخبائث والمعاصي تؤدي بالإنسان إلى الفسوق وإلى الخروج عن طاعة الله، وإذا كثرت في الأمة هذه الأمور القبيحة جاء الغضب الرباني من حيث لا ندري وكفى بقصص الغابرين عبرة وعظة لنا، قال تعالى: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا**﴾ [الطلاق: ٨].

٦) يجب على الإنسان المؤمن أن يحرص على طاعة الله ورسوله في كل أعماله وأقواله وحركاته وسكناته، لأن طاعة الله والرسول توجب الجنة التي هي رحمة الله لعباده المؤمنين الذين آمنوا به وبرسله وأنبيائه، فكان حقًا على الله أن يجزيهم خير الجزاء وأن يدخلهم في رحمته، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [النساء: ١٣].

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (٨١/١)، ح رقم ٢٢٣. قال الألباني حديث صحيح.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣٩٦،٣٩٧/١١).

المطلب الخامس: اللجوء إلى الله ﷻ بالدعاء والصبر عند البلاء:

قال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦ – ٧٧].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**الْكَرْبِ الْعَظِيمِ**﴾: "وهو الطوفان أو أذية قومه، وأصل الكرب الغم الشديد وكأنه على ما قيل من كرب الأرض وهو قلبها بالحفر إذ الغم يثير النفس إثارة ذلك" (١).

٢) ﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ**﴾: "فيه وجهان: أحدهما: نصرناه عليهم بإجابة دعائه فيهم. الثاني: معناه خلصناه منهم بسلامته دونهم" (٢).

٣) ﴿**قَوْمَ سَوْءٍ**﴾: "أهل قبح" (٣).

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

"بعد بيان قصة إبراهيم أبي الأنبياء ولوط قريبه عليهما السلام، ذكر الله تعالى قصة نوح أبي البشر الثاني لأن جميع الباقين بعد الطوفان من ذريته عليه السلام، وكل من إبراهيم ونوح من الرسل أولي العزم" (٤).

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

خطاب للنبي محمد ﷺ لتسليته بقصص من سبقه من الأنبياء والرسل، وهذه قصة نبي آخر وهو نوح عليه السلام الأب الثاني للبشر، اذكره يا محمد إذ نادى من قبل إبراهيم ولوط عليهما السلام، نادى داعيًا على قومه فقال: ﴿**رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّارًا**﴾ [نوح: ٢٦].

فدعا ربه أني مغلوب فانتصر، ولم يدع نوح على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن دعاهم بالحسنى طوال أعوام كثيرة، ولكنهم أبوا إلا العناد والكفر.

فاستجاب الله دعاءه وأنزل بهم العذاب، وأغرقهم بالماء الذي هو مصدر الحياة، فكان عندهم مصدر الفناء، ونَجَّا الله نوحًا والمؤمنين معه من الغرق والكرب الشديد، ونصره على القوم الكافرين المكذبين الذين كذبوا بآياتنا، وذلك جزاء الظالمين، فهل لكم يا كفار مكة أن تعتبروا وتتعظوا بمن سبقكم من قوم لوط ونوح وما حل بهم، وكيف كان النصر للمؤمنين، والعذاب الشديد للكافرين؟(٥)

---

(١) روح المعاني، الآلوسي، (٩/٧٠).

(٢) النكت والعيون، الماوردي، (٣/ ٤٥٦). وانظر: تفسير المراغي، أحمد المراغي، (١٧/٥٥).

(٣) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ص ٣٢٨).

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، (١٧/٩٤).

(٥) التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، (٢/٥٤٤)، بتصرف.

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**﴾ "الاستجابة شدة الإجابة؛ لأن السين والتاء للطلب، أي أن الطلب طلب الإجابة وأرادها له؛ ولذا كانت التعدية بـ (اللام) مع أن (أجاب) تتعدى بنفسها، ولكن كانت (اللام) لشدة الإجابة؛ لأنها بطلب الله ﷻ، وتشدده في الطلب لأجل نوح عليه السلام، وأنه إذ استجاب له سبحانه ونجاه وأهله من الكرب العظيم" (١).

وقال الشعراوي رحمه الله: "استجاب الله دُعَاء ونداء نوح ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**﴾ [الأنبياء: ٧٦] وفي موضع آخر: ﴿**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ**﴾ [الصافات: ٧٥] فوصف الحق سبحانه إجابته لنوح بـ (نِعْم) الدالة على المدح، فهل يعني ذلك أن هناك مَنْ يكون بِئْس المجيب؟ قالوا: نعم إذا سألته شيئًا فأجابك إليه وهو شَرٌّ لك، أمَّا الحق سبحانه فهو نِعْم المجيب؛ لأنه لا يُجيبك إلا بما هو صالح ونافع لك، فإنْ كان في دعائك شَرٌّ ردَّه لعلمه سبحانه أنه لن ينفعك" (٢).

- في قوله تعالى: ﴿**وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا**﴾ "عُدِّيَ نصرناه بحرف (من) لتضمينه معنى المنع والحماية، كما في قوله تعالى: ﴿.. **إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٦٥]، وهو أبلغ من تعديته بـ (على) لأنه يدل على نصر قوي تحصل به المنعة والحماية فلا يناله العدو بشيء، وأما نصره عليه فلا يدل إلا على المدافعة والمعونة" (٣).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) "جعل الله ﷻ في قصة نوح عليه السلام عظة بالغة ودرسًا مهمًا للدعاة إلى الله في الصبر، وإذا علمنا أن الكرب هو أقصى الغم، علمنا ما كان يعانيه نوح عليه السلام من الشدة والبلاء" (٤).

٢) إن في عذاب الاستئصال للأمة أو القوم جميعًا عبرة وعظة بالغة، فهؤلاء قوم نوح الذين عكفوا على عبادة الأوثان، وأصروا على الكفر، وتمردوا على دعوة نوح ورسالته، قد أهلكهم الله عامة بالطوفان الذي عم السهول والجبال، والسبب هو تكذيبهم لنبيهم وإيذاؤهم له، بالرغم من صبره الطويل عليهم.

وكان النصر حليف نوح عليه السلام، فنجاه الله والمؤمنين الذين آمنوا به، وعددهم قليل، فلله الأمر والحكمة، ولا يظلم الله أحدًا من عباده، فلو علم الله فيهم خيرًا لما عذبهم وأهلكهم، وسيلقون في الآخرة عذابًا شديدًا، وقد أجمع المحققون- كما ذكر الرازي- على أن دعاء نوح على قومه كان بأمر الله تعالى، وإلا كان ذلك مبالغة في الإضرار، وسببًا لنقصان حال الأنبياء(٥).

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٨٩٨).

(٢) تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، (٩٥٩٧/١٥).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١١٣/١٧).

(٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٥٣/٥).

(٥) التفسير المنير، الزحيلي، (٩٥،٩٦/١٧)، بتصرف.

المبحث الثالث:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٧٨-٩١)

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** بيان فضل الله ونعمه التي لا تحصى على أنبيائه وأوليائه.
- **المطلب الثاني:** الشكوى إلى الله مع الرضا لا تقدح في الصبر.
- **المطلب الثالث:** الصبر والصلاح والصدق في الدعاء صفات العابدين.
- **المطلب الرابع:** التأدب مع الله ﷻ في الدعاء والمسارعة في الخيرات.
- **المطلب الخامس:** تنزيه مريم عليها السلام من افتراءات اليهود.

المطلب الأول: **بيان فضل الله ونعمه التي لا تحصى على أنبيائه وأوليائه**:

قال تعالى:﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ٨١ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾ [الأنبياء: ٧٨ – ٨٢].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**الْحَرْثِ**﴾: "كان ذلك كرمًا انثنت عناقيده، وقيل زرعًا" [١].

٢) ﴿**إِذْ نَفَشَتْ**﴾ "قال ابن قتيبة: أي: رعت ليلًا. يقال: نفشت الغنمُ بالليل، وهي إبل نَفَشٌ ونُفَّاشٌ ونِفَاشٌ، والواحد: نَافِشٌ، وسرحت وسربت بالنهار، قال قتادة: النفَش بالليل، والهَمَل بالنهار، وقال ابن السكِّيت[٢]: النفش: أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راعٍ" [٣].

٣) ﴿**فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ**﴾: "أي علّمناها وألهمناها يعني القضيّة سُلَيْمانَ دون داود" [٤].

٤) ﴿**يُسَبِّحْنَ**﴾ "قال قتادة: أي يصلّين معه إذا صلّى" [٥].

٥) ﴿**صَنْعَةَ لَبُوسٍ**﴾: صناعة الدروع الحربية التي تقي جسم المقاتل[٦].

٦) ﴿**لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ**﴾ "لتكون لباسًا يمنعكم من شدة بأس بعضكم لبعض" [٧].

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، (٢٩/٣).

(٢) ابن السكِّيت: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، المعروف بابن السكيت، صاحب كتاب " إصلاح المنطق " وغيره، مات حين أمر المتوكل بقتله فقال: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا ذلك به فمات، وذلك في ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٦/٤٠١،٣٩٥).

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٢٠٢/٣).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، (٦/ ٢٨٥).

(٥) المرجع السابق، (٢٨٦/٦).

(٦) انظر: تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ط: ١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، (١٥٥/٣).

(٧) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، (ص ٤٨٢).

٧) ﴿**يَغُوصُونَ**﴾ أي: "يدخلون تحت الماء، فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ﴿**وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ**﴾ أي: دون الغوص، وهو ما ذكره تعالى في قوله: ﴿**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ**﴾ [سبأ: ١٣]" (١).

٨) ﴿**وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ**﴾: "أي لأعمالهم، وقال الفراء: حافظين لهم من أن يفسدوا أعمالهم، أو يهيجوا أحدا من بني آدم في زمان سليمان، وقيل: حافظين من أن يهربوا أو يمتنعوا، أو حفظناهم من أن يخرجوا عن أمره" (٢).

ثانيًا: القراءات:

"في قوله: ﴿**لِتُحْصِنَكُمْ**﴾ قرأ الجمهور (**لِيُحْصِنَكُمْ**) بالمثناة التحتية على ظاهر إضمار لفظ لبوس، وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر- بالمثناة الفوقية- على تأويل معنى لبوس بالدرع، وهي مؤنثة، وقرأ أبو بكر عن عاصم، ورويس عن يعقوب (**لنحصنكم**) بالنون" (٣).

ثالثًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

هذه القصة كسابقاتها أيضًا فيها تعداد النعم العظمى على أنبياء ورسل الله عليهم السلام، فبعدما ذكر ﷻ موسى وهارون وإبراهيم ولوطًا ونوحًا عليهم السلام، أردفهم بذكر داود وسليمان عليهما السلام، فذكر فيها أولًا النعمة المشتركة بينهما وهي تزيينهما بالعلم والفهم كما قال تعالى: ﴿**وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ مما يدل على شرف العلم، لتقديم ذكره على سائر النعم الأخرى، ثم ذكر ما اختص به كل منهما من النعم(٤).

رابعًا: المعنى الإجمالي:

"بعد ذكر ما أنعم الله به على نوح ﷺ من النعم الجليلة قفّى على ذلك بذكر الإحسان العظيم الذي آتاه داود وسليمان عليهما السلام وهو قسمان:

الأول: نعم مشتركة بينهما وبين غيرهما من النبيين وهى العلم والفهم.

الثاني: نعم خاصة بواحد دون الآخر، فأنعم على داود ﷺ بتسخير الجبال والطير للتسبيح معه، وتعليم صنعة الدروع للوقاية من أذى الحرب، وأنعم على سليمان ﷺ بتسخير الريح العاصفة التي تجرى بأمره، وبتسخير الشياطين تغوص في البحار، لتخرج له اللؤلؤ والمرجان، وتعمل له أعمالًا أخرى غير ذلك" (٥).

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (١٣/ ٥٦٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٢٢/١١).

(٣) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (٢/ ٣٢٤). وانظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٢٢/١٧).

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، (٩٨/١٧)، بتصرف.

(٥) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٥٦،٥٧/١٧).

خامسًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَكُلًّا آتَيْنا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ "تذييل للاحتراس لدفع توهم أن حكم داوود كان خطأ أو جورًا وإنما كان حكم سليمان أصوب" [١].
- في قوله تعالى: ﴿**وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ "تقديم الجبال على الطير، لأن تسبيحها أعجب وأدل على القدرة، وأدخل في الإعجاز، لأنها جماد، والتذييل بقوله (وَكُنَّا فاعِلِينَ) إشارة إلى أنه ليس ببدع في جانب القدرة الإلهية، وإن كان عند المخاطبين عجيبًا" [٢].
- ﴿**فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ "(الفاء) لترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي بسبب تلك النعم التي أسداها لكم من هذا التدبر المحكم بأن هيأ لكم الدواء عند الداء، والدفع عند احتمال الاعتداء، والاستفهام للحض على الشكر؛ ولذا قال علماء البلاغة إن هذا التعبير أدل تعبير على الطلب" [٣].
- في قوله تعالى: ﴿**وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً**﴾ قال الزمخشري: "فإن قلت: وصفت هذه الريح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى في قوله تعالى: ﴿**فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ**﴾ [ص: ٣٦]، فما التوفيق بينهما؟ قلت: كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم.

فإذا مرت بكرسيّه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال: ﴿**غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ**﴾ [سبأ: ١٢]، فكان جمعها بين الأمرين، أن تكون رخاء في نفسها، وعاصفة في عملها، مع طاعتها لسليمان، وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم، آية إلى آية، ومعجزة إلى معجزة" [٤].

سادسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) يجب على الجهات المسئولة في الدولة أن تنصب القضاة للحكم بين الناس في الخصومات وغيرها من المعاملات، لكي ينعم المجتمع بالعدل ويأخذ كل ذي حق حقه[٥].

٢) دل قوله تعالى: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ**﴾ على أن حكم سليمان كان بإلهام من الله، ويومئ إلى أنه كان الحق، وحكم داود لم يكن مناقضًا للحق، فقد بذل فيه سبيل الاجتهاد، وكان مقاربًا، والأحكام تبنى في الدنيا على المقاربة[٦].

وعن عمرو بن العاص ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر)**[٧].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١١٩/١٧).

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، (٢١١/٧).

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٩٠٢/٩).

(٤) الكشاف، الزمخشري، (١٣٠/٣).

(٥) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٣٣/٣).

(٦) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (١٠٣/١٧).

(٧) أخرجه مسلم، كتاب الأقضية، باب أجر الحاكم إذا اجتهد، (١٣٤٢/٣)، ح رقم ١٧١٦.

وقال الحسن البصري: "لولا هذه الآية لرأيت القضاة قد هلكوا، ولكنه تعالى أثنى على سليمان بصوابه، وعذر داود باجتهاده" [١].

وأما حكم مسألة رعي الزرع ليلًا في شرعنا، فقال الجصاص: "ولا خلاف بين أهل العلم أن حكم داود وسليمان بما حكما به من ذلك منسوخ وذلك لأن داود عليه السلام حكم بدفع الغنم إلى صاحب الحرث، وحكم سليمان له بأولادها وأصوافها، ولا خلاف بين المسلمين أن من نفشت غنمه في حرث رجل أنه لا يجب عليه تسليم الغنم، ولا تسليم أولادها وألبانها وأصوافها إليه، فثبت أن الحكمين جميعًا منسوخان بشريعة نبينا ﷺ" [٢].

ورأي الجمهور: وهو ضمان ما تتلفه البهائم ليلًا، عملًا بما قضى به النبي ﷺ في ناقة البراء ﷺ، وهو أن حفظ البهائم بالليل على أرباب المواشي، وهذا حديث خاص، وأما حديث النبي ﷺ أنه قال: **(العجماء جرحها جبار..)**[٣].

أي أن فعل البهائم هدر، فهو عام، ولا خلاف أن العام يقضي عليه الخاص، أي أنه يقدم الخاص على العام، ولأنه لا إشكال في أن من أتلف شيئًا فعليه الضمان.

قال ابن العربي: "من أراد أن يتخذ ما ينتفع به مما لا يضر بغيره مكّن منه، مثل النحل والحمام والإوز والدجاج، وذلك كالماشية، وأما انتفاعه بما يتخذه بإضراره بأحد، فلا سبيل إليه" [٤].

٣) "اختلف العلماء في جواز الاجتهاد على الأنبياء، فمنعه قوم، وجوزه المحققون الأكثرون لأنه ليس فيه استحالة عقلية لأنه دليل شرعي، فلا مانع أن يستدل به الأنبياء، والله تعالى قال: (فَاعْتَبِرُوا) [الحشر: ٢]، وهو أمر للكل بالاعتبار، وذلك يشمل الرسول ﷺ، ولأنه إذا غلب على ظنه أن الحكم في الأصل المقيس عليه معلل بمعنى، ثم وجد ذلك المعنى في صورة أخرى، فلا بد وأن يغلب على ظنه أن الفرع كالأصل في الحكم، ثم إنه لو جاز الاجتهاد للعلماء وهو أرفع درجات العلم، لثبت لأحد من أمة النبي ﷺ من الفضيلة ما لا يثبت له" [٥].

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، (١٠٣/١٧).

(٢) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ، (٥٤/٥).

(٣) جزء من حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب المعدن جبار والبئر جبار، (١٢/٩)، ح رقم ٦٩١٢. وأخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب جرح العجماء، والمعدن، والبئر جبار، (٣/ ١٣٣٤)، ح رقم ١٧١٠. وشرح محمد عبد الباقي للحديث: العجماء هي كل الحيوان سوى الآدمي وسميت البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم. والجبار الهدر.

(٤) أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، (٢٧٠/٣).

(٥) التفسير المنير، الزحيلي، (١٠٥/١٧).

٤) إظهار فضل التسبيح، من خلال ذكر تسبيح الجبال مع داوود عليه السلام، قال تعالى: ﴿**يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ**﴾ [سبأ: ١٠]، وتسبيح الجبال والطير يدل على قدرة الله تعالى، وعلى تنزهه عما لا يجوز[١].

٥) وجوب صنع آلة الحرب وإعدادها للجهاد في سبيل الله، فقد كان داود عليه السلام أول من اتخذ الدروع وصنعها، وتعلمها الناس منه، وإنما كانت صفائح، فهو أول من سردها وحلقها، فأصبحت النعمة عليه نعمة على جميع المحاربين على الدوام أبد الدهر، لحماية الناس وحراستهم من السلاح في أثناء القتال، فلزمهم شكر الله ﷻ على النعمة.

وذلك يقتضي الشكر، لذا قال تعالى: ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ أي على تيسير نعمة الدروع لكم، وأن تطيعوا رسول الله فيما أمر به، والمراد: اشكروا الله على ما يسر عليكم من هذه الصنعة[٢].

٦) "جواز اتخاذ الصنائع والأسباب، فالسبب سنة الله في خلقه، وهي شهادة للعمال وأهل الحرف والصنائع بأن العمل شرف، واتخاذ الحرفة كرامة، وقد أخبر الله ﷻ عن داود عليه السلام أنه كان يصنع الدروع، وكان أيضًا يصنع الخوص، وأخبر نبينا ﷺ عن داود عليه السلام أنه كان يأكل من عمل يده، وذلك أفضل الكسب، وكان آدم حراثًا، وكان نوح يصنع السفن وكان نجارًا، وكان إدريس ولقمان خياطين، وطالوت دباغًا، أو سقّاء، وكل ذلك يدل على أن العمل كان منهج الأنبياء والصالحين.

والإسلام دين يحب العمل ويوجبه، ويكره البطالة والكسل، ويحارب العاطلين والخاملين إذا كانوا قادرين على العمل، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(لأن يأخذ أحدكم حبلة، ثم يغدو إلى الجبل، فيحتطب، فيبيع، فيأكل، ويتصدق، خير له من أن يسأل الناس)**[٣].

وبالصنعة يكف الإنسان نفسه عن الناس، ويدفع بها الضرر والبأس عن نفسه" [٤].

٧) "بشرية الرسل ثابتة، وحاجتهم إلى معونة الله تبارك وتعالى وهدايته ظاهرة، ويتجلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ**﴾ وقوله: ﴿**وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ**﴾ وقوله: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ**﴾ ونظائرها، وفيه رد على المشركين في قولهم ما حكاه الله تعالى عنهم في أول السورة: ﴿**هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾ [الأنبياء: ٣]" [٥].

٨) لا يجوز جعل الخلافات في المسائل الفرعية مثارًا للفتنة والفرقة بين الناس؛ لأن ذلك يخالف منهج القرآن الذي جاء ميسرًا وفيه الأحكام الشاملة لكل احتياجات الناس في دينهم ودنياهم[٦].

---

(١) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٣٣/٣).

(٢) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (١٠٦/١٧). وانظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: {لا يسألون الناس إلحافا} [البقرة: ٢٧٣]، (١٢٥/٢)، ح رقم١٤٨٠.

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، (١٠٦،١٠٧/١٧).

(٥) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٥٥،٥٦/٥).

(٦) انظر: نحو تفسير موضوعي، محمد الغزالي، الناشر: دار الشروق، القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٢م، (ص ٢٥٦).

المطلب الثاني: الشكوى إلى الله مع الرضا لا تقدح في الصبر:

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣ – ٨٤].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**نَادَى**﴾ النداء: الصوت، والمراد الدعاء[١].

٢) ﴿**الضُّرُّ**﴾: "كل ما كان من سوء حال أو فقر أو شدة في بدن فهو ضر" [٢].

٣) ﴿**مَسَّنِيَ الضُّرُّ**﴾ "أي نالني البلاء والكرب والشدة" [٣].

٤) ﴿**فَكَشَفْنَا**﴾ "الكشف: رفعُ الشيء، وكشف عنه الضُّرَّ: إذا أزاله" [٤].

٥) ﴿**وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ**﴾ "قال الحسن وقتادة: أحيا الله أهله بأعيانهم، وزاده إليهم مثلهم" [٥].

٦) ﴿**وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾: "أي تذكيرًا دائمًا للعابدين، بأن الله معهم دائمًا وإنه معهم لَا يتركهم أبدًا، يثيبهم في البلاء، ويرفع عنهم" [٦].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

"بعد أن ذكر الله تعالى قصص خمسة من الأنبياء: إبراهيم، ولوط، ونوح، وداود، وسليمان، وما تعرضوا له من الابتلاء في سبيل الدعوة إلى الله، ذكر هنا قصة أيوب وابتلاءه له بأنواع المحن في نفسه وأهله، والكل قد صبروا على المحن والبلايا، وشكروا الله على ما أنعم عليهم من رفع البلاء، والنصر على أقوامهم" [٧].

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، (٦/ ٢٥٠٥).

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٥٣٨/١).

(٣) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٤٩/٢).

(٤) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، (٩/ ٥٨٤٢).

(٥) موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، ط : ١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، (٣٩٣/٣).

(٦) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٩٠٧).

(٧) التفسير المنير، الزحيلي، (١٠٩/١٧).

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

نادى أيوب عليه السلام ربه نداءً في غاية الأدب ولم يعترض ولم يتضجر من حاله فقال: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾، وعن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: **(أن نبي الله أيوب عليه السلام ابتلي فلبث في بلائه ثماني عشرة سنة ... فوثب ليصلي فلم يقدر على النهوض فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾)**[1] إخبارًا عن حاله، لا شكوى لبلائه.

ولقد رحم الله عز وجل استعطاف أيوب عليه السلام، فكشف بلاءه وأزال ضره، وآتاه ما سلب منه مضاعفًا، مالًا أكثر من ماله، وولدًا ضعف ولده، كما قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [ص: ٤١-٤٤]، فجعل الله أيوب عليه السلام عبرة للعابدين الذين ينتفعون بالعبر[2].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ**﴾ "المس: الإصابة الخفيفة، والتعبير به حكاية لما سلكه أيوب في دعائه من الأدب مع الله إذ جعل ما حل به من الضر كالمس الخفيف" [3].
- قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ**﴾ "السين والتاء للمبالغة في الإجابة، أي استجبنا دعوته العرضية بإثر كلامه وكشفنا ما به من ضر، إشارة إلى سرعة كشف الضر عنه، والتعقيب في كل شيء بحسبه، وهو ما تقتضيه العادة في البرء وحصول الرزق وولادة الأولاد.

والكشف: مستعمل في الإزالة السريعة، فشبهت إزالة الأمراض والأضرار المتمكنة التي يعتاد أنها لا تزول إلا بطول بإزالة الغطاء عن الشيء في السرعة" [4].
- قوله تعالى: ﴿**أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ "جناس الاشتقاق" [5].
- قوله تعالى: ﴿**وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾ خص الله تعالى العابدين بالذكر لأنهم المنتفعون من تجارب غيرهم في الصبر والاحتساب[6].

---

(١) الأحاديث المختارة، ضياء الدين المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: أ.د عبد الملك بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: ٣، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، (١٨٤/٧)، ح رقم ٢٦١٧، وقال المحقق: إسناده صحيح. وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، ط: ١، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، (٢٩٩/٦)، ح رقم ٣٦١٧، وقال المحقق: رجاله رجال الصحيح خلا حميد بن الربيع الخزاز.

(٢) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٥٧/٥)، بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٢٦/١٧).

(٤) المرجع السابق، (١٢٧/١٧).

(٥) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٥٤/٢). وانظر: التفسير المنير، الزحيلي، (١٠٨/١٧).

(٦) انظر: التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، الرازي، (١٧٦/٢٢).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) ذكر الإمام القرطبي سبعة عشر قولًا في بيان الضر الذي مس أيوب عليه السلام، والحق في ذلك الاقتصار على ظاهر النص القرآني، وهو أنه أصيب بضرر في نفسه وبدنه وأهله وماله، فصبر، ثم عافاه الله، وأعطاه خيرًا مما فقد، وأثنى عليه بالصبر: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [ص : ٤٤].

والثابت المؤكد أن مرضه لم يكن منفرًا، والهدف أن قصته عبرة، وتعريف أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الواجب على الإنسان أن يصبر على ما يناله من البلاء فيها وألا يتضجر ويتسخط من قضاء الله وقدره، ويجتهد في القيام بحق الله ﷻ[١].

٢) الاقتداء بالأنبياء والرسل واجب، فهذا أيوب عليه السلام يشكو إلى الله ما أصابه من الضر والبلاء، فيتلطف مع ربه بالدعاء، ويشكو إليه حاله مع إظهار الرضى والصبر، لذا وجب علينا كمسلمين أن نصبر ونحتسب الأجر والثواب عند الله إذا ما وقع بنا البلاء والوباء؛ لأن أمر المؤمن كله خير كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ حينما قال: **(عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له)**[٢].

٣) ألطف أيوب عليه السلام في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب، فإن قيل: أليس أن الشكوى تقدح في كونه صابرًا؟

والجواب: قال سفيان بن عيينة[٣] رحمه الله: من شكا إلى الله تعالى فإنه لا يعد ذلك جزعًا إذا كان في شكواه راضيًا بقضاء الله تعالى إذ ليس من شرط الصبر استحلاء البلاء، ألم تسمع قول يعقوب عليه السلام: ﴿**إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾ [يوسف: ٨٦] أما قوله: ﴿**وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾، فالدليل على أنه سبحانه أرحم الراحمين أمور:

أحدها: أن كل من يرحم غيره يرحمه لمصلحة دنيوية أو طلبًا للثواب في الآخرة، والله ﷻ غنيٌ عن العباد ليس بحاجة إليهم فهو الذي يعطيهم ولا ينتظر منهم إلا الشكر.

وثانيها: رحمة العباد مسبوقة وملحوقة برحمة الله فوجب أن يكون الله تعالى هو أرحم الراحمين.

وثالثها: أن ضره لا ينافي كونه نافعًا، بل هو سبحانه الضار والنافع وإضراره ليس لدفع مشقة وإنما يكون لعبرة وعظة، ونفعه ليس لجلب منفعة تعود عليه، بل رحمة منه وتفضلًا، وهو لا يسأل عن ما يفعل[٤].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٢٣/١١_٣٢٥). وانظر: التفسير المنير، الزحيلي، (١١١،١١٢/١٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، (٤/ ٢٢٩٥)، ح رقم ٢٩٩٩.

(٣) سفيان بن عيينة: أبو محمد بن سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، وأصله من الكوفة، ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة. وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة، وقيل أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكة ودفن بالحجون، رحمه الله تعالى. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، (٣٩١،٣٩٣/٢).

(٤) التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، الرازي، (١٧٥،١٧٦/٢٢)، بتصرف واختصار.

المطلب الثالث: الصبر والصلاح والصدق في الدعاء صفات العابدين:

قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٥ – ٨٨].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**وَذَا الْكِفْلِ**﴾ "قيل: هو إلياس، وقيل: زكريا، وقيل: يوشع بن نون، وكأنه سمى بذلك لأنه ذو الحظ من الله والمجدود[١] على الحقيقة" [٢].

٢) ﴿**النُّونِ**﴾: "الحُوْتُ، ويُجمع على نِيْنان، كحُوْت وحِيْتان" [٣].
"وذا النون: أي صاحب الحوت وهو يونس بن متى عليه السلام" [٤].

٣) ﴿**مُغَاضِبًا**﴾ "قيل: مغاضبًا لربه، وقيل: مغاضبًا لقومه، قال ابن سيده: والأول أصح لأن العقوبة لم تحل به إلا لمغاضبته ربه؛ وقيل: ذهب مراغمًا لقومه" [٥].

٤) ﴿**لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ**﴾ "أي لن نضيق عليه، فهو من معنى قوله قدر عليه رزقه، وقيل: هو من القدر والقضاء: أي ظنّ أن لن نضيق عليه بعقوبة" [٦].

٥) ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ**﴾ "أنجاه: أي سلّمه من الشَّرِّ" [٧].

٦) ﴿**الْغَمِّ**﴾: الكرب والبلاء، والمراد ابتلاءه بالتقام الحوت له[٨].

---

(١) المجدود: في الصحاح "الجد" الحظ والبخت، تقول: جددت يا فلان، أي: صرت ذا جد، فأنت جديد حظيظ، ومجدود محظوظ. راجع: حاشية تفسير الكشاف، (١٣١/٣).

(٢) الكشاف، الزمخشري، (١٣١/٣).

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، (١٩٠/٨).

(٤) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٦٣/١٧).

(٥) لسان العرب، ابن منظور، (٦٤٩/١).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٢٨/٢)، ومدراك التأويل وحقائق التنزيل، النسفي، (٤١٧/٢).

(٧) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، (٦٥٠٦،/١٠).

(٨) انظر: تهذيب اللغة، أبو منصور الهروي، (٢٨/٨).

ثانيًا: القراءات:

- في قوله تعالى: "﴿**نَقْدِرَ**﴾ قرأ يعقوب[1] بالياء مضمومة وفتح الدال(يُقدَر) بنيًا للمفعول، وقرأ الباقون بالنون مفتوحة وكسر الدال بنيًا للفاعل" [2].
- وقوله تعالى: "﴿**نُنْجِي**﴾ قرأ العامة بضم النون الأولى وسكون الثانية من (أنجي، ينجي)، وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم (نُجِّي) بتشديد الجيم وسكون الياء وفيها أوجه:

أحسنها: أن يكون الأصل (نَنْجِي) بضم الأولى وفتح الثانية وتشديد الجيم فاستثقل توالي مثلين، فحذفت الثانية كما حذفت في قوله (مَا نُنَزِّلُ المَلاَئِكَةَ) في قراءة من قرأه كما تقدم، وكما حذفت التاء الثانية في قوله: (تَذَكَّرَونَ) و (تَظَاهَرُونَ) وبابه" [3].

ثالثًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

لما ذكر تعالى جملةً من الأنبياء إبراهيم، نوح، لوط، داود، سليمان عليهم السلام وما نال كثيرًا منهم من الابتلاء، وذكر قصة أيوب وابتلاء الله له بأنواع المحن، وأعقبها بذكر صبر كل من إسماعيل وادريس وذا الكفل، ثم أعقبها بذكر محنة يونس وكلٌّ ذلك بقصد التسلية للرسول ﷺ ليتأسى بهم[4].

رابعًا: المعنى الإجمالي:

إسماعيل وإدريس وذو الكفل عليهم السلام، كل منهم كان كأيوب عليه السلام من الصابرين المحتسبين، الذين صبروا على البلاء والشدائد، وعلى طاعة الله وعن معاصيه، لذا استحق أولئك الأنبياء عليهم السلام إكرام الله، وجعلهم من أهل الرحمة بالنبوة، والظفر بجنان

أما إسماعيل عليه السلام فأبرز ما جاء في صبره تسليمه لأبيه الخليل عليه السلام في قصة الذبح، كما قال تعالى: ﴿... **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٢].

وأما إدريس عليه السلام فلم يقف أحد على شيء صحيح في صبره غير أننا نعلم أنه كان من الصابرين على نحو من أنحاء الصبر الذي يستحق التسجيل في كتاب الله الخالد[5]، وقد مدحه الله بقوله: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ [مريم: ٥٦].

---

(١) يعقوب بن إسحاق بن عبد الله بن أبى إسحاق الحضرميّ، من أهل بيت العلم بالقرآن والعربيّة وكلام العرب والرّواية الكثيرة للحروف والفقه، وكان من أقرأ القرّاء، وتوفّى سنة خمس ومائتين. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، (٥١/٤).

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (٢/ ٣٢٤).

(٣) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (٥٧٨،٥٨٤/١٣).

(٤) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٤٨/٢).

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٣٩٣/٤)، بتصرف.

وأما ذو الكفل عليه السلام، الذي قيل بأن اسمه إلياس، فمن صبره ما ذكروا من أنه تكفل أن يقوم الليل ويصوم النهار، ولا يغضب في القضاء، فوفى بما تكفل به[١].

ثم في نفس السياق يسوق الله تعالى لنبيه محمد ﷺ قصة يونس بن متى ذي النون عليه السلام أي صاحب الحوت، حين بعثه الله إلى أهل قرية نينوى بأرض الموصل، فدعاهم إلى التوحيد، فأبوا، وعاندوه، وتمادوا في كفرهم، فخرج من بينهم غضبان، وتوعدهم بالعذاب بعد ثلاث ليال.

فلما تحقق القوم منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء، وتضرعوا إلى الله عز وجل، فرفع الله عنهم العذاب، كما جاء في آية أخرى: ﴿**فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنا عَنْهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَّعْناهُمْ إِلى حِينٍ**﴾ [يونس: ٩٨][٢].

وبعد خروجه وهو غضبان على قومه بدون استئذان ابتلاه الله بالتقام الحوت له، فأصبح في ظلمات ثلاث فدعا ربه فاستجيب له ونبذه الحوت من بطنه إلى العراء، وكذلك ينجي الله المؤمنين.

خامسًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: "﴿**إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ تعليل لإدخالهم في الرحمة، وتذييل للكلام يفيد أن تلك سنة الله مع جميع الصالحين" [٣].
- قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الْغَمِّ**﴾ قيل لماذا لم يقل (فنجيناه) كما قال في قصة أيوب عليه السلام (فَكَشَفْنا)، قيل لأن أيوب دعا بالخلاص من الضر، فالكشف المذكور يترتب على استجابته بحيث أن (الفاء) حرف يفيد الترتيب، ويونس عليه السلام لم يدع، فلم يوجد وجه الترتيب.

وأظهر الشهاب الخفاجي[٤] السر في الإتيان بالفاء مرة أخرى لمَّا ذكر أيوب، وبالواو عند ذكره يونس، فقال: إن الأول دعاء بكشف الضر وتلطف في السؤال، فلما أجمل في الاستجابة، وكان السؤال بطريق الإيماء، ناسب أن يؤتى بالفاء التفصيلية.

وأما هنا، فإنه لما هاجر من غير أمر، على خلاف معتاد الأنبياء، كان ذلك ذنبًا كما أشار إليه بقوله: (مِنَ الظَّالِمِينَ) فما أومأ إليه هو الدعاء بعدم مؤاخذته بما صدر منه من سيئات الأبرار، فالاستجابة عبارة عن قبول توبته: وليس ما بعده تفسيرًا له، بل زيادة إحسان، ولذا عطف بالواو [٥].

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، (٥١٧/١)، بتصرف. وانظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، (٣٨٨/١).

(٢) التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٦٠٧، ١٦١١، ١٦١٠)، بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٣٠/١٧).

(٤) الشِّهَاب الْخَفَاجي: أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري: قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة، نسبته إلى قبيلة خفاجة، ولد ونشأ بمصر، ورحل إلى بلاد الروم، وفي نهاية المطاف عاد إلى مصر وتوفي بها عام ١٠٦٩هـ. انظر: الأعلام، الزركلي، (١/ ٢٣٨).

(٥) محاسن التأويل، القاسمي، (٢١٨،٢١٩/٧)، بتصرف. وانظر: روح المعاني، الآلوسي، (٨١،٨٢/٩).

- في قوله تعالى: ﴿**فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ**﴾ إيجاز بالحذف بحيث حذف من القول ما أنبأ به سياق الكلام، فلم يذكر التقام الحوت له، ولكن أشير إلى ندائه في ظلمات جوف الحوت ودل على التقامه والشدة الشديدة التي كان فيها يونس، وأنه كان في ظلمات لَا يعرف لها نهاية ولا غاية[١].

سادسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) المراد من ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام التأسي والاقتداء بهم، فإنه لم يقصّ الله في قرآنه على الناس نبأ أحد من الأنبياء إلا وكان في ذلك الخير والفائدة، والعبرة والعظة، وضرب الأمثال العملية الواقعية للالتزام بأمر الله، والاستقامة في الدين والحياة.

والأنبياء الثلاثة: إسماعيل وإدريس وذو الكفل من الذين صبروا على أمر الله تعالى، والقيام بطاعته، واجتناب معاصيه، فكافأهم الله تعالى بنيل رضاه، ودخول جنته لأنهم قوم صالحون، كاملوا الصلاح والتقوى، بعيدون عن الفساد بمظاهره المختلفة[٢].

٢) "إن في اقتران الصبر والصلاح تنبيه على أهمية هاتين الصفتين في حياة العابدين، والدعاة والمصلحين" [٣].

٣) "الصبر: هو حبس النفس ومنعها، مما تميل بطبعها إليه، وهذا يشمل أنواع الصبر الثلاثة: الصبر على طاعة الله ﷻ والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يستحق العبد اسم الصبر التام، حتى يوفي هذه الثلاثة حقها.

فهؤلاء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، قد وصفهم الله بالصبر، فدل أنهم وفوها حقها، وقاموا بها كما ينبغي، ووصفهم أيضًا بالصلاح، وهو يشمل صلاح القلب، بمعرفة الله ومحبته، والإنابة إليه كل وقت، وصلاح اللسان، بأن يكون رطبًا من ذكر الله، وصلاح الجوارح، باشتغالها بطاعة الله وكفها عن المعاصي، فبصبرهم وصلاحهم، أدخلهم الله برحمته، وجعلهم مع إخوانهم من المرسلين، وأثابهم الثواب العاجل والآجل، ولو لم يكن من ثوابهم، إلا أن الله تعالى نوه بذكرهم في العالمين، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين، لكفى بذلك شرفًا وفضلًا" [٤].

٤) أحوال الأنبياء عجائب وغرائب ومعجزات خاصة يظهرها الله على أيديهم، لا تقاس عليها إطلاقًا أحوال البشر العاديين.

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٩٠٩)، بتصرف.

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، (١١٤/١٧)، بتصرف.

(٣) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٦٠/٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ٥٢٩).

وقصة يونس عليه السلام من هذه العجائب الفريدة، فقد ذهب يونس عليه السلام مغاضبًا من أجل الله، والمؤمن يغضب لله عز وجل إذا عصي، وكانت هذه المغاضبة صغيرة في رأي القرطبي، ولم يغضب على الله، ولكن غضب لله، إذ رفع العذاب عن القوم، بعدما كذبوا وكفروا به.

وقال القشيري[١]: "والأظهر أن هذه المغاضبة كانت بعد إرسال الله تعالى إياه – أي يونس– وبعد رفع العذاب عن القوم بعد ما أظلهم فإنه كره رفع العذاب عنهم.

وظن يونس عند ذهابه أن لا يضيق الله عليه بالحبس، أو ألا يقضي عليه بالعقوبة، من القدر الذي هو القضاء والحكم، وورد القدر بمعنى التضييق كما في الآيتين: ﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ**﴾ [الرعد: ٢٦] أي يضيق، وقوله: ﴿**وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ**﴾ [الطلاق : ٧].

وورد بمعنى التقدير وهو الحكم، وليس القدرة والاستطاعة، كما في قوله تعالى: ﴿**فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾ [القمر : ١٢].

ثم أدرك يونس عليه السلام وهو في ظلمات الليل والبحر وبطن الحوت أنه ظلم نفسه في الخروج من غير أن يؤذن له، أو في ترك الصبر على قومه، وليس في ذلك من الله عقوبة لأن الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا، وإنما كان ذلك تمحيصًا وتعليمًا، ثم دعا يونس ربه فاستجاب له ونجاه من شدته" [٢].

٥) الصدق والإخلاص في الدعاء وفي اللجوء إلى الله ﷻ سبب النجاة من كل كرب وشدة وأزمة تمر في حياة المسلم، وفي دعوة يونس عليه السلام إرشاد وتعليم[٣].

قال رسول الله ﷺ: **(دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها)**[٤].

٦) الاعتراف بالتقصير والرجوع بعد الزلل والندم عند الخطأ دأب الصالحين من البشر، فالعاقل الفطن الذي لا يترك للشيطان حظًا من نفسه، ويكون الأنبياء والصالحون قدوته وأسوته في حياته وتصرفاته.

---

(١) القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد، الإمام أبو القاسم القشيري النيسابوري الزاهد الصوفي، شيخ خراسان وأستاذ الجماعة، ومقدم الطائفة. توفي أبوه وهو طفل، فوقع إلى أبي القاسم اليماني الأديب، فقرأ الأدب والعربية عليه، توفي رحمه الله في عام ٤٦٥ هـ. انظر: تاريخ الإسلام ت بشار، الذهبي (٢١٧/١٠).

(٢) التفسير المنير، الزحيلي، (١١٨،١١٩/١٧)، بتصرف.

(٣) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٣/ ٤٣٩).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر، (١/ ٦٨٤)، ح رقم ١٨٦٢، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه "وقد روي عن الفريابي، عن سفيان الثوري، عن يونس بن أبي إسحاق كذلك" وهو وهم من الراوي "، ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد في مسنده (٦٥/٣) برقم ١٤٦٢.

المطلب الرابع: **التأدب مع الله ﷻ في الدعاء والمسارعة في الخيرات**:

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**لاَ تَذَرْنِي فَرْداً**﴾: "أي لا تتركني وحيدًا بغير ولد يرثني" [١].

٢) ﴿**وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**﴾ قال قتادة: "كانت عاقرًا؛ فجعلها الله ولودًا" [٢].

٣) ﴿**يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**﴾ "أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها" [٣].

٤) ﴿**وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا**﴾: "رغبًا في رحمتنا ورهباً من عذابنا" [٤].

٥) ﴿**خَاشِعِينَ**﴾: "خاضعين متواضعين" [٥].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

بعد بيان النعم الخاصة بكل نبي، أبان الله تعالى ما أنعم به على زكريا عليه السلام بمنحه الولد، في حال الكبر هو وزوجته، وبعد أن مسّه الضر بتفرده، فدعا ربه أن يرزقه الولد، وأحب أن يكون معه من يؤنسه ويقويه على أمر دينه ودنياه، ويقوم مقامه بعد موته.

وكان دعاؤه دعاء مخلص عارف بأن الله تعالى قادر على ذلك، وإن بلغ هو وزوجته سن اليأس من الولد، بحسب العادة [٦].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

كان زكريا عليه السلام قائمًا على هيكل العبادة في بني إسرائيل قبل مولد عيسى عليه السلام، ولا ينسى زكريا أن الله ﷻ هو وارث العقيدة ووارث المال، فنادى ربه وأثنى عليه بقوله: ﴿**وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ**﴾ إنما هو يريد من ذريته من يحسن الخلافة بعده في أهله ودينه وماله، لأن الخلق ستار القدرة في الأرض.

---

(١) أوضح التفاسير، محمد الخطيب، (ص ٣٩٧).

(٢) تفسير القرآن العزيز، ابن أبي زمنين، (١٥٩/٣).

(٣) تفسير يحيى بن سلام، (٣٣٩/١). وانظر: جامع البيان، الطبري (٣٨٨/١٦).

(٤) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ، (ص ٧٢٢).

(٥) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ص ٣٢٩).

(٦) التفسير المنير، الزحيلي، (١٢٢/١٧).

وكانت الاستجابة سريعة ومباشرة: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**﴾ وكانت عقيمًا لا تصلح للنسل، ويختصر السياق تفصيلات هذا كله ليصل مباشرة إلى استجابة الله للدعاء، لأن زكريا عليه السلام وزوجه كانوا يسارعون في أعمال الخير فسارع الله في استجابة الدعاء، وكانوا يدعون الله رغبة في الرضوان ورهبة للغضب، فقلوبهم وثيقة الصلة دائمة التطلع، وكانوا متواضعين لله لا متكبرين(١).

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- قوله تعالى: ﴿**وَأَنتَ خَيْرُ الوارثين**﴾ قال الألوسي: "فيه مدحٌ له تعالى بالبقاء، وإشارة إلى فناء من سواه من الأحياء، واستمطارٌ لسحائب لطفه عَزَّ وَجَلَّ" (٢).
- في قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى**﴾ "(الفاء) عاطفة تدل على الترتيب والتعقيب، أي أجبناه عقب سؤاله، والتعدية باللام تدل على كمال الاختصاص بالداعي والعناية به" (٣).
- في قوله تعالى: ﴿**وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**﴾ "إشارة إلى ما كان في امرأته من عقم، وأنها بهذا العقم لم تكن صالحة للحمل والولادة، فأصلحها الله سبحانه وتعالى، وجعل من المرأة العقيم امرأة ولودًا" (٤).
- في قوله تعالى: ﴿**كانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**﴾ "التعدية بـ (فِي) للإشارة إلى أنهم يسارعون يسابق بعضهم بعضًا في دائرة الخيرات لَا يخرجون عنها، فالخيرات أحاطت بهم إحاطة الدائرة" (٥).

"والمسارعة: مستعارة للحرص وصرف الهمة والجد للخيرات، أي لفعلها، تشبيهًا للمداومة والاهتمام بمسارعة السائر إلى المكان المقصود الجاد في مسالكه" (٦).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) استحباب سؤال الولد لغرض صالح لا من أجل الزينة واللهو به فقط، فالولد الصالح زينة في الدنيا ومنفعة بعد الموت، قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال ﷺ: **(إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، أو صدقة تجري له، أو ولد صالح يدعو له)**(٧).

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٩٥)، بتصرف.

(٢) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢/٢٥٠).

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٩١٠).

(٤) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (٩٤٨/٩).

(٥) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٩/ ٤٩١١).

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٣٦/١٧).

(٧) سنن الترمذي ت شاكر، أبواب الأحكام، باب في الوقف، (٣/ ٦٥٢)، ح رقم ١٣٧٦، وقال الألباني حديث صحيح. وأخرجه الدارمي في سننه، باب البلاغ عن رسول الله، (٤٦٢/١)، ح رقم ٥٧٨، قال المحقق حسين أسد: إسناده صحيح.

ويقرر الله تعالى أن الزوجة الصالحة من حسنة الدنيا[١]، وقد قال النبي ﷺ: **(الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة)**[٢].

وعن معقل بن يسار ﷺ، قال: **(جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب، إلا أنها لا تلد، أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فنهاه، فقال: تزوجوا الولود الودود، فإني مكاثر بكم)**[٣].

فكل إنسان يتمنى أن يكون له وريث بعد مماته يدعوا له بالرحمة والمغفرة ويهتم بما تركه له من الأهل والمال.

٢) يشرع في الدعاء أن يذكر الداعي صفة من صفات الله عز وجل ويثني بها عليه تذللًا له وأدبًا معه، وهذا طبع الأنبياء وخلق من أخلاقهم الفاضلة عند اللجوء إلى الله بالدعاء، فأيوب عندما نادى ربه أثنى عليه بقوله: ﴿**وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ وكذلك زكريا أثنى عليه بقوله: ﴿**وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ**﴾[٤].

٣) إن الأنبياء جميعًا كانوا دائمًا يتسابقون مسرعين في عمل الخيرات، وهذا تعليل لإكرام الله لهم، وإجابته طلبهم، فاعتبروا أيها الناس، وقد كانوا يدعون الله رغبًا في رضوانه والفوز بالجنة، ورهبًا من عذاب الله وغضبه، ويتضرعون في الرخاء والشدة، وفي المنشط والمكره، وكانوا متواضعين لله عز وجل وللناس[٥].

وفي هذه الآية الكريمة دعوة للأمة المسلمة في كل زمان ومكان وحدب وصوب، إلى المبادرة والمسابقة إلى أعمال الخير والطاعات، قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في موضع آخر: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال النبي ﷺ موجهًا أمته وحاثًا لهم: **(بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا)**[٦].

---

(١) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٣/ ٤٣٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، (٢/ ١٠٩٠)، ح رقم ١٤٦٧.

(٣) المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط: ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، (٦/٦٥)، ح رقم ٣٢٢٧. وقال الألباني: حديث حسن صحيح.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٣٥/١٧).

(٥) انظر: التفسير الواضح، الحجازي، (٥٥٣/٢).

(٦) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، (١١٠/١)، ح رقم ١١٨.

المطلب الخامس: **تنزيه مريم عليها السلام من افتراءات اليهود**:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١].

ثانيًا: معاني المفردات:

١) ﴿**أَحْصَنَتْ**﴾ "أحصَن الشَّيءَ: منَعه وصانَه وحفظه" [١].

٢) ﴿**فَرْجَهَا**﴾: "الفرج في الأصل: الشق بين الشيئين كالفرجة، ثم أطلق على السّوءة، وكثر حتى صار كالصريح في ذلك" [٢].

"وأحصنت فرجها بالعفاف من الفاحشة، أو جيب درعها[٣] منعت منه جبريل عليه السلام قبل أن تعلم أنه رسول الله" [٤].

٣) ﴿**مِن رُّوحِنَا**﴾: "من الروح الذي هو من أمرنا وقيل فعلنا النفخَ فيها من جهة روحنا جبريل" [٥].

٤) ﴿**آيَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾: "أي علامةً وأعجوبةً للخلق تدل قدرتنا الباهرة ليعتبر بها الناس" [٦].

ثانيًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

"قرن الله تبارك تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليه السلام، بقصة زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، فيذكر أولًا قصة زكريا، ثم يتبعها بقصة مريم؛ لأن تلك موطئة لهذه، فإنها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن، ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها، ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب، فإنها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر" [٧].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

وصف الله ﷻ مريم بنت عمران عليها السلام بالعفة والطهارة بعدما رماها اليهود عليهم من الله ما يستحقون بالزنا وارتكاب الفاحشة، وهي التي حصّنت نفسها من الرجال، وخصصت نفسها للعبادة، فنفخ جبريل الروح الأمين في بطنها بأمر الله، فأحيا ولدًا في جوفها، وهو عيسى عليه السلام، وجعل الله أمر مريم

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد عمر، (٥٠٩/١).

(٢) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٦٧/١٧).

(٣) درع المرأة: أي قميصها. انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان اليمني، (٢٠٦٥/٤).

(٤) تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (٣٣٦/٢).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٨٣/٦).

(٦) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٥١/٢).

(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت سلامة، (٣٧١/٥).

وابنها عيسى وهو الحمل من غير أب آية ومعجزة خارجة عن العادة وعبرة لمن اعتبر في ذلك من العالمين المعاصرين لذلك الحدث وغيرهم من اللاحقين، وذلك دليل على قدرة الله الباهرة، فهو سبحانه على كل شيء قدير[١].

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا**﴾ "أطلق النفخ هنا تمثيلًا لإلقاء روح التكوين للنسل في رحم المرأة دفعة واحدة بدون الوسائل المعتادة تشبيهًا لهيئة التكوين السريع بهيئة النفخ" [٢].

وأضاف الله تبارك وتعالى الروح إليه فقال (من روحنا) وذلك لتشريف مريم عليها السلام وتعظيم شأنها وبيان مكانتها وبيان أن هذا النفخ كان بأمره تعالى[٣].

"وظاهر الكلام في قوله: ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهَا**﴾ يوهم أن مريم هي التي أحييت لأن معنى النفخ الإحياء ولكن الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم ونحو ذلك أن يقول الزمار: نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته" [٤].

- في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ "إفراد الآية لأنه أريد بها الجنس، وحيث كان المذكور ذاتين فأخبر عنهما بأنهما آية علم أن كل واحد آية خاصة، ومن لطائف هذا الإفراد أن بين مريم وابنها عليهما السلام حالة مشتركة هي آية واحدة، ثم في كل منهما آية أخرى مستقلة باختلاف حال الناظر المتأمل" [٥].

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) تنزيه مريم عليها السلام عن كل ما رماها به اليهود مع يوسف النجار الذي كان معها في خدمة الهيكل، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿**قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ [مريم: ٢٧-٢٨]، وبعد هذا الافتراء الباطل برأها الله فوصفها بالتي أحصنت فرجها والإحصان يطلق عادة على الزواج بالتبعية، لأن الزواج يحصن من الوقوع في الفاحشة، أما هنا – في قصة مريم- فيذكر في معناه الأصيل، وهو الحفظ والصون أصلًا من كل مباشرة شرعية أو غير شرعية[٦].

---

(١) التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٦١٣)، بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٣٨/١٧).

(٣) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٥١/٢).

(٤) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، (٣٦٠/٦).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٣٩/١٧).

(٦) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٩٥).

٢) اصطفى الله ﷻ مريم عليها السلام من دون نساء العالمين لتلد بدون ذكورة، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٢] وهو اصطفاء خاص بمريم وحدها من بين نساء العالمين؛ وقد ذكرها الله تعالى ضمن مواكب النبوة، لأن النبوة اصطفاء الله لنبي من دون الخلق، واصطفاء مريم لهذه المسألة لم يتكرر في غيرها أبدًا[١].

٣) لم يذكر في الآية اسم مريم عليها السلام، لأن المقصود في سلسلة الأنبياء هو ابنها عيسى عليه السلام وقد جاءت هي تبعًا له في السياق[٢].

٤) إظهار قدرة الله ﷻ وعظمته، وأنه إذا أراد فعل شيء فعله بحكمته وأمره، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فقد جعل مريم وابنها آية لأن مريم ولدت من غير فحل، ولأن عيسى عليه السلام كان كذلك وكلم الناس في المهد، وكان يحيى الموتى بإذن الله تعالى[٣].

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي – الخواطر، (١٦/ ٩٦٣٤).

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٩٥).

(٣) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٣/ ٤٣٩).

الفصل الرابع

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الربع الرابع من الحزب الثالث والثلاثين

الآيات (٩٢-١١٢)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٩٢-٩٤)

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٩٥-١٠٦)

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (١٠٧-١١٢)

المبحث الأول:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٩٢-٩٤)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** وحدة الأمة قائمة على التوحيد.
- **المطلب الثاني:** اقتران الإيمان بالعمل الصالح، والجزاء من جنس العمل.

المطلب الأول: **وحدة الأمة قائمةٌ على التوحيد**:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢ – ٩٣].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**أُمَّةً واحِدَةً**﴾: دين الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً وأمة الإيمان أمة واحدة وهي على ملة واحدة[١].

٢) ﴿**فَاعْبُدُونِ**﴾: "فأخلصوا لي العبادة ولا تشركوا معي غيري" [٢].

٣) ﴿**وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم**﴾: "أي وتفرقوا في دينهم فأصبح لكل فرقة دين كاليهودية والنصرانية والمجوسية والوثنيات وما أكثرها" [٣].

٤) ﴿**كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ**﴾ أي: "إلى حكمنا فنجازيهم" [٤].

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

"إن دين الله والإنسانية دين واحد، قائمٌ على ملة التوحيد الخالص لله ﷻ، والإيمان بالله تبارك وتعالى وعبادته، وتلك هي الملة الواحدة التي دعا إليها جميع الأنبياء والشرائع، إنهم جميعًا متفقون على منهجٍ واحد، وغايةٍ واحدة، وما على البشر إلا توحيد الدين، والإنابة لرب العالمين، فهو الإله الواحد الذي لا إله غيره، فليعبده كل الناس، ولا يشركوا به أحدا من المخلوقات والأشياء الكونية.

إلا أن الأمم والشعوب اختلفوا مع الأسف، على الرسل بين مصدّق لهم ومكذب، وكان منهم المحسن ومنهم المسيء، وتقطّعوا أمر الدين الواحد، وتفرقوا فرقًا شتى، وكل فرقة منهم سيرجعون إلى الله تعالى يوم القيامة، فيجازى كل واحد بما عمل، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر" [٥].

ثالثًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ الخطاب للذين بعث فيهم محمد ﷺ، و(**أُمَّةً**) حال باعتبار الوصف بالوحدة، وفي الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿**وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**﴾ تشنيعًا لهم بسوء صنيعهم وهو تقطع أمرهم بينهم[٦].

---

(١) انظر: بيان المعاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق، ط: ١، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م، (٣٣٠/٤).

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، (ص ٤٨٤).

(٣) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٤٠/٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٣٩/١١).

(٥) التفسير الوسيط، الزحيلي، (١٦١٤/٢).

(٦) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي، (٥٩١/١٣). وانظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٩١٣/٩).

- قوله تعالى: ﴿**وَأَنَا رَبُّكُمْ**﴾ "أفاد الحصر، أي أنا لا غيري بقرينة السياق والعطف على أمة واحدة، إذ المعنى: وأنا ربكم ربًا واحدًا، ولذلك فرع عليه الأمر بعبادته، أي فاعبدون دون غيري، وهذا الأمر مراعى فيه ابتداء حال السامعين من أمم الرسل، فالمراد من العبادة التوحيد بالعبادة والمحافظة عليها"(١).
- قوله تعالى: ﴿**وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ**﴾ فيه تمثيل بديع، فقد مثل لاختلاف الأمم في الدين، وتفرقهم فيه إلى شيع وأحزاب بجماعة تنازعوا ثوبًا، فاقتطع كل واحد منهم قطعة، فأصبح ممزقًا وباليًا، وهذا حال الأمم جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعًا، حسب الأهواء والمشتهيات، وهذا من لطيف الاستعارة(٢).
- قوله تعالى: ﴿**كُلٌّ إِلَيْنا راجِعُونَ**﴾ "مستأنف استئنافًا بيانيًا لجواب سؤال يجيش في نفس سامع قوله تعالى: ﴿**وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ**﴾ وهو معرفة عاقبة هذا التقطع" (٣).

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) بينَّ الله تبارك وتعالى أن الدين الحق واحد لا يتعدد، وهو قدر مشترك بين الأنبياء عليهم السلام، لا يختلفون على شيء من أصول التوحيد أو العبادات والأخلاق، وإنما يختلفون في الفروع التي جاءت وفق ما يناسب أزمنتهم وأقوامهم (٤).

والنبي ﷺ قال: **(أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، في الأولى والآخرة، قالوا: كيف؟ يا رسول الله قال: الأنبياء إخوة من علات(٥)، وأمهاتهم شتى، ودينهم واحد، فليس بيننا نبي)**(٦).

٢) الأمة في قوله تعالى: ﴿**أُمَّةً واحِدَةً**﴾ بمعنى الملة، وهو الدين المجتمع عليه، كما في قوله: ﴿**إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ**﴾ [الزخرف: ٢٣]، أي على دين يجتمع عليه، والأمة بهذا المعنى هو ما رجحه كثير من المفسرين في هذه الآية، وفي آية: ﴿**يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾ [المؤمنون: ٥١– ٥٢].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٤١/١٧).

(٢) انظر: قبس من نور القرآن، الصابوني، (ص ٧١) هامش ١. وانظر: التفسير الموضوعي، للنخبة، (٧٠/٥).

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٤٣/١٧).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ت سلامة، ابن كثير، (٣٧١/٥).

(٥) أولاد العلات: الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد، أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (١٩١/٣).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ [مريم: ١٦]، (١٦٧/٤)، ح رقم ٣٤٤٣. وأخرجه مسلم واللفظ له، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، (٤/ ١٨٣٧)، ح رقم ٢٣٦٥.

وتطلق (الأمة) بمعنى الجماعة، كما هي في قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨١]، وكما في قوله: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وتطلق الأمة بمعنى السنين كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ**﴾ [هود: ٨]، وفي قوله: ﴿**وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ**﴾ [يوسف: ٤٥]، وبمعنى الإمام الذي يقتدى به، كما في قوله: ﴿**إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ**﴾ [النحل: ١٢٠]، وبمعنى إحدى الأمم المعروفة كما في قوله: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، وهذا المعنى الأخير لا يخرج عن معنى الجماعة، على ما ذكرنا، وإنما خصصه العرف تخصيصًا، كذا حققه العلامة محمد عبده رحمه الله في تفسير آية ﴿**كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً**﴾ [البقرة: ٢١٣][(١)].

٣) أَدَّبَ النبي ﷺ أصحابه وعلمهم أن يدعوا غيرهم أولًا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومن ذلك وصيته لمعاذ ﷺ حينما بعثه إلى اليمن، واليمن يومئذ كان يجمع بين أقوام مشركين وأقوام آخرين من أهل الكتاب، من الذين يدعون مع الله عيسى بن مريم، لذلك أوصى رسول الله ﷺ رسوله معاذًا فقال له: **(ليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن هم أطاعوك فمرهم بالصلاة ...)**[(٢)].

والشاهد في هذا الحديث وفي آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل، أن دعوة الرسول ودعوة أتباع الرسل، أساسها كلمة التوحيد ودعوة الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله[(٣)].

٤) قال ابن القيم[(٤)]: التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال هود لقومه: ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٦٥]، وكذا قال شعيب وصالح عليهما السلام، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، (٢٢١/٧)، بتصرف.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، (١٠٤/٢) برقم ١٣٩٥. ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، (٥٠/١) برقم ١٩.

(٣) انظر: موسوعة الألباني في العقيدة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن، ط: ١، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م، (٣٨/٢).

(٤) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي ولد سنة ٦٩١، وله من التصانيف الهدي وأعلام الموقعين وبدائع الفوائد وطرق السعادتين وغيرها، مات في ١٣ رجب ٧٥١هـ، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، (١٣٧،١٣٩/٥).

والتوحيد الذي دعت إليه رسل الله، ونزلت به كتبه: فوراء ذلك كله وهو نوعان: **توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد.**

فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح.

كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة " تنزيل " السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ [الكافرون: ١]، وقوله: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٦٤]، وأول سورة يونس ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد[١].

٥) بيان ما حدث للبشرية من تمزق للدين بينها بحسب الأهواء والأطماع والأغراض، والسبب الأهم في تمزق الأمة وتشرذمها وتفرقها إلى شيعٍ كثيرة هو بعدها عن التوحيد، ومتى تمسكت به الأمة يعود لها مجدها وعزها[٢].

٦) الرجوع إلى الله حقيقة لا هروب منها ولا مناص، فبعد هذا الاختلاف والتفرق بين الأمم، سيرجع الكل إلى الله للحساب، والكل يفضي إلى ما قدم.

المطلب الثاني: اقتران الإيمان بالعمل الصالح، والجزاء من جنس العمل:

قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**الصَّالِحَاتِ**﴾: "الفرائض وأعمال البِرِّ" [٣].

٢) ﴿**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾: "وهو مصدق بتوحيد الله عز وجل" [٤].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م، (٣/٤١٧، ٤١١)، بتصرف.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٣/٤٤٢).

(٣) زاد المسير، ابن الجوزي، (٣/٢١١). وانظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢/٢٥١).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، ط: ١، ١٤٢٣ هـ، (٣/٩٢).

٣) ﴿**فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ**﴾ أي: "لا نجْحَدُ ما عَمِل" [١].

٤) ﴿**كاتِبُونَ**﴾: "حافظون مجازون" [٢].

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

"يخبر الله ﷻ بأنه مَنْ يعمل صالح الأعمال وقلبه مليء بالإيمان بربه، والتصديق لأنبيائه ورسله، واليقين باليوم الآخر، يوم تجزى كل نفس بما عملت من خير أو شر، فإنَّا لا نضيع سعيه ولا نبخسه حقه، بل نوفيه على عمله الجزاء الأوفى، وإنا مثبتون له ذلك في صحيفة أعماله، لا نترك منه شيئًا جلّ أو قل، عظم أو حقر، ونحو الآية قوله: ﴿**وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً**﴾ [الإسراء: ١٩]، وقوله: ﴿**إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا**﴾ [الكهف: ٣٠]" [٣].

ثالثًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ "قدم وعد المؤمنين بجزاء أعمالهم الصالحة اهتمامًا به، ولوقوعه عقب الوعيد تعجيلًا لمسرة المؤمنين قبل أن يسمعوا قوارع تفصيل الوعيد" [٤].

"و(الفاء) في قوله: (فَمَنْ) فاء الإفصاح؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، أي إذا كانوا جميعًا إلينا راجعون، فإنا نجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

و(من) هنا إما للتبعيض، أو للاستغراق، ويكون المعنى من يعمل بعض الصالحات وهو مؤمن بالله حق إيمانه متقربًا بها إلى الله تعالى، فإن الله يقبل عمله ويثيبه عليه" [٥].

- في قوله تعالى: ﴿**فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ**﴾ "الكفران مصدر أصله عدم الاعتراف بالإحسان، ضد الشكران واستعمل هنا في حرمان الجزاء على العمل الصالح على طريقة المجاز لأن الاعتراف بالخير يستلزم الجزاء عليه عرفا كقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تكفروه**﴾ [آل عمران: ١١٥]" [٦].

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآية:

١) الإيمان بالله أصل الحياة وقاعدتها، لأنه الصلة الحقيقية بين الإنسان وخالقه الواحد، ولا بد من القاعدة ليقوم البناء، والعمل الصالح هو هذا البناء، فهو منهار من أساسه ما لم يقم على قاعدته[٧].

---

(١) غريب القرآن، ابن قتيبة الدينوري، (ص ٢٨٨).

(٢) بحر العلوم، السمرقندي، (٤٤٠/٢).

(٣) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٧٠،٧١/١٧).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٤٤/١٧).

(٥) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٩١٤/٩، ٤٩١٥).

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٤٣/١٧).

(٧) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٩٧).

٢) يقرن الله ﷻ دائمًا في القرآن بين الإيمان والعمل الصالح كلما ذكر العمل والجزاء، فلا جزاء على إيمان عاطل خامد لا يعمل ولا يثمر، ولا على عمل منقطع لا يقوم على الإيمان، ومن الأدلة في القرآن على اقتران الإيمان بالعمل الصالح قوله تعالى: ﴿...**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠] وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...**﴾ [النساء: ١٢٢] [(١)].

٣) المقابلة بالمثل عدل، وسنة يعامل الله بها الخلق أجمعين، وشرع نتعامل به نحن البشر في هذه الحياة الدنيا، والله عز وجل يقول: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ**﴾ [يونس :٢٦]، وفي موضع آخر قال: ﴿**وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾ [النجم: ٣١]، والمؤمن له من الله ﷻ فوق العدل فضل وزيادة، تفضلًا من الله عليه لإحسانه وإقباله عليه بالأعمال الصالحة والطاعات.

قال ابن تيمية: "يُجْزى الخلق يومَ القيامة بنظير أعمالهم، فإن الجزاء من جنس العمل، وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال للنفر الذين جاءوه ليسألوه عن رؤية ربهم يوم القيامة: (.. **كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمر القمرَ...**)[(٢)]، وَذَكَرَ لهم النبي ﷺ أن الله يأتيهم في صورة غير الصورة التي يعرفون، يمتحنهم هل يتبعون غير ربّهم، وإنهم يستعيذون بالله منه، ويقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيتجلى لهم، ويخرُّون له سُجَّدًا إلا المنافقين، فإن ظهورهم تصير مثل قرون البقر، ثم ينطلق ويتبعونه، والحديث طويل" [(٣)].

٤) الله عز وجل يكتب الأعمال الصالحة كلها، فلا يغيب عنه شيء، ويجزي على كل قليل وكثير وصغير وكبير[(٤)].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٤/ ٢٣٩٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري مطولًا في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ..﴾ [القيامة: ٢٣]، (١٢٨/٩) برقم ٧٤٣٧. وأخرجه مسلم مطولاً، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١٦٣/١) برقم ١٨٢.

(٣) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت : ٧٢٨هـ)، تحقيق : محمد عزير شمس، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر : دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط : ١، ١٤٢٢ هـ، (١٣٩/١)، بتصرف.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، ت شاكر، (٥٢٤/١٨).

المبحث الثاني:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٩٥-١٠٦)

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** وصف حال الكفار يوم القيامة وما أُعِدَّ لهم.
- **المطلب الثاني:** وصف حال المؤمنين يوم القيامة وما أُعِدَّ لهم.
- **المطلب الثالث:** طي السماء وإرث الأرض.

المطلب الأول: **وصف حال الكفار يوم القيامة وما أُعِدَّ لهم**:

قال تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٥ – ١٠٠].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**وَحَرَامٌ**﴾ الحرام: الشيء الممنوع، والمراد في الآية أن الله قدَّرَ وقضى بمنع رجوعهم بعد الهلاك[١].

٢) ﴿**أَنهمْ لَا يَرجِعُونَ**﴾: "أي ممتنعٌ عليهم الرجوع" [٢].

٣) ﴿**حَدَبٍ**﴾: "يجوز أن يكون الأصل في الحَدَبِ حدب الظهر، يقال: حَدِبَ الرجل حَدَبًا، فهو أَحْدَب، واحدودب، وناقة حدباء تشبيهًا به، ثم شبّه به ما ارتفع من ظهر الأرض، فسمّي حَدَبًا" [٣].

٤) ﴿**يَنْسِلُونَ**﴾ أي: "يسرعون المشي" [٤].

٥) ﴿**الْوَعْدُ الْحَقُّ**﴾: "الموعود به الذي لابد من تحققه وهو يوم القيامة" [٥].

٦) ﴿**شَاخِصَةٌ**﴾: "الشخوص بالعين إحداد النظر دون أن يطرف، وذلك يعتري من الخوف المفرط" [٦].

٧) ﴿**حَصَبُ**﴾: "الحصب ما توقد به النار، إما لأنها تحصب به أي ترمى وإما أن تكون لغة في الحطب إذا رمي وأما قبل أن يرمى به فلا يسمى حصبا إلا بتجوز" [٧].

٨) ﴿**وارِدُونَ**﴾: "يعني داخلون" [٨].

٩) ﴿**زَفِيرٌ**﴾ "الزفير: صوت نفس المغموم، والمراد هنا الأنين والتنفس الشديد" [٩].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٤٤/١٧).

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم- بيروت، ط: ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م، (ص ٣٧٨).

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص ٢٢٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٤٠٥/٣). وانظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٤٠/٣).

(٥) المنتخب في تفسير القرآن، لجنة من علماء الأزهر، (ص ٤٨٤).

(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٠٠/٤).

(٧) المرجع السابق، (١٠١/٤).

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان، (٦٣٥/٢). وانظر: تفسير يحيى بن سلام، (٣٤٥/١).

(٩) فتح القدير، الشوكاني، (٥٠٦/٣).

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

الأقوام التي هلكت لن ترجع إلى الحياة حتى تقوم الساعة لأن الله كتب ذلك وقضى به، فلن يرجع أحد حتى تزلزل الأرض زلزالها، ويختل نظام هذا العالم، فتموج الأمم بعضها في بعض بتفريق أجزائها، لا فرق بين يأجوج ومأجوج وغيرهما، حينها يختل نظام العالم وترجّ الأرض رجًا، ويخرج الكفار من قبورهم شاخصة أبصارهم من الهول الذي هم فيه(١).

وإنكم أيها المشركون بالله عبدة الأصنام والأوثان، مع أصنامكم حصب جهنم، أي وقود النار، تدخلونها جميعًا، وتخلدون فيها، والورود في الآية: ورود الدخول، وحرق الأصنام بالنار، على جهة التوبيخ لعابديها ولها حيث أنها لا تملك أن ترد العذاب عن نفسها فكيف ترد العذاب عمن كان يتخذها آلهة!

وللمعذّبين من شدة العذاب أنين وزفير، والزفير: صوت المعذب، وهو كشهيق الحمير وشبهه، إلا أنه من الصدر، وهم في النار لا يسمعون فيها خبرًا مفرحًا، ولا شيئًا سارّا من القول، بل يسمعون صوت الزبانية الذين يتولون تعذيبهم(٢).

ثالثًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ "(لَا) إما زائدة، أي وحرام أنهم يرجعون، أي إلى الدنيا، وأن واسمها وخبرها خبر المبتدأ: حَرامٌ، وإما غير زائدة، ويكون حَرامٌ مبتدأ، وخبره مقدر، أي: وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون كائن أو محكوم عليه" (٣).
- في قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ**﴾ "يجوز أن يكون المراد بفتح يأجوج ومأجوج تمثيل إخراج الأموات إلى الحشر، فالفتح معنى الشق كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾ [ق: ٤٤]، ويكون اسم يأجوج ومأجوج تشبيها بليغًا، وتخصيصهما بالذكر لشهرة كثرة عددهما عند العرب من خبر ذي القرنين" (٤).
- في قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ**﴾ ذكر الزمخشري أن (حتى) تفيد الغاية، وتكون بذلك متعلقة بـ (وَحَرَامٌ) وهي غاية له، لأن امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم الساعة، ويجوز أن تكون (حتى) ابتدائية، والجملة التي بعدها مستأنفة(٥).

---

(١) انظر: تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٧١/١٧).

(٢) التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٦١٦)، بتصرف.

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، (١٢٧/١٧).

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٤٨/١٧).

(٥) انظر: الكشاف، (١٣٥/٣).

- في قوله: ﴿**فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ إشارة إلى اقتراب الساعة، وظهور أماراتها، ومنها خروج يأجوج ومأجوج فيرى الكافرون ما تشخص به أبصارهم، فتظل الحدق معلقة في الأعين، ثابتة لا تتحرك، للهول الذي يرونه[١].
- في قوله: ﴿**بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾ إضراب عن القول السابق وإخبار المشركين بالحقيقة المؤلمة والمعنى لم نكن في غفلةٍ حيث ذكَّرتنا الرسلُ ونبَّهتنا الآيات بل كنا ظالمين لأنفسنا بالتكذيب وعدم الإيمان[٢].
- في قوله: ﴿**لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ**﴾ " كناية عن شدة الضيق والضجر، وهي حال دائمة، يتألمون، ولا يسرى عنهم شيء يسمعونه، ولا خبر يطمئنون به، بل هم في ألم مستمر لَا تسرية فيه ولا منجاة" [٣].

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) إثبات البعث والجزاء والتأكيد على أنه لا تزال حياة من مات وهلك ممتنعة، ويستمر هذا الامتناع إلى قيام الساعة، ومن أماراتها فتح سد يأجوج ومأجوج، وإتيان الناس سراعًا من كل مرتفع من الأرض[٤].
وفي ذلك اليوم الموعود كما في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **(يرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه ... وإن الساعة من الناس كالحامل المُتمِ لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلًا أو نهارًا، قال عبد الله بن مسعود: فوجدت تصديق ذلك في كتاب الله ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، قال: وجميع الناس من كل مكان جاءوا منه يوم القيامة فهو حدب)** [٥].

٢) "تضاربت أقوال المفسرين في حقيقة يأجوج ومأجوج وأشكالهم وأوصافهم وأعمارهم وتناسلهم، والمهم في قصتهم أنهم علامة من علامات اقتراب الساعة ودنوها، فعن زينب بنت جحش رضي الله عنها، أنها قالت: **(استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر الوجه، وهو يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: نعم إذا كثر الخبث)**[٦].

---

(١) انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (٩٥٥/٩).

(٢) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٥٢/٢).

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٩٢١/٩).

(٤) تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٧١/١٧)، بتصرف.

(٥) أخرجه الحاكم مطولًا في مستدركه، كتاب التفسير– تفسير سورة الأنبياء، (٤١٦/٢)، ح رقم ٣٤٤٨، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، (٦١/٩)، ح رقم ٧١٣٥. ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، (٤/ ٢٢٠٧)، برقم ٢٨٨٠.

وهذه معجزة لرسول الله ﷺ تحققت في هجمة التتار عام ٦٥٦هـ، ولقد خص رسول الله ﷺ العرب بالذكر ولم يعمم المسلمين، وكانت الخلافة الإسلامية بيد العباسيين، وبعد القضاء على خلافتهم خرج الأمر من أيدي العرب ولم يجتمع أمر الأمة الإسلامية بعد ذلك عليهم.

كما أن تحليق رسول الله ﷺ بين أصبعيه الإبهام والتي تليها كناية أن باب الفتنة لم يفتح على مصراعيه، وستتحقق المعجزة الأخرى في فتح باب الفتنة على مصراعيه عند اقتراب الوعد الحق عندما تخرج قبائل يأجوج ومأجوج قبيل قيام الساعة ليدمروا العالم المتحضر مرة أخرى، والخروج الأخير من علامات الساعة الكبرى" [١].

٣) ينذر الله تبارك وتعالى الناس ويحذرهم من خطر يأجوج ومأجوج من خلال جعل خروجهم علامة من علامات قرب يوم القيامة، وهذا يدلل على أن خروجهم هلاك ودمار للبشرية كما صورته الآيات، وكما صوره رسول ﷺ بالويل والشر للعرب[٢].

٤) يصور لنا الله تبارك وتعالى ما يتعرض له الكفار من أهوال وشدائد تشخص منها أبصارهم، أي ترتفع من هول القيامة لا تكاد تطرف، فإذا ما رأوا العذاب تلاوموا واتهموا أنفسهم بالظلم كعادتهم، فلا ينفعهم لومهم يومئذ ويقضى عليهم في النار جزاءً بما كسبوا[٣].

وفي وصف حالهم ترهيبًا للعصاة والظالمين والمجرمين، فالعذاب والجزاء ينتظرهم، لذا وجب على كل إنسان أن يعمل ويجتهد في الطاعات والتقرب إلى الله والابتعاد عن محارمه حتى لا يكون في مثل هذا الموقف المهول العظيم، وحينها سيندم ولا ينفعه ندمه، ويكون لسان حاله: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩٩ – ١٠٠].

٥) يجمع الله تبارك وتعالى الكفار مع أصنامهم وكل ما يعبدونه في نار جهنم، وذلك زيادة لهم في غمهم وحسرتهم وخيبتهم، فإذا ما شاهدوا آلهتهم في النار نكسوا على رؤوسهم، وعلموا أنهم أتفه من الحيوانات والجمادات، لأنهم لم يتفكروا ولو للحظة واحدة في الإله الحق المستحق للعبادة[٤].

٦) لا يسمع الكفار بعضهم بعضًا يوم القيامة وعند العذاب، لأن أصوات أنفاسهم تطغى على كل شيء، وفي هذا الوصف لحال الكفار ترهيب وتخويف للعباد، ليحذروا وليخافوا من عذاب الله يوم الحساب[٥].

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، ط: ٤– ٢٠٠٥م، انظر: هامش (ص ٣١٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٤٨/١٧).

(٣) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (١٣٣/١٧).

(٤) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٥٢/٢).

(٥) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ٥٣١).

المطلب الثاني: **وصف حال المؤمنين يوم القيامة وما أُعِدَّ لهم**:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠١ – ١٠٣].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**الْحُسْنَى**﴾: "الخصلة المفضلة في الحسن وهي السعادة، وقيل: التوفيق للطاعة، وقيل: الحسنى الكلمة الحسنى وهي المتضمنة للبشارة بثوابهم وشكر أعمالهم" [١].
"وقيل الحسنى بمعنى الجنة" [٢].

٢) ﴿**حَسِيسَهَا**﴾ "الحسيس: الصوت تسمعه من الشيء إذا مَرَّ قريباً منك، قال ابن عباس: لا يسمع أهل الجنة حسيس أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة" [٣].
"والمراد: صوت لهيبها واحتراق الأجساد فيها" [٤].

٣) ﴿**الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ**﴾: "الفزع الأكبر أهوال يوم القيامة والبعث، عن ابن عباس، وقال الحسن: هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار، وقال ابن جريج وسعيد بن جبير والضحاك: هو إذا أطبقت النار على أهلها، وذبح الموت بين الجنة والنار وقال ذو النون المصري: هو القطيعة والفراق" [٥].

٤) ﴿**وَتَتَلَقَّاهُمُ الملائكة**﴾: "تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم" [٦].

ثانيًا: سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(آية لا يسألني الناس عنها، لا أدري أعرفوها فلم يسألوا عنها، أو جهلوها فلا يسألون عنها؟ قال: وما هي؟ قال: لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ شق على قريش، فقالوا: أيشتم آلهتنا؟ فجاء ابْنُ الزِّبَعْرَى فقال: ما لكم؟ قالوا يشتم آلهتنا قال: فما قال؟ قالوا: قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ قال: ادعوه لي، فلما دعي النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا محمد هذا شيء**

---

(١) روح المعاني، الألوسي، (٩٢/٩).
(٢) تفسير يحيى بن سلام، (٣٤٦/١).
(٣) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٢١٥/٣).
(٤) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، (ص ٣٣١).
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٤٦/١١).
(٦) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٥٢/٢).

لآلهتنا خاصة أو لكل من عبد من دون الله؟ قال: لا، بل لكل من عبد من دون الله، فقال ابْنُ الزِّبَعْرَى: خصمت ورب هذه البنية – يعني الكعبة – ألست تزعم أن الملائكة عباد صالحون وأن عيسى عبد صالح وأن عزيرًا عبد صالح، قال: بلى، قال: فهذه بنو مَلِيحٍ يعبدون الملائكة، وهذه النصارى يعبدون عيسى عليه السلام، وهذه اليهود يعبدون عزيرًا، قال: فصاح أهل مكة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾)[1].

ثالثًا: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

في وجه المناسبة بين قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾ [آية: ١٠١] وبين قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ**﴾ [آية: ٩٨]، قال البقاعي: "ولما ذكر حالهم وحال معبوديهم بغاية الويل، كان موضع السؤال عمن عبدوهم من الصالحين من نبي أو ملك وغيرهما من جميع من عبده سبحانه لا يشرك به شيئًا، فقال مبينًا أنهم ليسوا مرادين لشيء من ذلك على وجه يعمهم وغيرهم من الصالحين" [2].

رابعًا: المعنى الإجمالي:

يؤكد الله ﷻ على أن أهل السعادة ليسوا من المعذّبين لأنهم لم يرضَوْا بعبادتهم أنفسهم، ولا دعوا إلى ذلك، فهؤلاء سبقت لهم من الله الحسنى، أي تقرر في علم الله أنهم بسبب التزامهم الإيمان وصالح الأعمال في الدنيا، مبعدون عن دخول النار، وهم مبشّرون بالجنة والثواب العظيم، وموفّقون للعمل الصالح، كما قال الله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦]، وأوصاف نعيم السعداء أربعة: هي أنهم لا يسمعون حسيس النار، أي صوتها وحريقها في الأجساد وشررها، وهم ماكثون أبدًا على الدوام في الجنان، يتمتعون بما اشتهت أنفسهم من نعيم الجنة ولذائذها، ولا يحزنهم الفزع الأكبر، أي لا تخيفهم أهوال القيامة، بعد قيامهم من قبورهم للحساب، إلى أن يصلوا إلى الجنة، وتستقبلهم الملائكة بالسلام عليهم، والتبشير لهم، قائلين لهم: هذا يومكم الذي وعدتم فيه الثواب والنعيم[3].

---

(١) أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، ط: ٢، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م، (ص٣٠٦،٣٠٥).

والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (١٥٣/١٢)، ح رقم ١٢٧٣٩، وإسناده حسن، ويشهد له: ما أخرجه الحاكم (المستدرك: ٣٨٥/٢) والفريابي وعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن أبي حاتم وابن مردويه (فتح القدير: ٣/ ٥٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه، وإسناده صحيح.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٤٨٤/١٢).

(٣) التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٦١٧، ١٦١٨)، بتصرف.

خامسًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى**﴾ "السبق، حقيقته: تجاوز الغير في السير إلى مكان معين، ومنه سباق الخيل، واستعمل هنا مجازًا في ثبوت الأمن في الماضي" [(١)].

"ذكر الموصول (الذين) في تعريفهم للإيماء إلى أن سبب فوزهم هو سبق تقدير الهداية لهم.

وذكر اسم الإشارة (أولئك) بعد ذلك لتمييزهم بتلك الحالة الحسنة، وللتنبيه على أنهم الأحرى بما يذكر بعد اسم الإشارة من أجل ما تقدم على اسم الإشارة من الأوصاف، وهو سبق الحسنى من الله" [(٢)].

- في التعبير بقوله: ﴿**فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ**﴾ "إشارة إلى أنهم حرموا من شهوات الدنيا الآثمة فنالوها في الآخرة حلالًا طيبًا.

وهنا ملاحظتان بيانيتان:

أولاهما: أنه عبر عن نيلهم ما يشتهون بجعل ما يشتهون ظرفًا لوجودهم، فما يشتهون أحاط بهم إحاطة الظرف بمظروفه فهم يعيشون في دائرة ما يشتهون، لا يخرجون عن دائرة إجابة رغائبهم، فلا يحرمون من شيء يرغبونه.

ثانيتهما: أن الله أكد تمكنهم من رغابتهم فيها، أكده بـ (هُمْ)، وبتقديم ﴿**فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ**﴾ للاهتمام والعناية، والله سبحانه يجزي كل نفس ما كسبت وهو العليم الحكيم" [(٣)].

- في قوله: ﴿**وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ إيجاز بالحذف يدلل عليه السياق، وتقدير المحذوف: تقول لهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون[(٤)].

سادسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) يقارن الله تبارك وتعالى عادةً في كتابه العزيز بين حال الكفار والمؤمنين وما أعد لهم في الدنيا والآخرة، فترى آيات القرآن تسوق لك النذارة والوعيد، ثم تسوق لك البشارة والوعد، وهذا الأسلوب القرآني له أثر كبير في تقويم النفوس وسياستها بالترهيب والترغيب، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى**﴾ [الأنبياء: ١٠١] فيه بشارة للمؤمنين الذين هداهم الله ﷻ إلى طاعته، وأنها وجبت لهم جنته ومغفرته ورحمته، وفي موضع آخر قال الحق تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠]، فهذه أمثلة من آيات الترغيب في القرآن الكريم التي تزيد المؤمنين إقبالًا على ربهم رجاء هذا الثواب العظيم الذي ينتظرهم.

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥٥/١٧).

(٢) المرجع السابق، (١٥٦/١٧).

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤٩٢٣/٩).

(٤) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٥٤/٢).

٢) أهل السعادة والتوفيق للطاعة والبشرى بالثواب مبعدون عن دخول النار، وأحوالهم سارة فمنها:

أ- عدم سماعهم لحسّ النار وحركة لهبها وحريقها الأجساد، ويتمتعون بنحو دائم فيما تشتهيه الأنفس، قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾ [فصلت: ٣١].

ب- ولا يحزنهم الفزع الأكبر الذي يصيب غيرهم وهو أهوال يوم القيامة والبعث.

ت- وتستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون لهم: ﴿**هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ فما أجمل هذا الاستقبال والترحاب الحار، وما أحسنه اطمئنانًا وإسعادًا للنفس![١]

٣) الآيات تدعو الناس إلى التزام الطريق الصحيح القويم الذي يصل بهم إلى رضى الله وجنته، فالدنيا دار عمل وإيمان وتصديق بكل ما أنزل الله في كتابه، وأخبر عنه، كالأنبياء والرسل والملائكة والجنة والنار والجزاء والحساب، فكل ذلك حق، ومن يؤمن بذلك كله يفوز بجنة عرضها السموات والأرض، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: **(إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك، فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا)**[٢].

المطلب الثالث: **طي السماء وإرث الأرض**:

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤ – ١٠٦].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**نَطْوِي**﴾: "الطاء والواو والياء أصل صحيح يدل على إدراج شيء حتى يدرج بعضه في بعض" [٣].

٢) ﴿**السِّجِلِّ**﴾: "الصحيفة" [٤].

٣) ﴿**كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾: "قدرتنا على إِعَادَة الْخلق كقدرتنا على إنشائه" [٥].

---

(١) التفسير المنير، الزحيلي، (١٤٠،١٤١/١٧)، بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، (١٥١/٩)، ح رقم ٧٥١٨. وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، (٢١٧٦/٤)، ح رقم ٢٨٢٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤٢٩/٣).

(٤) غريب القرآن، ابن قتيبة، (ص ٢٨٨).

(٥) تفسير القرآن، السمعاني، (٤١٢/٣).

٤) ﴿**الزَّبُورِ**﴾: "كتاب داوود وهو مبثوث في الكتاب المسمى بالمزامير من كتب اليهود" [١].

٥) ﴿**إِنَّ فِي هذا لَبَلاغًا**﴾ "أي فِي القرآن" [٢].

والبلاغ هو الخبر المهم الذي يستوجب من المخاطب الانتباه والاهتمام.

ثانيًا: القراءات:

- ﴿**نَطْوِي**﴾: "قرأ الجمهور (نطوي) بنون العظمة وكسر الواو ونصب السماء، وقرأه أبو جعفر بضم تاء مضارعة المؤنث وفتح الواو مبنيًا للنائب وبرفع السماء" [٣].
- ﴿**السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**﴾: "قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص للكتب بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع، وقرأ الباقون بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد" [٤].
- ﴿**الزَّبُورِ**﴾: "قرأ حمزة بضم الزاي، والباقون بفتحها بمعنى المزبور كالمحلوب والمركوب، يقال: زبرت الكتاب أي: كتبته. والزُّبور بضم الزاي جمع زِبْرَة كقِشرة وقُشُور، ومعنى القراءتين واحد، لأنّ الزبور هو الكتاب" [٥].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

كل المشاهد التي سبق ذكرها من أهوال يوم القيامة على الكافرين، ومشاهد الرضى عن المؤمنين تكون يوم يطوي الجبار جل جلاله السماء بيمينه ﴿**كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**﴾ أي الصحيفة للكتب، وذلك يوم القيامة حيث تبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات.

ويعيد الله الإنسان كما بدأ خلقه فيخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلًا[٦]، فينجز الله وعده، وهو قادر على ذلك فلا شيء يعجزه.

ويخبر تعالى رسوله والمؤمنين بوعده الكريم الذي كتبه في كتبه المنزلة بعد كتابته في الذكر الذي هو كتاب المقادير المسمى باللوح المحفوظ أن أرض الجنة يرثها عباده الصالحون، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ**﴾ أي في هذا القرآن العظيم لبلاغًا لمن كان من العابدين لله بأداء فرائضه واجتناب نواهيه لكفاية في الوصول به إلى بغيته وهي رضوان الله والجنة [٧].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٦٢/١٧).

(٢) معاني القرآن، الفراء، (٢١٣/٢).

(٣) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (٣٢٤/٢).

(٤) المرجع السابق، (٣٢٥/٢).

(٥) اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي (٦١٨/١٣).

(٦) الغرل: جمع أغرل وهو (الأقلف) من لم يختتن فتقطع منه غلفة ذكره. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٣٦٢/٣). وانظر: هامش أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، (٤٤٥/٣).

(٧) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٤٥،٤٤٧/٣).

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾ تقديم وتأخير غرضه التشويق، وأصل الجملة: نعيد الخلق كما بدأنا أول خلق يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعدًا علينا(١).

"وفيه تشبيه مرسل مفصل، أي طيًا مثل طيّ الصحيفة على ما كتب فيها" (٢).

- في قوله تعالى: ﴿**كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**﴾ "تشبيه للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء" (٣).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) "الثابت في هذه الآية: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ**﴾ وغيرها على أن السموات والأرض تتبدل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّماواتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [إبراهيم: ٤٨].

والثابت أيضًا أن الله تعالى سيحشر الناس من قبورهم ويعيدهم خلقًا جديدًا أحياء، كما خلقهم في المرة الأولى يوم بدئوا بالخلق في البطون" (٤).

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: **(يحشر الناس يوم القيامة عراة غرلًا- غير مختونين- أوّل الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، ثم قرأ: ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾)**(٥).

٢) لقد استخلف الله آدم في الأرض لعمارتها وإصلاحها، وتنميتها وتحويرها، واستخدام الكنوز والطاقات المرصودة فيها، واستغلال الثروات الظاهرة والمخبوءة، والبلوغ بها إلى الكمال المقدر لها في علم الله.

ولقد وضع الله للبشر منهجًا كاملًا متكاملًا للعمل على وفقه في هذه الأرض.

وفي هذا المنهج ليست عمارة الأرض واستغلال ثرواتها والانتفاع بطاقاتها هو وحده المقصود، ولكن المقصود هو هذا مع العناية بضمير الإنسان، ليبلغ الإنسان كماله المقدر له في هذه الحياة، فلا ينتكس حيوانا في وسط الحضارة المادية الزاهرة ولا يهبط إلى الدرك بإنسانيته وهو يرتفع إلى الأوج في استغلال موارد الثروة الظاهرة والمخبوءة(٦).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٥٨/١٧).

(٢) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٥٤/٢). وانظر: التفسير المنير للزحيلي، (١٣٤/١٧).

(٣) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، (٣٧١/٦).

(٤) التفسير المنير، الزحيلي، (١٤١/١٧).

(٥) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب البعث، (١١٤/٤). ح رقم ٢٠٨٢، وقال الألباني: حديث صحيح.

(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٤٠٠/٤)، بتصرف.

٣) "المؤمنون المتقون وهم الصالحون هم ورثة الجنة دار النعيم المقيم يتنعمون فيها حيث يشاؤون" [١].
قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [الزمر: ٧٤] .

٤) من اتَّبع القرآن وعمل به، كان القرآن بلاغه إلى الجنة وطريقه للوصول إليها، ومن هجر القرآن ولم يعمل بما جاء فيه كان حجة عليه يوم الحساب[٢].
عن أبي موسى الأشعري ﷺ، أنه قال: **(إن هذا القرآن كائن لكم أجرًا، وكائن لكم ذكرًا، وكائن عليكم وزرًا، اتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن، فإنه من يتبع القرآن، يهبط به في رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن يزخ في قفاه، فيقذفه في جهنم)**[٣]، قال أبو محمد الدارمي: " يزخ: يدفع.

٥) "المراد بالقوم العابدين من شأنهم العبادة لا ينحرفون عنها قيد أنملة كما أشعر بذلك جريان وصف العابدين على لفظ قوم المشعر بأن العبادة هي قوام قوميتهم.
والقوم العابدون هم أصحاب رسول الله ﷺ الموجودون يومئذ والذين جاءوا من بعدهم.
والعبادة: الوقوف عند حدود الشريعة، قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقد ورثوا هذا الميراث العظيم وتركوه للأمة بعدهم، فهم فيه أطوار كشأن مختلف أحوال الرشد والسفه في التصرف في مواريث الأسلاف.
وما أشبه هذا الوعد المذكور هنا وَنَوْطَهُ بالعبادة بالوعد الذي وعدته هذه الأمة في القرآن: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ**﴾ [النور: ٥٥]" [٤].

---

(١) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٤٩/٣).

(٢) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، (٢١٨/٣).

(٣) مسند الدارمي (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، ط: ١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، (٤/ ٢٠٩٦)، برقم ٣٣٧١، وقال المحقق: أبو كنانة ما رأيت فيه جرحًا ولا تعديلًا فهو على شرط ابن حبان وباقي رجاله ثقات.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٦٤/١٧).

المبحث الثالث:

المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (١٠٧-١١٢)

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** ختام سلسلة الأنبياء رحمة مهداة.
- **المطلب الثاني:** موقف النبي ﷺ من الناس، وتفويض الحكم لله.

المطلب الأول: **ختام سلسلة الأنبياء رحمة مهداة**:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ ءَاذَنتُكُمۡ عَلَىٰ سَوَآءٖۖ وَإِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ [الأنبياء: ١٠٧ – ١٠٩].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا**﴾: "فإن أدبر هؤلاء المشركون عن توحيد الله والإقرار بما جئتهم به" [١].

٢) ﴿**آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ**﴾ أي: "أعلمتكم وصرتُ أنا وأنتم على سواء، فاستوَيْنا في العلم" [٢].

ثانياً: مناسبة المقطع لسابقه من الآيات:

"بعد بيان قصص الأنبياء المتقدمين عليهم، وبعد الإعلام بأن القرآن بلاغ ومنفعة وكفاية للعابدين، أخبر الله تعالى عن سبب بعثة النبي ﷺ وهو أنه رحمة للعالمين في الدين والدنيا، أما في الدين فبتخليصهم من الجاهلية والضلالة، وأما في الدنيا فبالتخليص من كثير من الذل والقتال والحروب، والنصر والعلو ببركة دينه، وأما مجيئه بالسيف أيضًا فهو لتأديب من استكبر وعاند، ولم يتفكر ولم يتدبر، كما أن الله رحمن رحيم، وهو أيضًا منتقم من العصاة" [٣].

ثالثًا: المعنى الإجمالي:

أرسل الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بالقران الكريم ليكون دستورًا ورحمةً للعالمين، فالقرآن رحمة للمؤمنين لأنه يحقق سعادتهم في الدنيا وينجيهم من العذاب في الآخرة.

ورحمة للكافرين في كونه أنزل على محمد ﷺ وبعد إنزاله رفع عن كافة الأمم العذاب الشامل المستأصل كالطوفان وغيره.

وجوهر رسالة محمد ﷺ التوحيد ونفي الشرك، فإن أعرض المشركون عن هذه الدعوة فما على الرسول إلا أن يحذرهم وينذرهم من حلول العذاب الذي سوف يقع بهم لا محالة، ولكنه ﷺ لا يعلم وقت حلوله أقريب أم بعيد[٤].

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي ابن أبي طالب، (٧/ ٤٨٣٠).

(٢) غريب القرآن، ابن قتيبة، (ص ٢٨٩).

(٣) التفسير المنير، الزحيلي، (١٤٣/١٧).

(٤) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، (٢/ ١٦٢١).

رابعًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ "الآية تشتمل على أربعة وعشرين حرفًا بدون حرف العطف الذي عطفت به، ذكر فيه الرسول، ومرسله، والمرسل إليهم، والرسالة، وأوصاف هؤلاء الأربعة، مع إفادة عموم الأحوال، واستغراق المرسل إليهم، وخصوصية الحصر، وتنكير رحمة للتعظيم، إذ لا مقتضى لإيثار التنكير في هذا المقام غير إرادة التعظيم" (١).
- في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّما يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ**﴾ "في هذه الآية قصرين الأول قصر الصفة على الموصوف وذلك في قصر الوحي على الوحدانية والمعنى لا يوحى إليّ إلا اختصاص الإله بالوحدانية لا لأنه لم يوح إليه بشيء غيرها ولكنها الأصل الرئيسي في كل عبادة وعمل وهي المطلوبة أولًا وقبل كل شيء حتى كأن ما عداها غير منظور إليه أو غير جدير بالذكر والثاني قصر الموصوف على الصفة وذلك في قصر الله على الوحدانية وهو ظاهر" (٢).
- في قوله تعالى: ﴿**فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ**﴾ "استفهام يراد به الأمر أي أسلموا" (٣).
- في قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلى سَواءٍ**﴾ "إيجاز قصر لأنه تحدث بثلاث كلمات وهي ﴿**آذنتكم على سواء**﴾ عن كلام طويل أي إن تولوا بعد هذه الآيات والشواهد وأعرضوا فقل لهم لقد أعلمناكم على بيان أنا وإياكم في حرب لا مهادنة فيها بيننا ولكنني لا أدري متى يأذن الله" (٤).

خامسًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) "خص الله محمدًا ﷺ في هذه السورة بوصف الرحمة ولم يصف به غيره من الأنبياء، وكذلك في القرآن كله، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿**فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٥٩] أي برحمة جبلك عليها وفطرك بها فكنت لهم لينا" (٥).

وفي الصحيح: **(أن رسول الله لما شج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه فقالوا: لو دعوت عليهم فقال: إني لم أبعث لعانًا وإنما بعثت رحمة)**(٦).

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٦٥،١٦٦/١٧).

(٢) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، (٣٧٤/٦).

(٣) صفوة التفاسير، الصابوني، (٢٥٤/٢).

(٤) إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، (٣٧٥/٦).

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٦٧/١٧).

(٦) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، (٤/ ٢٠٠٦)، ح رقم ٢٥٩٩.

٢) الإيمان بمحمد ﷺ فرض على كل من أدركه أو سمع به، أو بلغته دعوته من الإنس والجن[١].
قال ﷺ :**(والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)**[٢].

٣) "أصح الأقوال في معنى قوله تعالى: ﴿**وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ**﴾ أنها على عمومها وفيها على هذا التقدير وجهان:
الأول: أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته.
والثاني: أنه رحمة لكل أحد، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا بها دنيا وأخرى، والكفار ردوها، فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم، لكن لم يقبلوها، كما يقال: هذا دواء لهذا المرض، فإذا لم يستعمله لم يخرج عن أن يكون دواء لذلك المرض" [٣].

٤) "أقيمت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق واليسر، قال تعالى: ﴿**وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [الحجّ: ٧٨]، وقَال تَعَالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥]، وما يتخيل من شدة في نحو القصاص والحدود فإنما هو لمراعاة تعارض الرحمة والمشقة كما أشار إليه قوله تعالى:﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ**﴾ [البقرة: ١٧٩]، فالحدود شدة على الجناة ورحمة بالناس.
وأما رحمة الإسلام بالأمم غير المسلمين فإنما نعني به رحمته بالأمم الداخلة تحت سلطانه وهم أهل الذمة، ورحمته بهم عدم إكراههم على مفارقة أديانهم، وإجراء العدل بينهم في الأحكام بحيث لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم في الحقوق العامة.
هذا وإن أريد بالعالمين في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ**﴾ النوع من أنواع المخلوقات ذات الحياة فإن الشريعة تتعلق بأحوال الحيوان في معاملة الإنسان إياه وانتفاعه به، إذ هو مخلوق لأجل الإنسان، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [الْبَقَرَة: ٢٩]" [٤].

٥) اتفقت رسالة محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين مع باقي الرسالات السابقة في أن الوحي الإلهي جاء بإقرار التوحيد، فلا يجوز الإشراك بالله، ويجب على البشرية قاطبة أن تنقاد إلى ربها، وأن تكون على دين الإسلام، فالدين عنده الإسلام ولن يقبل من بشر غير هذا الدين الذي يعني الاستسلام والخضوع لله وحده لا شريك له[٥].

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (٧٣/٥)، بتصرف.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد، (١٣٤/١) ح رقم ١٥٣.
(٣) تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: ١، ١٤١٠ هـ، (ص ٣٨٢،٣٨١).
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٦٩/١٧).
(٥) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (١٤٦/١٧).

٦) الإيمان والكفر لا يجتمعان فلا صلح بين المسلمين والكفار، وفي ذلك إعلان قاطع عما يكنّ في أصائل قلوب المؤمنين من إنكار قلبي لمختلف ألوان الكفر، دون مهادنة ولا رضا، ولا إقرار لأي شيء من أوضاع الكفر الفاسدة[١].

٧) وقوع العذاب والهلاك بالكفار ونصر المؤمنين عليهم والحشر من الأمور الغيبية التي لا يعلمها نبي ولا غيره من المخلوقات، وعلمها لله وحده فقط[٢].

المطلب الثاني: موقف النبي ﷺ من الناس، وتفويض الحكم لله:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠ وَإِنۡ أَدۡرِي لَعَلَّهُۥ فِتۡنَةٞ لَّكُمۡ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ١١١ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾[الأنبياء: ١١٠-١١٢].

أولًا: معاني المفردات:

١) ﴿**إِنْ أَدْرِي**﴾: "يعني ما أدري" [٣].

٢) ﴿**فِتْنَةٌ**﴾: "أي اختبار ليرى كيف صنيعكم" [٤].

٣) ﴿**احْكُمْ بِالْحَقِّ**﴾ قال قتادة: "أي اقض بالحق" [٥].

٤) ﴿**عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾: "من الكذب من أن النبي ساحر، وأن الله اتخذ ولداً وأن القرآن شعر" [٦].

ثانيًا: المعنى الإجمالي:

يبين النبي ﷺ للكفار بأن الله يعلم ما يجهرون به من الطعن في الإسلام وتكذيب الآيات، ويعلم ما يكتمون من الأضغان والعداوات للمسلمين، فيجازيهم على قليل ذلك وجليله.

ويقول ﷺ للمشركين وما أدري سبب تأخير جزائكم، ولعل ذلك زيادة في افتتانكم وامتحانكم، واستدراج لكم بالنعم، وقال الرسول ﷺ: رب افصل بيني وبين من كذبني من مشركي قومي، وكفر بك وعبد غيرك، بإحلال عذابك ونقمتك به بالعدل الذي يقتضى تعجيل العذاب به، وتشديده عليه.

والله المستعان على ما تصفون، من الشرك والكفر، والكذب والأباطيل، كقولكم إن الله اتخذ ولدًا، وقولكم في الرسول ﴿**بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ**﴾ [الأنبياء: ٥][٧].

---

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (١٤٦/١٧).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص ٥٣٢).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، (٩٧/٣). وانظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج، (٤٠٨/٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٥٠/١١). وانظر: تفسير الجلالين، (ص ٤٣٢).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، (ص٧٢٦).

(٦) أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٤٧/٣).

(٧) انظر: تفسير المراغي، أحمد المراغي، (٨٠/١٧).

ثالثًا: اللطائف البيانية والفوائد البلاغية:

- في قوله تعالى: ﴿**احْكُمْ بِالْحَقِّ**﴾: "الباء للملابسة، وحذف المتعلق الثاني لفعل احكم لتنبيههم إلى أن النبي ﷺ على الحق فإنه ما سأل الحكم بالحق إلا لأنه يريده، أي احكم لنا أو فيهم أو بيننا" [(١)].
- في قوله: ﴿**وَرَبُّنَا الرَّحْمنُ الْمُسْتَعانُ**﴾: "الرحمان عطف بيان من ربنا لأن المراد به هنا الاسم لا الوصف توركًا على المشركين، لأنهم أنكروا اسم الرحمان، قال تعالى: ﴿**وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَمَا الرَّحْمنُ أَنَسْجُدُ لِما تَأْمُرُنا وَزادَهُمْ نُفُوراً**﴾ [الْفرْقَان: ٦٠].

وتعريف المستعان لإفادة القصر، أي لا أستعين بغيره على ما تصفون، إذ لا ينصرنا غير ربنا وهو ناظر إلى قوله تعالى: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥]" [(٢)].

رابعًا: المقاصد والأهداف والدلالات المستفادة من الآيات:

١) "إن الله يعلم الغيب جميعه، ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون، يعلم الظواهر والضمائر، ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما العباد عاملون في أجهارهم وأسرارهم، وسيجزيهم على ذلك، على القليل والجليل" [(٣)]. قال الحق تبارك وتعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ [التغابن: ٤].

٢) استدراج الكافرين بالنعم والملذات في الدنيا وتأخير العذاب عنهم وإمهالهم اختبارًا ليرى الله ما يصنعون، والله أعلم بما يفعلون، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ١٨٢][(٤)].

٣) يجب على المؤمن أن يلجأ إلى الله في كل الأحوال ويستعين به ويفوض الأمور له ويكل أمره لله بعد الأخذ بالأسباب، فالله سبحانه وتعالى عدل قاهر فوق عباده يعلم أحوال العباد، فيقدر الأمور بقدرها ولا يحكم إلا بِالْحَقِّ فلا يظلم عنده أحد[(٥)].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٧٦/١٧).

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ت سلامة، (٣٨٨/٥).

(٤) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، (١٤٧/١٧).

(٥) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، (٤٤٩/٣). وانظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، (٩/ ٩٦٨،٩٦٧).

الخاتمة والتوصيات

وتشتمل على:

- أولًا: أهم النتائج.
- ثانياً: أهم التوصيات.

الخاتمة

الحمدُ للَه الذي لا يُستفتَحُ ولا يختتم بأفضل من اسمه كلام، ولا يُستنجحُ بأحسن من صنعه مَرام، الحمد للَّه الذي افتتح كلامَهُ الكريم، وفرقانه العظيم، الحمد للَّه المستحق الحمد حتى لا انقطاع، وموجب الشكر بأقصى ما يُستطاع، الحمد للَهِ مانحِ الأعلاق، وفاتحِ الأغلاقِ، الحمد لله مُعز الحق وناصره، ومُذل الباطل وقاهره، وأصلي وأسلم على خير خلق الله من خلقه، سيدي وحبيبي ومعلمي وقائدي محمد ﷺ، وعلى صحابته الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإني أَحمَدُ الله سبحانه وتعالى بأن مَنَّ عليَّ بختم هذا العمل المتواضع، فهو سبحانه الموفق والمستعان، وهو الذي بنعمته تتم الصالحات، فأسأله جل في علاه أن يتقبل مني هذا العمل وأن يجعله ذخرًا ورصيدًا لي يوم ألقاه، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وهذه أبرز وأهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث:

أولًا: نتائج البحث:

١. علم مقاصد وأهداف السور والآيات علمٌ جليل، عظيم الفائدة، فهو يعين على فهم كتاب الله فهمًا صحيحًا، ويعين على استخراج أدق المعاني والأهداف لتسخيرها في خدمة المسلمين في كافة النواحي الحياتية.

٢. علم مقاصد وأهداف السور والآيات علمٌ جديد لم يتطرق إليه القدماء كثيرًا ولم يفردوه في مصنفاتهم، فهو بحاجة إلى دراسة خاصة معمقة وشاملة، ليستفيد منه طلاب العلم وكافة الناس.

٣. البحث في هذا العلم يؤدي إلى إمكانية استنباط نظريات جديدة قابلة للتطبيق في حياة الناس.

٤. معرفة المقصد العام للسورة يبين نظم السورة، والمناسبات بين الآيات فيها.

٥. القران الكريم معجزة خالدة إلى يوم القيامة، فهداياته لا تنقطع، وتوجيهاته تصلح لكل زمان ومكان، وهذه التوجيهات القرآنية متنوعة وكثيرة، تعالج أكثر القضايا الكونية والاجتماعية وغيرها وتضع الحلول لها، وبيان مقاصد السور والآيات جزء من هذه الحلول.

٦. سورة الأنبياء اهتمت بشكل رئيس بالقضية الكبرى ألا وهي قضية التوحيد والميعاد في دعوة الأنبياء، وبينت هذه السورة موقف الناس من تلك الدعوة.

٧. تبين سورة الأنبياء وتبرز حقيقة الصراع بين أهل الحق والباطل وأن هذا الصراع نهايته غلبةً وفوزًا لأهل الحق وأتباع الرسل والأنبياء.

٨. حملت هذه السورة في طياتها بشريات عظيمة للنبي محمد ﷺ ولأتباعه من المسلمين، وبينت أن نهاية الاستهزاء والسخرية من المؤمنين كانت وستكون نهاية وخيمة وعاقبتها الهلاك والدمار في الدنيا والآخرة.

٩. الأسلوب القرآني أسلوبٌ بديع، فمن خلال هذه السورة يتبين لنا كيف يدلل سبحانه وتعالى على قدرته وعظمته، فيلفت انتباه العباد وأنظارهم إلى التدبر في هذا الكون العجيب وما يحويه.

١٠. استعرضت هذه السورة مقتطفات من قصص الأنبياء عليهم السلام وبينت لنا كيف كان صبرهم وثباتهم على الحق.

١١. حقق هذا البحث بفضل الله مجموعة جيدة من وجوه المناسبات بين الآيات بما يساعد في ربط موضوعاتها ببعضها البعض.

١٢. جاءت في البحث مجموعة من اللطائف البيانية والبلاغية التي تبين بلاغة وفصاحة هذا الأسلوب القرآني.

١٣. احتوى البحث على معاني المفردات القرآنية وعلى بعض القراءات والمعاني الإجمالية للمقاطع القرآنية، واحتوى أيضًا على العبر والمقاصد والأهداف المستفادة من الآيات.

ثانيًا: التوصيات:

١. أول وصية أبدأ بها وصية الله عز وجل لأنبيائه وأتباعهم ألا وهي التقوى، فهي مصداق الإيمان وطريق السعادة في الدارين.

٢. أوصي الآباء والمربين أن يسعوا جاهدين لتربية أبنائهم على موائد القرآن الكريم ليزرعوا فيهم حب قراءته وتلاوته.

٣. أوصي طلاب العلم الشرعي بشكل عام وطلاب التفسير وعلوم القرآن بشكل خاص بالإقبال على دراسة علم المقاصد والأهداف لأنه علم نافع وجليل يساعد في نهوض الآمة وحل أزماتها.

٤. اقترح اقتراحًا قد ينفع ويفيد، وهو أن تقوم الجهات المختصة في الدراسات العليا أو شئون البحث العلمي بعقد مؤتمر علمي خاص بطلاب كلية أصول الدين وطلاب التفسير وعلوم القرآن، وذلك لأجل تعريف الطلاب بهذا العلم أكثر وأكثر، لأن علم المقاصد والأهداف علمٌ جديد كما أسلفت، ويحتاج إلى أفكار جديدة في الدراسة والبحث.

وختامًا: أسأل الله أن أكون قد وفقت في بحثي هذا لما يحب الله ويرضى، وإن كنت قد أخطأت أو قصرت أو زللت فمن نفسي ومن الشيطان، واستغفر الله العظيم على كل خطأ وأتوب إليه من كل زلل وأدعوه سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والله ولي التوفيق

- ☒ **الفهارس العامة**
- ☒ **فهرس الآيات القرآنية.**
- ☒ **فهرس الأحاديث النبوية.**
- ☒ **فهرس الأعلام المترجم لها.**
- ☒ **فهرس المصادر والمراجع.**
- ☒ **فهرس الموضوعات.**

أولًا: **فهرس الآيات القرآنية**:

مسلسل	طرف الآية أو المقطع القرآني	رقمها	رقم الصفحة
	سورة الفاتحة		
١.	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١٦٦
	سورة البقرة		
٢.	﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	١٥	٨٠
٣.	﴿الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٢٩	١٦٤
٤.	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ﴾	١٧٩	١٦٤
٥.	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	١٨٥	١٦٤
٦.	﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	١٨٩	٩٧
٧.	﴿كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾	٢١٣	١٤٥
٨.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾	٢٥٨	١٠١
	سورة آل عمران		
٩.	﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٣٤	١١٤
١٠.	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾	٤٢	١٤٠
١١.	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ ﴾	٦٤	١٤٦
١٢.	﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾	١٠٤	١٤٥
١٣.	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	١١٤،١٤٥،١٦٥
١٤.	﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تكفروه﴾	١١٥	١٤٧
١٥.	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾	١٣٣	١٣٧
١٦.	﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾	١٣٩	٤٦
١٧.	﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾	١٥٩	١٦٣
١٨.	﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾	١٧٣	١١١
١٩.	﴿...وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٩١	٤١

سورة النساء			
٢٠.	﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي﴾	١٣	١١٨
٢١.	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾	٤٠	٣٦
٢٢.	﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	٦٠	٨٩
٢٣.	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ﴾	١٢٢	١٤٨
٢٤.	﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	١٦٧	٨٩
سورة المائدة			
٢٥.	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾	٢٠	٩٧
٢٦.	﴿...وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٣٨	١١١
٢٧.	﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾	٥٦	١١١
٢٨.	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾	٦٧	٣٣
سورة الأنعام			
٢٩.	﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا﴾	٣٤	٧٢،٧٩
٣٠.	﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾	٦٨	١٨
٣١.	﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إِبْراهِيمَ عَلى قَوْمِهِ﴾	٨٣	١٠١،١١
٣٢.	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾	١٢٤	٩٩
٣٣.	﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ﴾	١٥٦	١٨
سورة الأعراف			
٣٤.	﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ...﴾	٨-٩	٩١
٣٥.	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾	٥٩	١٤٥
٣٦.	﴿..اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٦٥	١٤٥
٣٧.	﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ﴾	٧٠	٨٢
٣٨.	﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ﴾	١٤٦	١٨
٣٩.	﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	١٤٥
٤٠.	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا﴾	١٨٧	٧٦
٤١.	﴿إِنَّ الذين عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾	٢٠٦	٤٩

سورة الأنفال			
٤٢.	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ..﴾	٣٠	١١١
٤٣.	﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾	٣٢	٧٣
سورة التوبة			
٤٤.	﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ ﴾	١٠٥	أ
٤٥.	﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾	١٢٨	١٦٣
سورة يونس			
٤٦.	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ﴾	٢٦	١٥٥،١٤٨
٤٧.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾	٤٤	٣٦
٤٨.	﴿فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَها إِيمانُها إِلَّا قَوْمَ﴾	٩٨	١٣٢
سورة هود			
٤٩.	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٧	٤٣
٥٠.	﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنا عَنْهُمُ الْعَذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾	٨	١٤٥
٥١.	﴿أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	١٨	٩٠
٥٢.	﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾	٣٢	١٠١
٥٣.	﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّت﴾	١٢٠	٧٩
سورة يوسف			
٥٤.	﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾	٤٥	١٤٥
٥٥.	﴿إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾	٨٦	١٢٩
سورة الرعد			
٥٦.	﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله﴾	١١	٧٩
٥٧.	﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ﴾	٢٦	١٣٤
٥٨.	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾	٢٨	٤٩
سورة إبراهيم			
٥٩.	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	٧	٨٠
٦٠.	﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	١٩	٣٥
٦١.	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّماوات﴾	٤٨	١٥٩

سورة الحجر			
٦٢.	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾	٨٥	٤٢
٦٣.	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	٩٥	٧٢
سورة النحل			
٦٤.	﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ﴾	٢	٩٧
٦٥.	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ﴾	٣٦	١٤٥
٦٦.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا﴾	٤٣	٣٠
٦٧.	﴿إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ﴾	١٢٠	١٤٥
٦٨.	﴿.. وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	١٢٥	١٠١
سورة الإسراء			
٦٩.	﴿...إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾	١	١١٤
٧٠.	﴿وَكانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا﴾	١١	٧٣
سورة الكهف			
٧١.	﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا﴾	٢٨	١٨
٧٢.	﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾	٣٠	١٤٧
٧٣.	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ﴾	٤٦	١٣٦
٧٤.	﴿...فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾	١١٠	١٤٨
سورة مريم			
٧٥.	﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا...﴾	٢٨-٢٧	١٣٩
٧٦.	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾	٥٦	١٣١
سورة طه			
٧٧.	﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾	١٢٩	١٩
٧٨.	﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى مَا مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً﴾	١٣١	١٩
٧٩.	﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا﴾	١٣٥	١٩
سورة الأنبياء			
٨٠.	﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ...﴾	١-٣	١٣،١٤،١٨
٨١.	﴿قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ... ﴾	٤-٥	٢٤،٢٣

٨٢.	﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ... ﴾	٦-٨	٢٧_٣٠
٨٣.	﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ ... ﴾	٩-١٠	٣١،٣٢
٨٤.	﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ﴾	١١	١٤،٣٥
٨٥.	﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا...﴾	١٢-١٥	١٤،٣٨،٣٧
٨٦.	﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا ...﴾	١٦-١٧	٤١،٤٢
٨٧.	﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ﴾	١٨	٤٥،٤٤
٨٨.	﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ...﴾	١٩-٢٠	٤٧_٤٩
٨٩.	﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ...﴾	٢١-٢٣	٥٠_٥١
٩٠.	﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ﴾	٢٤	٥٢_٥٤
٩١.	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ...﴾	٢٥	٥٧
٩٢.	﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ ...﴾	٢٦-٢٩	٥٩_٦٢
٩٣.	﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ..﴾	٣٠-٣٢	٦٣_٦٥
٩٤.	﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ..﴾	٣٤-٣٥	٦٧_٦٩
٩٥.	﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾	٣٦	٧١
٩٦.	﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي ...﴾	٣٧-٣٨	٧٢،٧٣
٩٧.	﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ...﴾	٣٩-٤٠	٧٤،٧٥
٩٨.	﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ ...﴾	٤١-٤٢	٧٨،٧٩
٩٩.	﴿ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ...﴾	٤٣	٨١،٨٢
١٠٠.	﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ...﴾	٤٤	٨٣_٨٥
١٠١.	﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ...﴾	٤٥-٤٦	١٤،٨٧،٨٨
١٠٢.	﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ﴾	٤٧	٩٠،٩١
١٠٣.	﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ...﴾	٤٨-٥٠	٩٥_٩٧
١٠٤.	﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ...﴾	٥١-٥٦	٩٨_١٠١
١٠٥.	﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ...﴾	٥٧-٦٣	١٠٢،١٠٣

١٠٦.	﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ...﴾	٦٤-٦٧	١٠٦،١٠٧
١٠٧.	﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ...﴾	٦٨-٧٠	١٠٩_١١١
١٠٨.	﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا...﴾	٧١-٧٣	١١٢،١١٣
١٠٩.	﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ...﴾	٧٤-٧٥	١١٥_١١٧
١١٠.	﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ...﴾	٧٦-٧٧	١١٩،١٢٠
١١١.	﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ...﴾	٧٨-٨٢	١٢٢_١٢٦
١١٢.	﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ...﴾	٨٣-٨٤	١٢٧_١٢٩
١١٣.	﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ...﴾	٨٥-٨٨	١٣٠ _ ١٣٣
١١٤.	﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا...﴾	٨٩-٩٠	١٣٥ _ ١٣٧
١١٥.	﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا﴾	٩١	١٣٨،١٣٩
١١٦.	﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ...﴾	٩٢-٩٣	١٤٣،١٤٤
١١٧.	﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾	٩٤	١٤٦،١٤٧
١١٨.	﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ...﴾	٩٥-١٠٠	١٥٠_١٥٢
١١٩.	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ...﴾	١٠١-١٠٣	١٥٤_١٥٧
١٢٠.	﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ...﴾	١٠٤-١٠٦	١٥٧_١٥٩
١٢١.	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ...﴾	١٠٧-١٠٩	١٦٢_١٦٤
١٢٢.	﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ..﴾	١١٠-١١٢	١٦٥،١٦٦
سورة الحج			
١٢٣.	﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾	١	٩٧
١٢٤.	﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ﴾	٧	٩٢
١٢٥.	﴿ذلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللَّهِ فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	٣٢	٩٧
١٢٦.	﴿...فَإِنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصارُ وَلكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾	٤١	٨٨
١٢٧.	﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	٧٨	١٦٤
سورة المؤمنون			
١٢٨.	﴿أَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾	٣٣	٣٧

١٢٩.	﴿يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا﴾	٥١-٥٢	١٤٤
١٣٠.	﴿.. إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ﴾	٦٥	١٢٠
١٣١.	﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾	٨٨	٨١
١٣٢.	﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾	٩١	٥٨
١٣٣.	﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾	٩٩-١٠٠	١٥٣
١٣٤.	﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾	١٠١-١٠٣	٩١
سورة النور			
١٣٥.	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾	٥٥	١١٤،١٦٠
سورة الفرقان			
١٣٦.	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾	٣	٥٢
١٣٧.	﴿مالِ هذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ﴾	٧	٢٩
١٣٨.	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا﴾	٢٠	٣٠
١٣٩.	﴿وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمنِ قالُوا وَمَا الرَّحْمنُ﴾	٦٠	١٦٦
سورة الشعراء			
١٤٠.	﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾	٢٢٤	٢٣
سورة النمل			
١٤١.	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾	١٤	١٠٧
١٤٢.	﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ﴾	٤٠	ت
سورة القصص			
١٤٣.	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾	١٦	٩٠
سورة العنكبوت			
١٤٤.	﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾	٢٦	١١٦
سورة الروم			
١٤٥.	﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى﴾	٤١	٣٦
١٤٦.	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾	٥٨	٣٣
سورة لقمان			
١٤٧.	﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾	١١	٥٣

١٤٨.	﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	٩٠
١٤٩.	﴿يَا بني إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَال حَبَّة من خَرْدَل﴾	١٦	٩٠
سورة سبأ			
١٥٠.	﴿يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾	١٠	١٢٦
١٥١.	﴿غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ﴾	١٢	١٢٤
١٥٢.	﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾	١٣	١٢٣
سورة فاطر			
١٥٣.	﴿فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ﴾	٣٢	٦٨
١٥٤.	﴿.. وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾	٤٣	٧٨،٧٩
سورة يس			
١٥٥.	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	٣٨-٤٠	٤٣
سورة الصافات			
١٥٦.	﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾	٧٥	١٢٠
١٥٧.	﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي﴾	١٠٢	١٣١
١٥٨.	﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾	١١٧	٩٥
١٥٩.	﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾	١٥٨	٦١
١٦٠.	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا المرسلين﴾	١٧١ – ١٧٣	٣٢
سورة ص			
١٦١.	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾	٢٧	٤١
١٦٢.	﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ﴾	٢٩	٣٣
١٦٣.	﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ﴾	٣٦	١٢٤
١٦٤.	﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ﴾	٤١-٤٤	١٢٨
١٦٥.	﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ﴾	٤٢	٣٧،١٢٨
١٦٦.	﴿إِنَّا وَجَدْناهُ صابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	٤٤	١٢٨،١٢٩
سورة الزمر			
١٦٧.	﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾	٣	٥٤
١٦٨.	﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾	٣٢	١١١

١٦٩.	﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾	٦٩	٣٦
١٧٠.	﴿وَقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾	٧٤	١٦٠
سورة غافر			
١٧١.	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ﴾	٧	٦١
١٧٢.	﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾	١٩	٢٥
١٧٣.	﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾	٨٤ – ٨٥	٣٩
سورة فصلت			
١٧٤.	﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾	٢٦	٢١،٢٢
١٧٥.	﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾	٣٠	١٥٦
١٧٦.	﴿وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ﴾	٣١	١٥٧
١٧٧.	﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾	٤٣	٧٩
١٧٨.	﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾	٤٤	٨٩
سورة الشورى			
١٧٩.	﴿..وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾	٥	٦١
١٨٠.	﴿وَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾	٤٠	٩٠
١٨١.	﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾	٤٢	٩٠
سورة الزخرف			
١٨٢.	﴿إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ﴾	٢٣	١٤٤
١٨٣.	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾	٤٤	٣٢
١٨٤.	﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾	٨٣	١٩
سورة الدخان			
١٨٥.	﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٣٩	٤١
١٨٦.	﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾	٤٩	٣٩
سورة الأحقاف			
١٨٧.	﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾	١٢	٩٦
سورة الحجرات			
١٨٨.	﴿أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى﴾	٣	٩٧

سورة ق			
١٨٩.	﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعًا ذلِكَ حَشْرٌ﴾	٤٤	١٥١
سورة الذاريات			
١٩٠.	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٤٣
سورة الطور			
١٩١.	﴿...نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾	٣٠	٦٧
سورة النجم			
١٩٢.	﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ﴾	٢٦	٦١
١٩٣.	﴿وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ﴾	٣١	١٤٨
سورة القمر			
١٩٤.	﴿فَالْتَقَى الْماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾	١٢	١٣٤
١٩٥.	﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	١٦	٨٧
١٩٦.	﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾	١٧	ج
سورة الرحمن			
١٩٧.	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ ...﴾	٢٦– ٢٧	٦٧
سورة الحديد			
١٩٨.	﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾	٢٢	١٣٧
سورة التغابن			
١٩٩.	﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ﴾	٤	١٦٦
سورة الطلاق			
٢٠٠.	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ﴾	٣	١١١
٢٠١.	﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾	٧	١٣٤
٢٠٢.	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾	٨	١١٨
سورة التحريم			
٢٠٣.	﴿...لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾	٦	٤٨
سورة نوح			
٢٠٤.	﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّارًا﴾	٢٦	١١٩

سورة الجن			
٢٠٥.	﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾	١	٢٢
سورة النبأ			
٢٠٦.	﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾	٤٠	٨٨
سورة الانفطار			
٢٠٧.	﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾	٦	٧٩
سورة البروج			
٢٠٨.	﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾	١٢	٨٨
سورة المطففين			
٢٠٩.	﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾	٢٩-٣٠	٨٠
سورة العصر			
٢١٠.	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾	٣	٨٨
سورة الكافرون			
٢١١.	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾	١	١٤٦

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية:

المسلسل	طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
١.	من لا يشكر الناس لا يشكر الله	الترمذي	ت
٢.	بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء	البخاري	١١
٣.	إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء	وأبو داود	٢٢
٤.	هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد	البخاري	٣٠
٥.	كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت	الحاكم النيسابوري	٣٣
٦.	تلا رسول الله ﷺ يومًا هذه الآية ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ..﴾	الترمذي	٣٦
٧.	إن الله لا ينظر إلى صوركم	مسلم وابن ماجه	٤٦
٨.	صدقك وهو كذوب	البخاري	٤٦
٩.	بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم: "هل تسمعون	الطبراني"المعجم الكبير" والترمذي	٤٩
١٠.	شفعت الملائكة وشفع النبيون	مسلم	٦٢
١١.	يحمل الناس على الصراط يوم القيامة	ابن أبي عاصم، وابن أبي شيبة	٦٢
١٢.	إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	الحاكم النيسابوري	٦٢
١٣.	قلت: يا رسول الله، إذا رأيتك طابت نفسي	ابن حبان	٦٦
١٤.	خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نذكر الفقر	ابن ماجه	٦٩
١٥.	لا تقوم الساعة حتى... وحتى تطلع الشمس	البخاري	٧٦
١٦.	إن الله عز وجل يملي للظالم	مسلم	٧٤
١٧.	إن الله عز وجل يبسط يده بالليل	مسلم	٧٦
١٨.	إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر	الحاكم النيسابوري	٨٠
١٩.	اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ	البخاري	٨٢
٢٠.	كان رسول الله ﷺ إذا كان البرد والريح	مسلم	٨٤
٢١.	إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما	الحاكم النيسابوري	٩٨
٢٢.	يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن	الحاكم النيسابوري	٩٢
٢٣.	إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ	البخاري في الأدب المفرد	١٠٤
٢٤.	إن إبراهيم لم يكذب إلا في ثلاث	البخاري ومسلم	١٠٤

٢٥.	إن أخذتم فلانًا فأحرقوه بالنار	الإمام أحمد	١١٠
٢٦.	حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم	البخاري	١١١
٢٧.	طوبى للشام، قيل: ولم ذلك يا رسول الله	الإمام أحمد، وابن حبان	١١٤
٢٨.	اللهم بارك لنا في شامنا	البخاري	١١٤
٢٩.	إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى	مسلم	١١٧
٣٠.	إن العلماء ورثة الأنبياء	ابن ماجه	١١٨
٣١.	إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران	مسلم	١٢٤
٣٢.	العجماء جرحها جبار	البخاري ومسلم	١٢٥
٣٣.	لأن يأخذ أحدكم حبلة، ثم يغدو	البخاري	١٢٦
٣٤.	نبي الله أيوب عليه السلام ابتلي فلبث في بلائه ثماني عشرة سنة	أبو يعلى	١٢٨
٣٥.	عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير	مسلم	١٢٩
٣٦.	دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت	الحاكم النيسابوري	١٣٤
٣٧.	إذا مات الإنسان، انقطع عمله إلا من ثلاث	الترمذي	١٣٦
٣٨.	الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا	مسلم	١٣٧
٣٩.	جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أصبت امرأة	النسائي " السنن الصغرى"	١٣٧
٤٠.	بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم	مسلم	١٣٧
٤١.	أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم	البخاري ومسلم	١٤٤
٤٢.	ليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة	البخاري ومسلم	١٤٥
٤٣.	كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة	البخاري ومسلم	١٤٨
٤٤.	يرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج	الحاكم النيسابوري	١٥٢
٤٥.	لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب	البخاري	١٥٢
٤٦.	آية لا يسألني الناس عنها	الطبراني " المعجم الكبير"	١٥٤
٤٧.	إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة	البخاري	١٥٧
٤٨.	إن هذا القرآن كائن لكم أجرًا، وكائن لكم ذكرًا	الدارمي	١٦٠
٤٩.	أن رسول الله لما شج وجهه	مسلم	١٦٣
٥٠.	والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي	مسلم	١٦٤

ثالثاً: **فهرس الأعلام والشخصيات المترجم لها**:

المسلسل	اسم العلم أو الشخصية	رقم الصفحة
١.	ابن السكِّيت	١٢٢
٢.	ابن القيم	١٤٥
٣.	ابن جني	٣١
٤.	ابن شجرة	٢٧
٥.	عبد الله بن عامر	٨٧
٦.	ابن عثيمين	٣٠
٧.	أبو العتاهية	١٣
٨.	أبو بكر الأزدي	٣
٩.	أبو حاتم البستي	٦٦
١٠.	أبو جعفر المدني	٩١
١١.	أبو جعفر بن الزبير	١٩
١٢.	أبو عبد الرحمن السلمي	٣٣
١٣.	أبو منصور الماتريدي	٤٩
١٤.	الأصبهاني	ج
١٥.	الأصمعي	٨٧
١٦.	الآلوسي	٣٢
١٧.	البقاعي	٥
١٨.	البوصيري	٢٠
١٩.	الحسن البصري	٢٧
٢٠.	الخازن	٩٢
٢١.	الزجاج	٤٧
٢٢.	الزمخشري	٩
٢٣.	السُّدِّيُّ	٧١
٢٤.	السيوطي	ج

٢٥.	الشاطبي	٥
٢٦.	الشِّهَاب الْخَفَاجي	١٣٢
٢٧.	الطاهر بن عاشور	٩
٢٨.	فخر الدين الرازي	٤١
٢٩.	القاضي عبد الجبار	٤٢
٣٠.	القرطبي	١٢
٣١.	القشيري	١٣٤
٣٢.	الكسائي	٢١
٣٣.	الكلبي	٨٤
٣٤.	المبرد	٧٢
٣٥.	النحاس	٢٣
٣٦.	حفص	٢٨
٣٧.	حمزة	٢٣
٣٨.	جَمَال الدين القاسِمي	١١
٣٩.	سفيان بن عيينة	١٢٩
٤٠.	سيبويه	٦٥
٤١.	سيد قطب	٨
٤٢.	عبد الله بن بري	١٨
٤٣.	قتادة	٥٨
٤٤.	مجاهد	٣١
٤٥.	محمد عبد الله دراز	٦
٤٦.	مقاتل بن سليمان البلخي	١٢
٤٧.	نافع المدني	٩١
٤٨.	يعقوب بن إسحاق	١٣١

رابعاً: **فهرس المصادر والمراجع**:

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢. آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت.

٣. الأحاديث المختارة، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: أ.د عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: ٣، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

٤. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥ هـ.

٥. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٦. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٧. إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، المحقق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، ط: ١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٨. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط: ٣، ١٤٠٩ – ١٩٨٩.

٩. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، قال المحقق: قمت بتوفيق الله وحده بتخريج أحاديث الكتاب تخريجًا مستوفى على ما ذكر العلماء أو ما توصلت إليه من خلال نقد تلك الأسانيد، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، ط: ٢، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.

١٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.

١١. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٣هـ)، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق –بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط : ٤، ١٤١٥ هـ.
١٢. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، ط: ١٥ – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
١٣. الأعيان وأنباء أبناء الزمان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت.
١٤. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: ٦٤٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط:١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م.
١٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:١ – ١٤١٨ هـ.
١٦. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط: ٦، رمضان ١٣٨٣ هـ – فبراير ١٩٦٤ م.
١٧. إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت: نحو ٥٥٠هـ)، المحقق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: ١ – ١٤١٥ هـ.
١٨. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: ٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٩. باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق) (ت: بعد ٥٥٣هـ)، المحقق (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة حرسها الله تعالى، عام النشر: ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
٢٠. بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت: ٣٧٣هـ).
٢١. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٢٢. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ.

٢٣. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٢٤. بيان المعاني، عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق، ط: ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م.
٢٥. تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي (ت: ٨٧٩هـ)، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم – دمشق، ط: ١، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م.
٢٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
٢٧. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ٢٠٠٣ م.
٢٨. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
٢٩. تاريخ بغداد وذيوله، الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:١، ١٤١٧ هـ.
٣٠. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
٣١. تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: طارق فتحي السيد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٢. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط: ١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٣٣. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط: ١ - ١٤١٦ هـ.
٣٤. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣٥. تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، المحقق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: مكتبة أضواء السلف، ط: ٣، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٣٦. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٧. تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت: ٩٠٥هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٨. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط: ١.
٣٩. تفسير الشعرواي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.
٤٠. تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت: ٦٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، ط: ١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٤١. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ط: ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٤٢. تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: ١، ١٤١٠ هـ.
٤٣. تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط: ١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٤٤. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤٥. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٤٦. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.
٤٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر- دمشق، ط: ٢، ١٤١٨ هـ.
٤٨. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف أ.د مصطفى مسلم (١٤٣١هـ -٢٠١٠م).
٤٩. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط: ٢، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
٥٠. التفسير الواضح، الحجازي محمد محمود، الناشر: درا الجيل الجديد- بيروت، ط: ١٠-١٤١٣هـ.
٥١. التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - دمشق، ط : الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٥٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط: ١.
٥٣. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط: ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
٥٤. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط: ١، ١٤٢٣ هـ.
٥٥. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٥٦. تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م.
٥٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٥٨. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٩. جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت : ٧٢٨هـ)، تحقيق : محمد عزير شمس، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر : دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط : الأولى ، ١٤٢٢ هـ.

٦٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٦١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤.

٦٢. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ١، ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م.

٦٣. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.

٦٤. الجيم، أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء (ت: ٢٠٦هـ)، المحقق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، عام النشر: ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م.

٦٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٦٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

٦٧. درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط: ٢، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

٦٨. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، ط: ٢، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٦٩. دعوة الرسل عليهم السلام، أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٧٠. الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٧١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ.
٧٢. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.
٧٣. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
٧٤. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
٧٥. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٧٦. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م.
٧٧. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، ط: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٧٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ٣ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٧٩. شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٨٠. الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، الناشر: المكتبة الشاملة، مصر، ط: ١، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

٨١. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، ط: ١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٨٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٨٣. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٢، ١٤١٤ – ١٩٩٣.

٨٤. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط: ١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٨٥. طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، ط: ١، ١٣٩٦.

٨٦. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد بن طاهر التنير البيروتي، تحقيق ودراسة: الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، الناشر: دار عمران– مكتبة الزهراء، ط: ١، ١٩٩٢

٨٧. علم مقاصد السور، د. محمد بن عبد الله الربيعة، الرياض، ط: ١، ١٤٢٣هـ/٢٠١١م.

٨٨. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

٨٩. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١ – ١٤١٦ هـ.

٩٠. غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، السنة: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.

٩١. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم

الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م.
٩٢. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت: ٩٢٦هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.
٩٣. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: ١ – ١٤١٤ هـ، (٤٧٠/٣).
٩٤. فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: ١.
٩٥. الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، ط: ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
٩٦. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط: ١٧ – ١٤١٢ هـ.
٩٧. قبس من نور القرآن الكريم، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، توزيع مؤسسة الريان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٩٨. كتاب السنة (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة بقلم: محمد ناصر الدين الألباني)، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، ط: ١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٩٩. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، ط: ١، ١٤٠٩.
١٠٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣ – ١٤٠٧ هـ.
١٠١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م.
١٠٢. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٠٣. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١ – ١٤١٥ هـ.

١٠٤. لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

١٠٥. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط: ١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

١٠٦. اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر – دمشق، ط: ١، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م.

١٠٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: ٣ – ١٤١٤ هـ.

١٠٨. لطائف الإشارات، تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط: ٣.

١٠٩. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط: ٢، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

١١٠. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، ط: ٤، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١١١. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط: ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

١١٢. مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

١١٣. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١١٤. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١٨ هـ.
١١٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١ – ١٤٢٢ هـ.
١١٦. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
١١٧. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
١١٨. مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول، محّمد سَعيد رَمضان البوطي، الناشر: دار المعرفة – دمشق، ط: ١ – ١٤٠٨ هـ.
١١٩. مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، ط: ٧، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م.
١٢٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
١٢١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
١٢٢. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤١١ – ١٩٩٠.
١٢٣. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، ط: ١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
١٢٤. مسند أبو يعلى الموصلي، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، ط: ١، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.
١٢٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

١٢٦. مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٢٧. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٢٨. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على ابراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ط: ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
١٢٩. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض، ط: ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.
١٣٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
١٣١. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، المحقق : عبد الرزاق المهدي، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط : ١ ، ١٤٢٠ هـ.
١٣٢. معالم في الطريق، سيد قطب، الناشر: دار الشروق، ط: ٦-١٩٧٩م.
١٣٣. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط: ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٣٤. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط: ١.
١٣٥. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: ٢.
١٣٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، ط: ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٣٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

١٣٨. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط: ٣ – ١٤٢٠ هـ.
١٣٩. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ط: ١، ١٤١٢ هـ.
١٤٠. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
١٤١. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام، ط: ١٨، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
١٤٢. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
١٤٣. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، المحقق: محمد عبد الرزاق حمزة، الناشر: دار الكتب العلمية.
١٤٤. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط: ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
١٤٥. موسوعة الألباني في العقيدة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن، ط: ١، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.
١٤٦. موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، ط : ١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
١٤٧. موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولي.
١٤٨. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرنًا)، أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب، ط: ١.
١٤٩. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد دراز، تقديم: الدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

١٥٠. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، الناشر: دار الشروق، القاهرة، ط: ٢، ١٩٩٢م.
١٥١. النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت : ٨٣٣ هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (ت: ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى.
١٥٢. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط : ٤.
١٥٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١٥٤. نظم العقيان في أعيان الأعيان، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: فيليب حتي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
١٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي.
١٥٦. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي (ت : ١٤٠٩هـ)، الناشر : مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط : ٢.
١٥٧. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط: ١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.
١٥٨. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط: ١، ١٤١٥ هـ.

مراجع من الشبكة العنكبوتية:

١٥٩. موضوع بعنوان: استخراج الفوائد السلوكية من الآيات القرآنية، كتبه: عبد العزيز الداخل المطيري "المشرف العام على معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد".

الرابط:(/http://vb.tafsir.net/tafsir39530).

خامساً: **فهرس الموضوعات**:

الموضوع	رقم الصفحة
الإهـــداء	ب
الشكر والتقدير	ت
المقدمـة	ج
التمهيد	
المبحث الأول: تعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها وتعريف المقاصد والأهداف وأهميتها.	٢
المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية.	٣
المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.	٤
المطلب الثالث: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.	٤
المطلب الرابع: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور والآيات.	٥
المطلب الخامس: طرق معرفة مقاصد السور والآيات.	٧
المطلب السادس: المؤلفات في علم المقاصد والأهداف.	٨
المبحث الثاني: تعريف عام بسورة الأنبياء.	١٠
المطلب الأول: أسماء السورة وعدد آياتها.	١١
المطلب الثاني: مكان وزمان نزول السورة.	١٢
المطلب الثالث: فضائل السورة.	١٣
المطلب الرابع: محور السورة والمناسبة بين اسمها ومحورها.	١٣
المطلب الخامس: المقاصد العامة للسورة وأغراضها.	١٤
الفصل الأول	
المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١-٥)	١٧
المطلب الأول: أعظم أسباب الإعراض عن الإيمان الغفلة واللهو.	١٨
المطلب الثاني: إحاطة علم الله بكل شيء، والافتراء ديدن المشركين.	٢٣
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٦-١٠)	٢٦
المطلب الأول: عصمة الأمة المحمدية من الإبادة والاستئصال، وبشرية الرسل.	٢٧
المطلب الثاني: حفظ الرسل وأتباعهم وإهلاك المكذبين، والتذكير بنعمة القرآن.	٣١
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١١-١٥)	٣٤

المطلب الأول: الظلم جرم كبير، عاقبته وخيمة.	٣٥
المطلب الثاني: لا نجاة بالهروب وبلوم النفس عند وقوع العذاب.	٣٧
المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (١٦-٢٤)	٤٠
المطلب الأول: أفعال الله تعالى منزهة عن العبث واللهو واللعب.	٤١
المطلب الثاني: للحق صولة، وللباطل جولة، والعاقبة للحق.	٤٤
المطلب الثالث: المخلوقات خلقت لغاية العبادة والتسبيح.	٤٧
المطلب الرابع: فساد القول بتعدد الآلهة.	٥٠
المطلب الخامس: كل دعوى لا برهان عليها فهي باطل.	٥٢
الفصل الثاني	
المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٢٥-٣٥)	٥٦
المطلب الأول: التوحيد أساس دعوة الرسل جميعًا.	٥٧
المطلب الثاني: نفي الولد وإثبات الشفاعة ومجازاة الظالمين.	٥٩
المطلب الثالث: أدلة توحيد الله ﷻ والتأمل طريق المعرفة والإيمان.	٦٣
المطلب الرابع: الموت نهاية كل حي.	٦٧
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء من الآية (٣٦-٤٠)	٧٠
المطلب الأول: الاستهزاء مظهرٌ ملازم لأعداء الأنبياء.	٧١
المطلب الثاني: عدم استعجال الانتقام والتعامل بالحكمة.	٧٢
المطلب الثالث: عقاب الجاحدين ومباغتتهم بالعذاب.	٧٤
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤١-٤٤)	٧٧
المطلب الأول: تسلية محمد ﷺ بذكر أحوال من قبله من الأنبياء.	٧٨
المطلب الثاني: طلب النصر والمدد ممن يستطيع تحقيقه.	٨١
المطلب الثالث: الابتلاء بالنعمة يستدعي مراقبة النفس ومحاسبتها.	٨٣
المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤٥-٤٧)	٨٦
المطلب الأول: الإنذار بالوحي وعقاب الظالمين.	٨٧
المطلب الثاني: وزن الأعمال يوم القيامة بالقسط ولا بخسٌ ولا ظلم.	٩٠
الفصل الثالث	
المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٤٨-٦٣)	٩٤

المطلب الأول: إبراز العلاقة المشتركة بين التوراة والقرآن.	٩٥
المطلب الثاني: أسلوب الحوار من الأساليب المهمة في إيصال كلمة الحق.	٩٨
المطلب الثالث: الثورة والغضب على الطغيان والكفر من أجل الله.	١٠٢
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٦٤-٧٧)	١٠٥
المطلب الأول: إهانة أهل الباطل وإفحامهم بالبراهين الدامغة.	١٠٦
المطلب الثاني: الكفار يستخدمون القوة والبطش لإسقاط الحق وأهله، وتأييد الله لأنبيائه.	١٠٩
المطلب الثالث: الفوز والنجاة لأهل الحق ولمن لجأ إلى الله بصدق.	١١٢
المطلب الرابع: العلم شرف عظيم وسبب للنجاة والصلاح.	١١٥
المطلب الخامس: اللجوء إلى الله ﷻ بالدعاء والصبر عند البلاء.	١١٩
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٧٨-٩١)	١٢١
المطلب الأول: بيان فضل الله ونعمه التي لا تحصى على أنبيائه وأوليائه.	١٢٢
المطلب الثاني: الشكوى إلى الله مع الرضا لا تقدح في الصبر.	١٢٧
المطلب الثالث: الصبر والصلاح والصدق في الدعاء صفات العابدين.	١٣٠
المطلب الرابع: التأدب مع الله ﷻ في الدعاء والمسارعة في الخيرات.	١٣٥
المطلب الخامس: تنزيه مريم عليها السلام من افتراءات اليهود.	١٣٨
الفصل الرابع	
المبحث الأول: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٩٢-٩٤)	١٤٢
المطلب الأول: وحدة الأمة قائمة على التوحيد.	١٤٣
المطلب الثاني: اقتران الإيمان بالعمل الصالح، والجزاء من جنس العمل.	١٤٦
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (٩٥-١٠٦)	١٤٩
المطلب الأول: وصف حال الكفار يوم القيامة وما أُعِدَّ لهم.	١٥٠
المطلب الثاني: وصف حال المؤمنين يوم القيامة وما أُعِدَّ لهم.	١٥٤
المطلب الثالث: طي السماء وإرث الأرض.	١٥٧
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة الأنبياء الآيات (١٠٧-١١٢)	١٦١
المطلب الأول: ختام سلسلة الأنبياء رحمة مهداة.	١٦٢
المطلب الثاني: موقف النبي ﷺ من الناس، وتفويض الحكم لله.	١٦٥
الخاتمة	

أولًا: النتائج.	١٦٨
ثانيًا: التوصيات.	١٦٩
الفهارس	
أولا: فهرس الآيات القرآنية.	١٧٢
ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية.	١٨٣
ثالثًا: فهرس الأعلام والشخصيات المترجم لها.	١٨٥
رابعًا: فهرس المصادر والمراجع.	١٨٧
خامسًا: فهرس الموضوعات.	٢٠١
ملخص الرسالة باللغة العربية.	٢٠٥
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.	٢٠٦

ملخص الرسالة باللغة العربية

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الثالث والثلاثين من القرآن الكريم سورة الأنبياء من الآية (١-١١٢)

تناول الباحث فيها مقاصد وأهداف الحزب الثالث والثلاثين (سورة الأنبياء كاملة)، وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث ومنهجية الباحث، والدراسات السابقة.

التمهيد: بَيَّنَ تعريف الدراسة التحليلية ومتطلباتها وتعريف المقاصد والأهداف وأهميتها، وفيه تعريف عام بسورة الأنبياء، يشمل فضائلها ومكان وزمان نزولها ومحورها والمقاصد العامة فيها.

الفصل الأول: اشتمل على أربعة مباحث، وتناول فيها مقاصد وأهداف الآيات (١-٢٤).

الفصل الثاني: اشتمل على أربعة مباحث، وتناول فيها مقاصد وأهداف الآيات (٢٥-٤٧).

الفصل الثالث: اشتمل على ثلاثة مباحث، وتناول فيها مقاصد وأهداف الآيات (٤٨-٩١).

الفصل الرابع: اشتمل على ثلاثة مباحث، وتناول فيها مقاصد وأهداف الآيات (٩٢-١١٢).

وتمت دراسة هذه المقاصد والأهداف دراسة تحليلية وموضوعية.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

Abstract

The analytical study of the purposes and objectives of the thirty-third party from the Koran verse of Al-Anbiya (1-112)
The researcher took the purposes and objectives of the thirty-third party (the whole of Al-Anbiya) . The research includes introduction , preface , four chapters and a conclusion as the following :
The Introduction: It includes the importance of the subject , the reasons for choosing the topic, the research objectives , methodology of the researcher, and previous studies.
Preface : The researcher explains the definition of the analytical study and its requirements ,the definition of goals and objectives and its importance, and the general definition of Surat Anbiya, includes virtues, the place and time of descent ,centered public and purposes therein.
Chapter I: included four topics, including the purposes and objectives of the verses(1-24)
Chapter II: included four topics, including the purposes and objectives of the verses(25-47)
Chapter III: included three topics, including the goals and objectives of the verses(48-91)
Chapter IV: included three topics, including the goals and objectives of the verses(92-112)
These purposes and goals have been studied analytically and objectively
Conclusion: included the most important results and recommendations.